مشروع القرن الثقافى
روايات مصرية للجيب
فى كل رواية متعة دائمة

د. نبيل فاروق

كوكتيل ٢٠٠٠
ثقافة الغد .. لشباب اليوم

48

Looloo
www.dvd4arab.com

النَّجْم

- مـع القـــرن الحـادى والعشرين ..
- مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب .
- مع ضرورة أن تصبح المعرفة حتمية كالماء والهواء ..
- مـع كل هـذا جـاءت كوكتيل 2000 ، بمثابة باب إلى المعرفة ..
- *إلى الحضارة ..*
- *إنها ثقافة الغد ..لشباب اليوم ..*

ورحل الفارس

فى صباح يوم الأربعـــاء ، الحـادى والعشرين مـــن سبتمبر ، اكفهرّت سماء الثقافة ، وبكت ســحب الأدب ، بأمطـــار من ألم وأسى ، وهامت رياح الحزن ، على جيل كامل ، تربّى على مطالعة روايات مصرية للجيب ، وعلى شخصياتها ، التى صارت عشقًا لشباب العالم العربى ، من المحيط إلى الخليج ، طوال ربع القرن الأخير من الزمن ..... هذا لأنه ، فى ذلك اليوم ، وبعد صراع طال مع المرض ، توفى الأب الروحى لروايات مصرية للجيب ، ورائـــد صناعة الكتاب المدرسى فى مصر ، وأسطورة كل شاب يحلم بدخول عالم الرواية ، الأستاذ العظيم ، أستاذى ، ومعلمى ، وأبى الروحى ، الأستاذ/ حمدى مصطفى .... مازلت أذكر ، حتى يومنا هذا ، كيف استقبلنى فى مكتبه بالترحاب ، وكنت أيامها مجرّد نكرة فى عالم الأدب ، أقدّم له روايتى الأولى ، التى احتضنها واحتضننى ، وقدّمها وقدّمنى إلى عالم ، عشت حياتى كلها أحلم بدخوله .... وكان دومًا بسيطًا متواضعًا ، ينعم بالخير على كل من حوله ، ولا يفكّر فيه ولو لحظة لنفسه ....

Lcaloo www.dvd4arab.com

وكـم مـن النـاس ، وأنا على رأسهم ، يدينـون له بالكثير ، ويذكرون له كيف كان دومًا إلى جوارهم ، بروح وشهامة فارس ، حتى ولو كانت بينه وبينهم ما صنع الحداد .... كان فارسًا ، فى عصر خلا من الفرسان ، ومقاتلاً ، لم أره يستسلم أو يتراجع مرة ، طوال ثمانية وعشرين عامًا ، هى عمر صداقتنا ، التى كنت ومازلت وسأظل أفخر بها دومًا ..... كانت لنا وقفاتنا ، وخلافاتنا ، واتفاقاتنا ، وكلها تحكمها القاعدة ، التى تعلمتها منه ... الشرف ، ثم الشرف ... ثم الشرف .... كان تغمّده الله الغفور الرحيم بعظيم مغفرته ، يمتلك قلبًا من ذهب ، ويحاول طوال الوقت أن ينفى عن نفسه هذه الصفة ؛ باعتبار أنه تاجر ، وسيسىء البعض استغلال طيبته ، على نحو غير صحيح ، وعلى الرغم من أنه صاحب فكرة سلاح التلميذ ، أشهر كتاب مدرسى خارجى ، ويعتبر عميد ناشرى الكتب المدرسية ، إلا أنه كان شديد الفخر بمشروع روايات الجيب ، باعتباره كاتبًا قديرًا ، كانت كتبه تدرّس فى المراحل الدراسية قديمًا ، مثل (جول جمال) ، و(بطولة سفينة) ، و(أيام عصيبة فى أبو عجيلة) ... ولقد كان يعتبر أن روايات مصرية للجيب هى حلمه ، الذى تمنى

إصداره منذ زمن طويل ، وكان من حسن طالعى وقدرى ، أن أكون من الرعيل الأوّل للمشروع ، الذى أطلق عليه فيما بعد (مشروع القرن الثقافى) ، وبعدها انضم آخرون وآخرون ، ومعظمهم صاروا من الأسماء اللامعة الآن ، فى عالم الأدب .... فوداعًا أيها الفارس ، الذى أعجز عن تصوّر أننى لن أنعم برؤيته ثانية ... وداعًا .

Looloo
www.dvd4arab.com

طاقية الإخفاء
(دراســـة)

منذ حداثتنا ، انبهرنا واستمتعنا كثيرًا بعدد من الأفلام والروايات ، العربية والعالمية ، التى تدور حول نقطة واحدة ..

الاختفاء ..

فمنذ خبر الإنسان الدنيا ، وتعلَّم الخوف منها ، ومن أعدائه ، والوحوش ، وحتى الطبيعة نفسها ، راوده حلم لم يفارقه أبدًا ..

حلم القوة ، والسطوة ، والسيطرة ..

حلم التفوّق على الأعداء والمخاوف ..

كل الأعداء ..

وكل المخاوف ..

ولأن الخوف جـزء مـن تكوينه ، والشك والحـذر مكوّن أساسى فى انفعالاته ، فقد تحولّ هـذا الحلم ، إلى رغبـة دفينة فى حماية كيانه ونفسه ، وإخفاء جسده عن أعدائه ، من البشر والوحوش ..

ومن هنا ، بدأ حلم الاختفاء ..

وفى الميثولوجيا النرويجية القديمة ، نجد أول ذكر للاختفاء ، وربطه بالقوة المطلقة ، فى أسطورة تتحدَّث عن قزم يحكم العالم السفلى ، ويثير الرعب والفزع فى النفوس ، حتى يظهر الفارس الأسطورى البطل ، الذى يواجهـه ، ويهاجمـه ، ويدحره ، ثم يفوز منه بالغنائم ، وعلى رأسها رداء الإخفـاء ، الذى يخفى لابسه عن الأنظار ، ويمنحه قوة ، ما بعدها قوة ..

ومع الأسطورة ، بدأ حلم الإنسـان برداء الإخفاء ، أو قلادة الإخفاء ، أو كما نعرفها ويعرفها البسطاء فى مصرنا (طاقية الإخفاء) ..

ولقرون عديدة بعد الأسطورة النرويجية ، ظل حلم الاختفاء مجرَّد خيال ، يسرح فيــه النــاس أحيانًا ، ويفكرون فيه بعض الوقت ، حتى جــاء كاتب الخيــال العلمى ، والأديب والصحفى والروائى الإنجليزى (هربرت جورج ولز) ، ليطرح لهم روايته الرائعة (الرجل الخفى) ، عام 1897م ..

ففى رائعة (ولز) ، توصَّل أحد العلماء إلى عقار خاص ، يلغى انعكاس الضوء عن جسده ، ومعدَّل انكساره داخله ، مما

www.dvd4arab.com

يعنى أنه سيصبح شفافًا تمامًا ..

أو خفيًّا ..

وانبهر الناس برواية (ولز) ..

وعاد حلم الاختفاء إلى العقول ، والقلوب ، والأذهان ، خاصة وأن العالم كان يبدأ عصرًا صناعيًّا متقدمًا ، لعبت فيه الكيمياء والكهرباء دورًا كبيرًا ، وفجرتا عشرات الأفكار والأحلام والخيالات فى الرءوس ..

ومع مولد عالم السينما ، انتقل حلم الاختفاء إلى الشاشة الكبيرة ، وراح يبهر الناس أكثر ، وأكثر ، وأكثر ..

ولأن المقولة الشهيرة تقول : إن طريق العلم يبدأ بالخيال ، فقد تحوّل الحلم ، فى عقول عدد من العلماء إلى كومة من الحسابات ، والمعادلات ، والأرقام ، والتجارب ..

وهنا فقط استنكر العلماء فكرة (ولز) عن الإخفاء ..

فلو أن بطل (ولز) قد نجح فى جعل خلاياه بالغة الشفافية بالفعل ، فهذا يعنى أن الضوء لن يسقط على شبكية العين ، وإنما سيعبرها دون توقف ؛ باعتبار أنها تشارك باقى خلايا الجسد شفافيتها المطلقة ...

إذن ، فبطل (ولز) الخفى لن يمتلك قوة رهيبة ، كما تقول الرواية ، بل على العكس تمامًا ، فهو سيصبح أعمى ، عاجزًا ، يحتاج إلى من يمسك يده ، ويرشده إلى طريقه ..

وهنا راح العلم يبحث عن نظرية أخرى للإخفاء ..

حتى خاض العالم الحرب العالمية الثانية ..

تلك الحرب ، التى انطلقت كل العقول خلالها ، تفكّر ، وتعمل ، وتبتكر ، وتخترع ، من أجل التفوق ، وطمعًا فى النصر ..

وعبر سنوات الحرب الرهيبة ، تم اختراع الرادار ، والصواريخ ، وطائرات الهليكوبتر ..

بل والقنبلة الذرية أيضًا ..

كل هذا تم استخدامه ، وإعلانه ، والدخول معه فى سباق التسلح ..

فيما عدا اختراع واحد ، ظل طى الكتمان ، ولم يتحدّث عنه أحد ، لما يقرب من نصف القرن ، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية(1939 - 1945م) ..

ففى عام 1943 م ، فى (فيلادلفيا) ، قام فريق من علماء الفيزياء ، تحت إشراف الأسطول الأمريكى ، بتجربة نادرة

وفريدة ، تم خلالها استخدام مجالات كهرومغناطيسية فائقة ، عبر استكمال نظرية المجال الموحّد ، التى تركها (ألبرت أينشتين) منقوصة ؛ لإخفاء المدمِّرة (DE-173) عن الأنظار ..

ونجحت التجربة ..

نجحت نجاحًا باهرًا ، أمام أعين الجميع ، إذ اختفت المدمرة تمامًا عن الأنظار ، ولم تترك خلفها سوى سحابة رمادية باهتة ، على مستوى سطح الماء فقط ..

اختفت المدمرة ..

ونجحت التجربة ..

ولكن المشروع فشل تمامًا ..

فعلى الرغم من نجـاح عملية الإخفـاء ، إلا أن المجالات الكهرومغناطيسية القوية ، أوقفت عمل كل آليات المدمرة ، كما أصابت بحارتها بجنون مؤقت ، وبأعراض شتى واضطراب خلايا المخ ..

باختصار ، ثبت أن الإخفاء ، بوساطة المجالات الكهرومغناطيسية القوية ، غير مجد على الإطلاق ، كسلاح حربى فعَّال ..

ولأن النتائج الإجمالية كانت سيئة ، إلى الحد الذى اضطرت فيه البحرية الأمريكية إلى إدخال نصف بحارة المدمرة مصحات نفسية للعلاج ، تم إدراج الأمر تحت بند السرية المطلقة ، ولم يعلن عنه أبدًا ، إلا بعد مرور نصف قرن من الزمان ، وفقًا لقوانين الوثائق الأمريكى ..

ولكن أحد مميزات العلم ، هى أنه ليس حكرًا على أحد ، لذا فقد توصَّل آخرون وآخرون إلى النظرية نفسها ، وإلى النتائج نفسها ، بحيث صار الإخفاء ، عبر المجالات الكهرومغناطيسية القوية أمرًا شائعًا معروفًا ..

ولهذا ، جاء الساحر الشهير (دافيد كوبرفيلد) ، ليستغل هذه النظرية ، فى إخفاء الطائرات ، والبوارج ، وحتى تمثال الحرية الشهير ..

وانبهرنا نحن بما يفعله الساحر الشاب ..

واندهشنا ..

وربما اضطربنا أيضًا ..

ومن المؤكَّد أن العديدين منـا عادوا يشاهدون أفـلام الرجل

www.dvd4arab.com

الخفى ، وطاقية الإخفاء ، وفتوة الغلابة وغيرها ، والتساؤل القديم يعيد طرح نفسه فى الأذهان ..

هل يمكن أن يصبح الإخفاء حقيقة يومًا ما ؟!..

والجواب هو أن العلم لا يعرف المستحيل ..

ولا يتوقَّف أبدًا أمام العقبات ..

لذا فقد واصل العلماء تجاربهم ، فى محاولة للتوصُّل إلى سر القوة .. قوة الاختفاء ..

وعبر تلك المحاولات ، توصَّل العلماء إلى إنتاج طلاء خاص ، شديد السواد ، يمتص كل الأشعة الساقطة عليه ، ولا يعكس منها شيئًا ..

ومن هنا جاءت فكرة الطائرة الشبح ..

طائرة ذات أجنحة ماسية القطع ، قادرة على تشتيت موجات الرادار ، فى نفس الوقت الذى تطلى فيه بذلك الطلاء الخاص ، مما يمنع أجهزة الرادار من رصدها تمامًا ..

وهذه الفكرة تصلح لإخفاء الأجسام المعدنية ، والبعيدة ..

ولكن ماذا عن الأجسام العادية ؟!..

أحد علماء (اليابان) توصل عام 1992 م إلى اختراع زى خاص ، مزوَّد بعدد كبير من كاميرات الفيديو الصغيرة ، التى تنقل كـل منها صـورة ما أمامها ، إلى الجزء العكسى تمامًا لاتجاهها فى الزى ..

بمعنى أصح ، لقد اخترع زيًّا يصنع حالة من الاختفاء الزائف ..

وقد يدهشكم هذا ، ويحيركم ، ويدفعكم للتكذيب والاستنكار أيضًا ، ولكن رداء الإخفاء ، الذى بدأ به الأمر أسطوريًّا ، تحوَّل إلى حقيقة علمية ..

وهنا فى (مصر) ..

وبالتحديد ، فى قسم الفيزياء التجريبية ، بكلية علوم (القاهرة) ..

وباستخدام طلاء خاص أيضًا ، ابتكره الأستاذ الدكتور (محمد على أحمد) ..

والطلاء هذه المرة ثابت ودائم ، ويكفى أن يتم رشه على قطعة من القماش ، حتى تخفى تمامًا كل ما توضع فوقه أو أمامه ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وبدقة أكثر ، لقد اخترعنا نحـــن رداء الإخفـــاء ، أو طاقية الإخفاء الأسطورية الشهيرة ..

اخترعناها هنا ..

فى (مصر) ..

وكما بدأ الأمر ، انتهى ..

بدأ برداء إخفاء ، فى أسطورة نرويجية قديمة ..

وانتهى برداء إخفاء ، فى معمل تجارب مصرى حديث ..

الحلم إذن تحوَّل إلى حقيقة ..

حقيقة علمية ، ومعملية ، وواقعية ، وملموسة ..

حقيقة قد تؤكِّدها كل المعادلات والنظريات والتجارب ، ولكنها تظل دومًا وراء الإدراك البشرى التقليدى ..

فهكذا العلم ، ينطلق دومًا وراء الخيال ..

أو وراء العقل .

* * *

الستار الأسود

(سلسلة داخل سلسلة)

1

Looloo
www.dvd4arab.com

1 ـ عيد ميلاد سعيد ...

ما أجمل الليل ...

هادئ وساكن ، وخال من الزحام والضوضاء ، وبخاصة فى تلك البقعة شبه الخالية ، فى طريق الإسماعيلية ، على مسافة كيلومترات قليلة ، من مدينة العاشر من رمضان ...

هناك كنت أنطلق ، على دراجتى البخارية القوية ، التى يشق ضجيج محركها الصغير ، مع ضوضاء أنبوب العادم ، ذلك السكون البديع لليل ...

وعند تلك المنطقة التجارية ، توقَّفت ، وجلت بنظرى فيما حولى فى إمعان ...

كل شىء كان هادئًا ، ساكنًا ، على خلاف ما يكون عليه فى الصباح ...

إلا ذلك المتجر الصغير ، على بعد أمتار من آخر المحال ...

كان من المدهش أن يكون مفتوحًا ، تنبعث منه الأضواء ، فى هذه الساعة ، حيث اقتربنا من الثانية صباحًا ...

أوقفت دراجتى البخارية ، وتحسَّست تلك المدية الحادة فى جيب سروالى الخلفى ؛ لأطمئن إلى وجودها ، ثم اتجهت إلى ذلك المتجر..

فالليل هو ملعبى ..

ومصدر دخلى الرئيسى ...

فى الليل ، يمكنك أن تربح الكثير ...

تستوقف شابًّا ، وتجبره على أن يعطيك هاتفه المحمول ...

أو تقتحم صيدلية ليلية ، وتسرق ما بها من مواد مخدرة ...

أو تفاجئ حبيبين فى سيارة ، فتأخذها منهما عنوة ، وتتركهما فى العراء ...

الليل كله أرباح ...

بالنسبة لمثلى على الأقل ...

وصاحب ذلك المتجر الصغير ، سيكون مصدر دخلى الليلة ...

وهذا خطؤه ...

ما كان ينبغى له أن يظل فى متجره الصغير ، فى ساعة متأخرة كهذه ...

هذا خطؤه بالتأكيد ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وعندما وصلت إلى ذلك المتجـر ، تضاعفت دهشتى ، عندما فوجئت بأنه متجر لبيع ألعاب الأطفال !!

أى متجر ألعاب هذا ، الذى يظل مفتوحًا ، فى منطقة أغلقت كل أبوابها ، وفى مثل هذه الساعة ؟!...

بل أى أحمق ، يبقى هنا ، بعد أن انصرف الجميع ؟!...

أى أحمق ؟!...

دفعت باب المتجر الزجاجى ، وأنا أتحسَّس مديتى مرة أخرى ، ووقفت فى المتجر ، أتلفت حولى فى توتر...

لم يكن هناك أحد ...

فقط ألعاب من البلاستيك والفراء ، تملأ كل الأرفف ...

ولا أحد ...

تنحنحت على نحو عصبى ، وأنا أقول :

ـ هل من أحد هنا ؟!

إثر سؤالى ، فتح أحدهم بابًا جانبيًّا ، لم أكن لأنتبه إلى وجوده أبدًا ؛ لتشابهه المتقن مع الجدار من حوله ، فتراجعت بحركة

عصبية حادة ، وتطلعت فى دهشة إلى شيخ طاعن فى السن ، بدا شاحبًا على نحو عجيب ، على الرغم من ابتسامته الهادئة الطيبة ، وهو يقول :

ـ أنا هنا يا بنى .

مرأى ذلك الشيخ ، الذى ينقل قدميه فى صعوبة ، جعل فكرة الرحيل تراودنى لحظة ، إلا أننى لم ألبث أن طرحتها جانبًا ، وأنا أقول فى خشونة :

ـ أريد هدية عيد ميلاد لابن شقيقتى .

رمقنى الشيخ بنظرة طويلة ، خلت معها أنه سيستنكر قدومى فى هذه الساعة ، لشراء هدية عيد ميلاد ، إلا أنه لم يلبث أن قال فى هدوء :

ـ لقد جئت فى الوقت المناسب .

أدهشتنى بشدة عبارته ، التى لا تتناسب فعليًّا مع الوقت ، ولكنه أضاف ، وهو يشير بابتسامة باهتة ، إلى كومة ألعاب ، غير متراصة بعناية :

ـ لقد كنت أجـرى جـردًا ، لمجموعة ألعـاب ، سنقدمها بتخفيض كبير ، فى حفل الافتتاح غدًا .

Looloo
www.dvd4arab.com

أدركت عندئذ لماذا بقى الرجل فى متجره ، حتى هذه الساعة المتأخرة ، فغمغمت فى شىء من الخشونة ، التى لم أتعمدها :

ـ هذا من حسن حظى .

عاد الشيخ يبتسم ، ابتسامة أشد شحوبًا من وجهه ، وهو يغمغم :

ـ إنه قدرك .

كان حديثه عـــن حفل الافتتاح فى الغـــد ، قد أصابنى ببعض الإحباط ؛ نظرًا لأن هذا سيعنى خلو خزينته من النقود ....

ثم أنه ما من لص يحترم نفسه ، يمكن أن يسرق كومة من الألعاب والدمى القرائية السخيفة ...

كنت أفكر فى هذا ، عندما سألنى الشيخ الشاحب فى اهتمام :

ـ أيهما تفضل ؟

قالها ، وهو يشير إلى الألعاب ، التى لم أبال بها إطلاقًا ، وأنا أقول :

ـ الواقع أننى كنت أفكر فى هدية أفضل .

رمقنى الشيخ بنظرة طويلة أخرى ، قبل أن يقول :

ـ قلت لك : إنه قدرك .

ثم أشار إلى الباب ، الذى خرج منه ، وهو يضيف :

ـ عندى فى أسفل مجموعة جديدة ، لم أنته من تصنيفها بعد ، وبها لعبة إليكترونية رخيصة الثمن ، ستروق لابن شقيقتك بالتأكيد .

أدرت ظهرى له ، وأنا أقول فى ضجر :

ـ ربما فى مناسبة أخرى .

كنت أهم بمغادرة المكان ، عندما سمعته يقول ، بنفس الهدوء الشاحب :

ـ فليكن ... سأعود إلى جرد الخزانة .

توقفت مع سماع كلمة (الخزانة) ، والتفت إليه ، قائلاً :

ـ ولكن من يدرى ... ربما أعجبتنى تلك اللعبة الإليكترونية ... تقول إنها رخيصة الثمن ... أليس كذلك ؟!

اتجه نحو ذلك الباب ، وهو يقول فى شحوب :

ـ انتظر ... سأحضرها لك .

Looloo
www.dvd4arab.com

كان من الواضح أنه سيهبط إلى حيث خزانة النقود ، فقلت فى سرعة ، أخشى أنها قد شفت عن لهفتى :

ـ لا ترهق نفسك ... سأهبط معك ؛ لأراها بنفسى .

التفت إلى الشيخ مبتسمًا ، وغمغم :

ـ ربما كان هذا أفضل .

كنت أشعر أن أذنى تبذلان جهدًا حقيقيًا لسماعه ؛ إذ كان يفتح شفتيه بالكاد ، مع صوته الضعيف ، فأسرعت إليه ، قائلاً :

ـ نعم ... هذا أفضل بالتأكيد .

تقدمنى الرجل نحو الباب ، الذى يقود إلى سلم خشبى ضيق ، هبطت فيه معه إلى قبو خافت الإضاءة ، تفوح منه رائحة عطنة ، توحى بأن يد النظافة لم تمتد إليه منذ زمن ...

وعلى الضوء الخافت ، شاهدت الخزانة ...

خزانة معدنية كبيرة ، يسيل لها لعاب أى لص محترف ؛ ربما لأنها لا تستخدم إلا لحفظ كميات النقد الكبيرة ، و ...

وفجأة ، انتبهت إلى ذلك الصبى ...

كان صبيًا شاحبًا نحيلاً ، يجلس صامتًا على مقعد قديم ، فى ركـن القبو ، ويبدو بائسًا إلى حد كبير ، وإن بدا الاهتمام فى عينيه الواسعتين ، وهو يتطلع إلى بلا خوف ، والشيخ يشير إليه ، قائلاً :

ـ إنه حفيدى ... تصادف أن عيد مولده اليوم ، فأتيت به من أجل هديته ..

غمغمت ، دون أن أرفع عينى عن الصبى :

ـ أهو مريض ؟!... إنه شاحب بشدة .

كان وجود الصبى يضايقنى بالفعل ، إذ أن الاستيلاء على النقود فى الخزانة ، سيضطرنى للتخلص منه مع جده ....

وهذه أهم نقطة فى مهنتى ...

لا تترك خلفك شهودًا ...

أبدًا ...

كاد جزءًا من ضميرى يستيقظ ، مع رؤية ذلك الصبى الشاحب النحيل ، ولكننى أسرعت أخمده ، بنظرة أخرى على الخزانة الكبيرة ، والشيخ يقول :

Loolbo www.dvd4arab.com

ــ إنه فقط لم يتناول طعامه منذ فترة ؛ فهو هنا منذ زمن طويل .

غمغمت بكلمـــات لا أذكرها ، والشيخ يستطرد ، مشيرًا إلى كومة أخرى من الألعاب ، على مقربة من الصبى :

ــ اللعبة هنا ، ولكنها ستحتاج إلى بعض البحث .

تحسست مديتى فى تحفز ، وأنا أقول فى خشونة :

ــ فيما بعد .

التفت إلى الشيخ بنظرة خاوية ، فانتزعت مديتى ، وشهرتها فى وجهه ، وأنا أقول :

ــ ما يشغلنى الآن ، هو محتويات تلك الخزانة .

كنت أتوقع صراخًا أو ذعرًا ، ولكن الشيخ بدا هادئًا إلى حد عجيب ، فى حين ظل الصبى ساكنًا فى مقعده ، فكررت فى حدة :

ــ افتح الخزانة .

أطاعنى الشيخ فى استسلام عجيب لم أتوقعه ، وهو يقول :

ــ لا بأس ، ولكنك لن تجد بها ما تتوقعه .

زمجرت ، قائلاً :

ــ سأكتفى بما أجده .

استدار الشيخ فى هدوء مستفز ، وأنا ألوح بمديتى ، وفتح الخزانة ، وهو يقول :

ــ ها هى ذى .

حدَّقت فى محتويات الخزانة بمنتهى الدهشة والتوتر ، وأنا أهتف بلا وعى :

ــ ما هذا بالضبط ؟!

وكان هذا آخر ما نطقت به ...

فمع آخر العبارة ، تلقيت ضربة قوية ، على مؤخرة رأسى ، و...

فقدت الوعى ...

لست أدرى كم بقيت فاقد الوعى ، فى ذلك القبو خافت الإضاءة ، ولكننى عندما استيقظت ، كنت مكمم الفم فى إحكام ، ويداى وقدماى مشدودة إلى قضيب معدنى قوى ، بأغلال فولاذية ، جعلتنى معلقًا أفقيًا فى الهواء ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وكان ذلك الشيخ الشاحب يقف مع حفيده الأكثر شحوبًا ، على قيد خطوات منى ، وهو يبتسم تلك الابتسامة الهادئة ، قائلاً :

لم أفهم ما يقوله ، وحاولت قول أى شىء ، ولكن تلك الكمامة القوية أخرستنى تمامًا ... وبعينين مذعورتين ، شاهدت الشيخ يخرج مجموعة من السكاكين الطويلة ، والسواطير الضخمة من الخزانة المعدنية الكبيرة ، ويربت على رأس حفيده فى حنان ، قائلاً :

- سيكون الطعام جاهزًا بعد قليل .

وفى هدوء ، انحنى يشعل النار فى موقد كبير أسفلى ، وشعرت باللهب يحرق جسدى ، وأنا عاجز عن الصراخ ، فى حين بدأ الشيخ يدير ذلك العمود المعدنى القوى ، وهو يربت مرة أخرى على رأس حفيده ، وقد ابتسم كلاهما ، وظهرت أنيابهما الحادة الطويلة ، الشبيهة بأنياب الذئاب ، والشيخ يقول بكل الحنان لحفيده :

- عيد ميلاد سعيد .

وكان هذا آخر ما سمعته ...

على الإطلاق .

* * *

2 - أعلى ... أم أسفل ..

« لست أنصحك بالسكنى فى طوابق مرتفعة » ...

قالها (صبحى) ، سمسار العقارات للمهندسة (ناهد) ، فى توتر واضح ، وهو يشير إلى المبنى ، الذى يحوى ثلاث شقق خالية ، فى واحد من أرقى أحياء المدينة ، فالتفتت إليه فى دهشة ، قائلة :

- ولكنك أخبرتنى أن البناية لها مصعد كبير .. أليس كذلك؟!

تردد لحظة ، قبل أن يقول ، فى لهجة عجيبة :

- المصاعد تتعطل أحيانًا .

تطلعت إليه بنفس الدهشة لحظات ، ثم لم تلبث أن ابتسمت ، وهى تقول :

- البناية تبدو لى حديثة العهد ، على الرغم من عراقة المنطقة ، فلماذا يتعطل مصعدها كثيرًا ؟

تردد لحظة أخرى ، على نحو غير مفهوم ، مما جعلها تتابع ، فى شىء من السخرية :

Lolo
www.dvd4arab.com

ـ أم أنك تخشى المصاعد على نحو عام ؟!

بدا (صبحى) مرتبكًا بعض الشىء ، ثم لم يلبث أن قال فى توتر :

ـ ربما هذا المصعد بالتحديد .

مالت نحوه ، تسأله فى اهتمام :

ـ ولأى سبب ؟!

شاهدت فى عينيه لمحة خوف عجيبة ، أثارت حيرتها ، وجعلتها تعتدل ، قائلة فى توتر ، انتقل منه إليها :

ـ هل ستحصل من مالك الشقة السفلى ، على سمسرة أكبر ؟!

تواصلت لمحة الخوف فى عينيه ، ممتزجة بتردده وقلقه ، ثم لم يلبث أن أشاح بوجهه ، وهو يقول ، فى شىء من العصبية :

ـ ليست هذه هى الفكرة .

بدت الصرامة فى ملامحها وصوتها ، وهى تقول :

ـ فى هذه الحالة ، سأختار الشقة فى الطابق الخامس ؛ فهى أكثر أناقة ، وأقل إيجارًا ... ثم أننى لن أستأجرها إلا لشهر واحد ؛ حتى أنهى عملى فى مدينتكم .

تردد (صبحى) لحظة أخرى ، ثم لم يلبث أن زفر فى توتر ، قائلاً :

ـ هذا شأنك .

ناولها مفتاح الشقة بأصابع مرتجفة ، بدت لها ملحوظة للغاية ، إلا أنها ، بطبيعتها الصارمة ، تجاهلت هذا ، ووقعت العقد ، واستلمت مفتـــاح الشــقة المفروشـــة فى الطـــابق الخامس ، و(صبحى) يغمغم مكررًا ، فى صوت حمل ارتجافة أصابعه :

ـ تذكرى أن هذا شأنك .

كانت تشعر بالإرهاق ، بعد يوم شاق من البحث عن شقة جيدة الأثاث ، فى مكان راق ، يمكنها أن تقيم فيها خلال ذلك الشهر ، الذى يستلزمه إتمام عملها فى تلك المدينة الساحلية الجميلة ، لذا فهى لم تبال بموقفه ، وقررت الصعود إلى الشقة على الفور ؛ لتنال قسطًا من الراحة ، قبل أن تخرج للتجول فى المدينة ، التى لم يغب سحرها عنها ، منذ كانت تقضى الصيف فيها مع أسرتها ، فى طفولتها وشبابها ...

وبكل هدوء ، استقلت المصعد الكبير ، وصعدت إلى حيث شقتها ، دون أن يحدث ما يسىء ... كانت الشقة صغيرة نسبيًا ، ولكنها جيدة

الأثاث على نحو ملحوظ ، وبها شرفة جانبية ، تطل على البحر ، توقفت فيها طويلاً ، تستنشق عبير هواء البحر ، المشبع باليود ، فى استمتاع شديد ، قبل أن تغتسل ، وتغرق فى نوم عميق ...

عندما استيقظت ، كانت الشمس قد غربت بالفعل ، وبدت الشقة غارقة فى الظلام ، إلا من أضواء خافتة ، تنقلها إليها اللافتة المضيئة ، لذلك الفندق القديم ، المجاور للبناية ، فجلست فى الشرفة قليلاً ، تتابع حركة السيارات على الكورنيش ، ثم ارتدت ثيابها ؛ لتخرج للاستمتاع بالمدينة فى الليل ...

كان الطابق الذى تقيم فيه يحوى شقتين ، والأخرى تبدو مظلمة ، وكأنما لا يسكنها أحد ، ولقد أشعرها هذا بشىء من الارتياح ؛ لأن أحدًا لن يزعجها حتمًا ، طوال فترة إقامتها ، التى قد لا تستغرق الشهر بأكمله ...

وفى هدوء ، وصل المصعد إلى طابقها ، ولكنه لم يكن مضيئًا ، شأن المصاعد الحديثة ، بل كان يحوى مصباحًا واحدًا خافتًا ، يمكنك أن تميز ما حولك معه فى صعوبة ، إلى أنها دلفت إليه ، وضغطت زر الطابق السفلى ، ووقفت تنتظر ....

ثم فجأة ، انتبهت إلى ذلك الواقف فى الركن ...

لم تكن قد تبينته ، عند دخولها المصعد ، مع الضوء شديد الخفوت ، فانتفض جسدها لحظة ، خجلت بعدها من شهقة الدهشة المذعورة ، التى انطلقت منها عفويًا ، فحاولت أن تبتسم ، وهى تقول :

ــ معذرة ... لم أنتبه إليك فى البداية .

على الضوء شديد الخفوت ، والذى يختفى عند عبور المصعد ، لتلك المسافة بين الطوابق ، رأت فيه رجلاً متوسط الطول ، له شعر أشيب قصير ، يضم يديه أمام جسده ، ويخفض وجهه كله ، وكأنه يتأمل أرضية المصعد ...

ولقد اكتفى ذلك الرجل برفع يده اليمنى قليلاً ، وكأنه يعلن قبول اعتذارها ، ثم عاد إلى وقفته ، فى صمت عجيب ...

ولأنها وجدت أن هذا ليس من حسن الخلق ، فقد اعتدلت فى وقفتها ، وأبعدت نظرها عنه ، فى انتظار هبوط المصعد إلى الطابق الأرضى ...

وظل المصعد يهبط ...

ويهبط ....

ويهبط ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وشعرت (ناهد) بمزيج من الدهشة والخوف ...

إنها تقيم فى الطابق الخامس ، والمفترض أن يعبر المصعد خمسة طوابق ، قبل أن يصل إلى الطابق الأرضى ، ولكنها أحصت سبعة طوابق حتى الآن ، و ...

وفجأة ، توقف المصعد ...

وكلمة (فجأة) هنا لم تكن مبالغة ، فقد توقفت بالفعل على نحو مباغت ، اختل معه توازنها أو كاد ، حتى أنها ألصقت يديها ببابه ، حتى لا تقع أرضًا ، وغمغمت فى سخط :

ـ هذا المصعد اللعين ، يحتاج بالفعل إلى إصلاح .

بدت لها العبارة فجأة ، فى وجود ذلك الراكب الآخر ، فالتفتت إليه نصف التفاتة ، قائلة :

ـ معـذرة .

مرة أخرى ، اكتفى الرجل برفع يده اليمنى قليلاً ، دون أن يجيب ، فى نفس الوقت الذى انفتح فيه باب المصعد ، فغادرته مغمغمة :

ـ تفضل .

ولكن الرجل اكتفى مرة أخرى برفع يده اليمنى ، دون أن يرفع وجهه إليها ، ولم يغادر مكانه ، فهزت كتفيها ، متصوِّرة أنه لم يكن يرغب فى الهبوط ، ولكنها استدعت المصعد قبل أن يغادره ، مما اضطره للصعود إلى طابقها ، ثم لم تسأله هى عن الطابق الذى ينشده ، قبل أن تضغط زر الطابق الأرضى ...

الفكرة جعلتها تغادر المبنى ، وتلقى نظرة عليه من الخارج ؛ لتتأكد أنه من خمسة طوابق ، قبل أن تغمغم :

ـ ربما أخطأت العد ...

ألقت كل هذا خلف ظهرها ، وهى تستقل سيارتها إلى منتصف المدينة ، حيث التقت بصديقة قديمة ، تقيم فى تلك المدينة الساحلية ، وقضيا معًا سهرة لطيفة ، قبل أن تغادرها قرب منتصف الليل ، عائدة إلى حيث تقيم ....

وعند مدخل البناية ، فوجئت بالسمسار (صبحى) يقف ، متطلعًا إلى المصعد فى قلق أثار ضحكتها ، وجعلها تسأله ، وهى تدلف إلى حيث المصعد :

ـ هل سجنت داخل المصعد فى طفولتك أم ماذا ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

انتفض (صبحى) لمرآها ، والتفت إليها بعينين مذعورتين ، كما لو أنه قد رأى شبحًا ، وما أن تبين هويتها ، حتى سألها ، فى خليط من اللهفة والقلق :

ـ ألنت بخير ؟!

أجابته فى دهشة :

ـ بالتأكيد ... ولماذا لا أكون ؟!

نقل بصره بينها وبين المصعد ، قبل أن يسألها فى خوف :

ـ هل تنوين استقلال المصعد ، فى هذه الساعة ؟!

أحنقها قوله ، فضغطت زر المصعد ، وهى تقول فى صرامة :

ـ إنك لا تتوقع منى أن أصعد على قدمى إلى الطابق الخامس .

غمغم فى عصبية :

ـ ربما كان هذا أفضل ، فى مثل هذا التوقيت .

التفتت إليه فى غضب ، قائلة فى حدة :

ـ اسمع يا رجل ... احتفظ بعقدك هذه لنفسك ، واتركنى أنا لشأنى ... إننى أبغض التدخل فى شئونى على هذا النحو .

تردد (صبحى) لحظات ، ثم قال فى استسلام :

ـ فليكن ... هذا شأنك .

تابعته ببصرها ، حتى ابتعد عن المكان ، واختفى فى شارع مجاور ، وقالت فى حنق :

ـ يا له من لجوج !

كان المصعد قد وصل بالفعل ، فدلفت إليه ، وامتدت سبابتها إلى زر الطابق الخـامس ، عنـدما انتفض جسدها فى قوة ، وأطلقت شهقة قوية ، قبل أن تقول فى عصبية ، وهى تتطلّع إلى نفس الرجل ، الذى بدا وكأنه لم يغادر مكانه أو وقفته ، منذ غادرت البناية :

ـ معذرة ، ولكن موقفك هذا يثير التوتر بالفعل .

ولأوّل مرة ، تحدث ذلك الرجل ...

كان صوته خافتًا ، ممتلئًا بالحزن والأسى ، وهو يقول :

ـ كان ينبغى أن يضعوا لافتة ، تشير إلى أن المصعد معطل .

لم تُفهم (ناهد) ما يعنيه هذا ، فغمغمت ، وهى تحاول التكيف مع ذلك الضوء الخافت ؛ لترى وجه الرجل :

www.dvd4arab.com

ـ ماذا تعنى ؟!... إنه يعمل منذ الصباح ، ولقد هبط هذه المرة فى هدوء !

لم يبد أن الرجل قد سمعها ، وهو يواصل :

ـ كان ينبغى على الأقل ، أن يصلحوا الباب ، حتى لا ينفتح فى غباب المصعد .

مالت نحوه ، محاولة رؤية ملامحه ، وهى تغمغم :

ـ من تعنى بالضبط ؟!

واصل حديثه ، قائلاً فى غضب :

ـ وينبغى أن يدفعوا الثمن ...

ثم رفع وجهه إليها دفعة واحدة ، قائلاً فى غضب شرس :

ـ كلهم .

وتراجعت (ناهد) فى رعب ، وهى تطلق صرخة قوية ...

فوجه الرجل كان مشوهًا فى شدة ، وتغمره الدماء على نحو مخيف...

وفى نفس اللحظة ، التى رفع فيها وجهه إليها ، بدأ المصعد يهبط فى سرعة ، على الرغم من وجوده فى الطابق الأرضى ...

وصرخت (ناهد) ثانية ، وبقوة أكبر ، عندما اختفى الرجل دفعة واحدة ...

وصرخت ...

وصرخت ...

وضغطت كل أزرار المصعد ، إلا أنه واصل هبوطه بسرعة مخيفة ، ضاعت معها صرخاتها ... تمامًا...

وبعد أسبوع واحد ، وبينما الشمس تغمر البناية الحديثة نسبيًا ، فى ذلك الحى العريق ، سأل السمسار (علوى) ، زميله (صبحى) ، الذى يجلس على مقعد خشبى صغير ، متطلعًا إلى البناية :

ـ ألم تظهر بعد ؟!

غمغم (صبحى) :

ـ لن تظهر .

ثم أشار إلى سيارة (ناهد) ، التى علتها بعض الأتربة ، والتى لم تغادر مكانها ، منذ تلك الليلة ، متابعًا :

ـ إن عاجلاً أو آجلاً ، سيأتى أحدهم للبحث عنها .

سأله (علوى) ، شأن من اعتاد الأمر :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ وهل ستبلغ الشرطة ؟!

صمت (صبحى) لحظات ، ثم هز رأسه نفيًا ، وغمغم :

ـ سيتهموننى بالجنون ، لو فعلتها مرة أخرى .

سأل (علوى) فى اهتمام :

ـ ماذا ستفعل إذن ؟!

هز (صبحى) كتفيه ، وقال :

ـ كالمعتاد ... سأنتظر حتى نهاية العقد ، ثم أعرض الشقة مرة أخرى للإيجار .

بدا (علوى) قلقًا ، وهو يقول :

ـ وهل ستخبر سكانها الجدد بما ينتظرهم ؟!

صمت (صبحى) لحظات أخرى ، ثم عاد يهز كتفيه ، مجيبًا فى صوت خافت :

ـ هذا شأنهم .

وعاد يتطلع إلى البناية ...

فى صمت .

* * *

3 ـ نـــداء ...

بدأت تلك الليلة هادئة ، كمعظم ليالى الصيف ، فى الريف المصرى ، وعلى الرغم من الصخب المحدود ، فى ذلك الركن الصغير ، الشبيه بالمقهى ، عند أطراف القرية ، بسبب متابعة البعض لمباراة كرة قدم مهمة ، بين فريقين أجنبيين ، ومن كركرة الشيشة المعتادة ، وأصوات أكواب الشاى الساخن ، وهى توضع وترتفع عن الموائد الخشبية شبه المتهالكة ، ساد باقى القرية هدوء جميل ، بعد أن شارفت الساعة منتصف الليل ، وأوى معظم أهل القرية إلى فراشهم ؛ استعدادًا ليوم العمل التالى ...

وفى ضجر واضح ، غمغم (فتحى) ، موظف مكتب الإصلاح الزراعى الجديد فى القرية ، مشيرًا إلى زميله (ممدوح) :

ـ أهذه هى وسيلة الترفيه الوحيدة هنا ؟!..

ابتسم (ممدوح) ، قائلاً :

ـ إنها كذلك ، ولكن سرعان ما تعتاد الأمر ، فالقوم هنا أبسط بكثير من سكان المدن ، على الرغم من أن الجيل الجديد منهم لم يعد يعمل فى الزراعة كالسابق .

Looloo www.dvd4arab.com

قلب (فتحى) شفتيه ، قائلاً :

ـ هذه كارثة ، أن ينفصل سكان الريف عن ريفهم ، فمازلت أذكر كيف كانت جدتى تحقق اكتفاءً ذاتيًا فى قريتنا ، ولا تحتاج تقريبًا لشراء مستلزماتها الأساسية من المدينة... انظر إلى ما يحدث الآن ... إنهم يبتاعون الجبن والبيض والخبز من المدينة ، بعد أن كانوا هم من ينتجون هذه الأشياء .

هز (ممدوح) كتفيه ، قائلاً فى بساطة :

ـ الزمن يتطور يا رجل .

غمغم (فتحى) فى سخط :

ـ إلى الأسوأ .

استدار إليه (ممدوح) ، قائلاً :

ـ كل شىء فى الوجود له سلبياته وإيجابياته ... على الأقل ارتفعت نسبة التعليم بينهم.

قال (فتحى) فى سخط مستنكر :

ـ وهل تسمى هذا تعليمًا ؟!... إنهم مازالوا يعيشون فى خرافات الماضى ، ويرددون نفس الروايات السخيفة ، التى كانت

ترويها لنا جدتى فى طفولتنا ... أتصدق أنهم مازالوا يروون قصة (النداهة) ، فى العقد الثانى من القرن الحادى والعشرين ؟!..

بدا التردد والتوتر واضحين ، على ملامح (ممدوح) ، وهو يغمغم فى صوت ، حمل الانفعالين نفسيهما :

ـ ليست كلها خرافات .

التفت إليه (ممدوح) ، بنظرة تجمع بين الاستنكار والازدراء ، وهو يقول :

ـ لا تقل لى إنك تؤمن بخرافة (النداهة) هذه ؟!

تردد (ممدوح) لحظات أخرى ، ثم قال فى خفوت :

ـ كثيرًا ما تحمل لمحة من الحقيقة ... أنت تعلم أن الحكم القديمة تقول : إنه لا دخان بلا نار .

أجابه فى شىء من الحدة :

ـ ما تعلمناه فى صفوف الكيمياء ، يؤكد وجود الكثير من الدخانٍ بلا نار .

رمقه (ممدوح) بنظرة متوترة ، ثم أشاح عنه بوجهه ، وكأنه لا يريد الاستطراد ، ولكن (فتحى) تابع فى إصرار :

Loolooo
www.dvd4arab.com

ـ من يصدق ، فى القرن الحادى والعشرين ، وجود جنية الحقول هذه ، التى تناديك باسمك ، أثناء سيرك بين الحقول ، فإذا ما التفت إليها ، طار عقلك ، وصرت مجنونًا .

غمغم (فتحى) ، فى لهجة استفزازية :

ـ وهل تصدقها أنت ؟!

ظل (ممدوح) صامتًا بعض الوقت ، متظاهرًا بمتابعة شاشة التلفاز الصغير ، ثم لم يلبث أن غمغم ، فى شىء من الحدة :

ـ لكل شأنه يا رجل .

كان من الواضح أنه يرفض خوض هذا الحديث ، مما ضاعف فى أعماق (فتحى) ذلك الشعور بالضجر والسخط ، فنهض بحركة حادة ، قائلاً :

ـ الأفضل أن أذهب للنوم .. هذا لو استطعت احتمال ذلك المنزل الحقير ، الذى يمنحونه لموظفى المصلحة .

غمغم (ممدوح) مرة أخرى ، دون أن يلتفت إليه :

ـ فليكن .

ثم استدار نصف استدارة نحوه ، مكملاً :

ـ ولكن خذ حذرك .

ابتسم (فتحى) ابتسامة ساخرة ، وألقى نظرة مستنكرة عليه ، ثم غادر المقهى ، عائدًا إلى ذلك المنزل الصغير ، فى الطرف الآخر من القرية ...

كان السكون يخيم على كل شىء تقريبًا ، ولكن الطقس بدا منعشًا ، مما جعله يسير بين الحقول ، مدندنًا بأغنية عاطفية قديمة ، عشقها منذ حداثته ...

« أستاذ (فتحى) ... »

فجأة ، ارتفع ذلك النداء ، بصوت خافت مبحوح ، حمل رنة أنثوية واضحة ، فانتفض جسده كله دفعة واحدة ، وتجمدت حركته ، فتوقف بغتة ، وشعر بتلك القشعريرة تسرى فى جسده ...

لا ... مستحيل !... هذا لا يمكن أن يحدث ...

لا يمكن أن يكون هذا حقيقة ...

(النداهة) خرافة ...

مجرد خرافة ...

ردد هـذا فى أعماقه ، فى محاولة لانتزاع ذلك الخوف من نفسه ، ودفع قدميه دفعًا ليواصل طريقه ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وإن تسارعت خطواته بعض الشيء ...

ومرة أخرى ، تردد ذلك النداء الأنثوى من خلفه ...

نداء يحمل اسمه ...

وبصوت أكثر ارتفاعًا ...

وفي هذه المرة ، طرح عقله كل محاولاته جانبًا ، أمام ذلك الرعب ، الذى سيطر على كيانه كله ...

إذن فهى حقيقة ...

(النداهة) ليست خرافة ....

ما روته له جدته فى طفولته لم يكن وهمًا ...

(النداهة) حقيقة ...

وها هى ذى تناديه ، كما روت له الجدة بالضبط ...

تناديه باسمه ، وسط الحقول ، بعد منتصف الليل ...

تسارعت خطواته ، على نحو كبير ، وارتجف جسده كله فى شدة ...

ومن خلفه ، سمع خطوات أخرى ..

خطوات مسرعة ، تحاول اللحاق به ...

واتسعت عيناه ، فى رعب بلا حدود ...

ومرة ثالثة ، تصاعد ذلك النداء الأنثوى من خلفه ...

نداء باسمه ... وبصوت واضح ...

واضح للغاية ...

إنها خلفه ...

تسرع نحوه ...

تريد أن تقتنصه ...

واستعاد عقله كل حكايات جدته ...

لا ينبغى أبدًا أن يلتفت إليها ، وإلا سلبته عقله ...

لا ينبغى أن يلتفت أبدًا ...

ومع النداء الرابع ، الذى بدا مرتفعًا أكثر من ذى قبل ، تحولت خطواته المسرعة إلى جرى مذعور...

كان يحاول مغادرة منطقة الحقول ، قبل أن تلحق به ...

Loeloe
www.dvd4arab.com

ولكن الخطوات من خلفه تسارعت أكثر وأكثر ...

ومع النداء الخامس ، الذى يحمل اسمه ، بدأ يصرخ دون وعى :

ــ ابتعدى عنى ... ابتعدى عنى ...

ولكن الخطوات تسارعت خلفه أكثر و...

وفجأة ، أدرك أنه قد ضل طريقه ، وأنه محاط بالحقول من كل صوب ، وتعثرت قدماه على الطريق غير الممهد ، فحاول أن يتشبث بشىء ...

أى شىء ...

وفى محاولة يائسة ، أمسك عودًا من أعواد الذرة ، ولكن العود انكسر مع ثقله ، فاختل توازنه ، وسقط أرضًا...

ومع رعبه الشديد ، شعر بتلك الأقدام تتوقف ، على قيد خطوة واحدة منه ...

ثم انتفض جسـده بكل رعب الدنيـا ، عندما شعر بيد رقيقة توضع على كتفـه ، مع صـوت أنثـوى متوتر ، يكرر النداء باسمه ...

وبينما يستدير ليدفع تلك اليد عن كتفه ، ارتطم بصره بوجهها ..

وجه أنثوى ، وسط ملاءة سوداء ، تحيط به ..

وصرخ (فتحى) ...

وصرخ ..

وصرخ ...

« ما الذى أصابه ؟!... » ...

نطقها ضابط النقطة فى دهشة ، وهو يتطلع إلى (فتحى) ، الذى اتسعت عيناه ، وراح يضرب الهواء بذراعيه ، وكأنما يدفع عنه عدوًا مجهولاً ، وقد حملت ملامحه كلها علامات الرعب والجنون ، فأجابته (سيِّدة) زوجة شيخ خفر القرية فى ارتباك وانفعال :

ــ لست أدرى يا باشا ... لقد شاهدته يسير وسط الحقول ، متجهًا إلى حيث ترعة القرية ، وأدركت أنه قد ضل طريقه ، فأسرعت خلفه ؛ لأحذره من هذا ، ولكنه راح يعدو نحو الترعة ، وعدوت خلفه أناديه ، حتى لا يسقط فيها ، وعندما تعثر ، أردت أن أساعده على النهوض ، ففوجئت به يصرخ فى شدة ، وقد أصابه ما أصابه .

Looloo
www.dvd4arab.com

تطلع ضابط النقطة فى إشفاق إلى (فتحى) ، وهو يغمغم :

ـ المسكين أصيب بالجنون ، وملامحه توحى بأنه قد شاهد ما أثار رعبه ، وأفقده صوابه ... أى شىء يمكن أن يفعل برجل ناضج هذا ؟!

كان (ممدوح) يعلم الجواب ...

ولكنه لم ينبس بحرف واحد ...

فخشيته من المسئولية ، أطلقت فى أعماقه نداء الصمت ...

ويا له من نداء !

* * *

4 ـ ميمى الصغير ...

انهمر المطر فى غزارة ، فى تلك الليلة من ليالى الشتاء ، وأسرع (محمود) يحث الخطى ، محاولاً عبور تلك المنطقة من الميدان الكبير ؛ للاحتماء بأحد الشرفات البارزة ، من المطر المنهمر ...

كانت عقارب الساعة مازالت تشير إلى السادسة مساءً ، ولكن الغيوم الكثيفة ، التى غطت السماء ، أوحت بوقت أكثر تقدمًا ، وأضفت على الميدان كله طابعًا كئيبًا ، على الرغم من السيارات التى تعبره ، وتزاحم حركة المرور فيه ؛ بسبب الأمطار الغزيرة ، مع خلوه من المارة تقريبًا ؛ لاحتماء معظمهم بمداخل البنايات ، أملاً فى انتهاء تلك النوة البحرية العنيفة ...

ولم يكد يصل إلى ذلك المكان ، أسفل شرفة كبيرة ، حجبت المطر من بقعة صغيرة ، أدهشه ألا يحتمى بها سواه ، حتى ألصق ظهره بالجدار ، ولهث على نحو لا يتناسب مع المسافة التى قطعها ، وغمغم :

ـ متى ينتهى هذا المطر؟!..

Looloo
www.dvd4arab.com

لم يكد ينطقها ، حتى تناهى إلى مسامعه بكاء طفل ..

كان بكاءً خافتًا ، ينبعث من ممر بين بنايتين ، ويجاور موضعه تمامًا ...

وفى قلق وفضول ، حاول (محمود) أن يميل بجسده ؛ ليلقى نظرة على ذلك الممر ، إلا أن المطر الغزير جعله يتراجع مرة أخرى ، ويلتصق بالجدار ..

ولكن بكاء الطفل تواصل ...

وتواصل ...

كان بكاءً حارًا ، انفطر له قلبه ، فلم يحتمل البقاء فى مكانه ، وإنما مال بجسده ، تاركًا المطر ينهمر فوقه ، وهو يطل على الممر الضيق ، الذى بدا مظلمًا للغاية ، وهو يهتف :

ـ من هناك ؟!...

لم ينقطع بكاء الطفل مع ندائه ، وإن بدا شديد الوضوح ، وهو يضع رأسه عند مدخل الممر ، فتردد لحظة ، ثم غادر مكمنه ، إلى حيث ينهمر المطر ، ووقف عند أول الممر ، يتساءل :

ـ لماذا تبكى ؟!..

ومع سؤاله ، لمح ذلك الطفل لأول مرة ...

كان ينكمش مرتجفًا ، خلف صندوق قمامة كبير ، وكأنما يحتمى به من المطر ، ويواصل بكاءه ، وكأنه لم يسمع السؤال ...

وبحركة سريعة ، تقدم (محمود) نحو صندوق القمامة ، والمطر يغرق وجهه وجسده ، ومال من خلفه ؛ ليلقى نظرة أقرب على الطفل ...

كان طفلاً فى الخامسة من عمره تقريبًا ، ينكمش على نحو مثير للشفقة ، ويرتدى ملابس جيدة الصنع ، تشير إلى أنه ليس طفلاً من أطفال الشوارع ، وإنما طفل أسرة جيدة...

وكان وجهه وأطرافه مائلة للزرقة ، مع برودة الطقس وانهمار المطر ، مما جعل (محمود) يسأله مشفقًا :

ـ ما الذى أتى بك هنا ؟!..

وفى بطء ، مال الطفل ببصره نحوه ، وبدت عيناه الواسعتان مغرورقتين بالدموع ، وهو ينظر إليه ، وشفتاه الزرقاوان ترتجفان على نحو عجيب ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وبلا تردد ، خلع (محمود) سترته ، وناولها للطفل ، محتملاً المطر المنهمر على جسده ، وهو يغمغم متعاطفًا :

ـ أنت ترتجف بردًا ..

لم يمد الطفل يده لالتقاط السترة ، فوضعها (محمود) على كتفيه ، وهو يغمغم مشفقًا :

ـ يا إلهى !!... أنت بارد كالثلج.

واصل الطفل بكاءه ، وإن خفت صوته قليلاً ، وهو يتطلع إلى (محمود) ، الذى حاول أن يبتسم ؛ ليبث بعض الطمأنينة فى نفسه ، وهو يقول فى خفوت :

ـ أنت تائه .... أليس كذلك ؟!

تطلع الطفل إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول شيئًا ما فى خفوت ، على نحو لم يميزه (محمود) ، فمال نحوه يسأله :

ـ ماذا تقول ؟!

ارتفع صوت الطفل قليلاً ، ليميز (محمود) كلمته الوحيدة :

ـ (ميمى) ...

أرهف (محمود) سمعه لحظة ، ثم اعتدل ، قائلاً :

ـ اسمك (ميمى) ؟!

كرر الطفل ، وبكاؤه يقل تدريجيًا :

ـ (ميمى) ...

اعتدل (محمـــود) ، وعلى الرغـــم من المطر ، الذى مازال ينهمر فى غزارة ، شعر بالكثير من الارتياح ، وهو يسأله :

ـ اسمك لطيف يا (ميمى) ، ولكن كيف وصلت إلى هنا ؟!

لم يزد الطفل عن ترديد اسمه فحسب ، ثم عاد إلى صمته ، وهو يتطلع إلى عينى (محمود) مباشرة ، وكأنه يناشده أن يفهمه ..

واعتدل (محمود) يتطلع إليه بدوره ..

إنه طفل تائه ...

ما من شك فى هذا ...

ملامحه وثيابه تدلان على أنه من أسرة معقولة...

و ...

وفجأة ، سطع البرق فى السماء ، وتلاه هزيم الرعد ، فانتفض جسد (محمود) فى شدة ...

www.dvd4arab.com

ولكن (ميمى) لم يتأثر ...

لقد ظل على نفس موضعه ، يتطلع إلى عينيه مباشرة ، وكأنما لا يرى سواهما ...

وفي دهشة ، تطلع إلى (محمود) متسائلاً : كيف لم يفزعه هزيم الرعد ، الذى كان أشبه بدوى القنابل ...

ثم قفز الجواب إلى ذهنه بغتة ...

إنه طفل أصم ...

هذا هو التفسير المنطقى ...

فلهذا لم يسمعه ، عندما ناداه فى البداية ...

ولهذا يردد اسمه فقط ، مع كل سؤال ...

وبمنتهى الإشفاق ، غمغم (محمود) :

ــ يا للمسكين !!

طفلٌ أصم ...

تائه ...

جائع ...

وحيد ...

وتحت هذا المطر الغزير ...

يالها من صورة ، تحطم أشد القلوب قسوة وتحجرًا ....

وبكل مشاعره وألمه ، مد (محمود) يده إلى الصغير ، قائلاً :

ــ هيا ... سنجد لك أوّلاً مكانًا تجف فيه ثيابك .

نظر الطفل إلى اليد الممدودة إليه ، فى خوف حذر ، فرسم (محمود) على شفتيه ابتسامة ، وهز رأسه فى رفق ، وهو يغمغم :

ــ هيا .

كان يفكر فى حمل الطفل إلى أحد مطاعم الوجبات السريعة فى الميدان ، حيث يجد الدفء والطعام والأمان ...

ولكن الطفل لم يستجب ..

لقد عاد ينكمش فى خوف ، ويتطلع إلى عينى (محمود) مباشرة ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وحاول (محمود) أن يلاطفه بابتسامته ، وهو يغمغم مشفقًا :

ــ لا تخف .... سنجد أهلك قريبًا بإذن الله .

تطلع إليه الصغير لحظات ، ثم رفع يده فى بطء ، وأشار إلى عمق الممر ...

وعلى نحو غريزى ، تبع (محمود) إشارته ببصره ...

وهناك ، ووسط ذلك الظلام ، الذى غطى الممر الضيق ، المحصور بين بنايتين عاليتين ، لمح ذلك الجسم الملقى ، عند نهاية الممر ..

وفى هذه المرة ، انتفض جسده أكثر ، واتسعت عيناه ، وهو يغمغم :

ــ يا إلهى !

وبسرعة ، عاد ببصره إلى الصغير ، هاتفًا :

ــ أهو والدك ؟!

كرر الصغير فى خفوت حزين :

ــ (ميمى) .

اعتدل (محمود) ، واتسعت عيناه أكثر ، وهو يقول بارتجافة انفعال هذه المرة :

ــ (ميمى) ؟!... أهى أمك ؟!

نهض الصغير فى هدوء ، ومد يده إليه ، وهو يشير مرة أخرى إلى عمق الممر ، قائلاً فى صوت اختلط بالنحيب :

ــ (ميمى) .

أمسك (محمود) يد الصغير ، التى بدت باردة كالثلج ، وقاوم انفعالاته ، وهو يغوص معه فى قلب الممر ، متجهًا نحو ذلك الجسد فى نهايته ...

لم يكن قد رأى جثة ، فى حياته كلها ، لذا فقد واصل جسده ارتجافاته ، وهو يقترب منها فى حذر ، وقد تشبث الصغير بيده فى قوة ...

وعلى الرغم من أن عمق الممر لم يزد على ستة أمتار ، إلا أنها بدت له أشبه بكيلو متر كامل ، وهو يقترب من ذلك الجسم ...

ويقترب ...

ويقترب ...

Looloo
www.dvd4arab.com

ومع الظلام الشديد ، وقف على بعد خطوة واحدة من ذلك الجسد ، الذى بدا مغطى بقطعة كبيرة من القماش ، وتردد لحظات ، وهو يغمغم :

ــ أظن أنه من الأفضل أن نتصل بالشرطة .

عاود الصغير نحيبه ، وهو يشير إلى ذلك الجسم ، فتردد (محمود) لحظة أخرى ، ثم انحنى يجذب ذلك الغطاء ، و ....

واتسعت عيناه فى دهشة بالغة ....

فأسفل الغطاء ، لم تكن هناك جثة ...

كانت هناك فقط حفرة عميقة واسعة ...

وفى دهشة بالغة ، التفت إلى الصغير ، الذى أفلت يده ، مغمغمًا :

ــ ولكن ...

لم ينطق حرفًا آخر بعد الكلمة ...

ففى تلك اللحظة ، سطع البرق مرة أخرى ...

وانتفض (محمود) ، أعنف انتفاضة ، منذ بدء ذلك الموقف كله ...

فعلى ضوء البرق ، لمح ملامح (ميمى) الصغير واضحة ...

لم تكن بشرته مائلة إلى الزرقة ...

بل كانت زرقاء بالفعل ...

وكان وجهه مغطى بالتراب ، وكأنه خرج من قبره منذ لحظات ...

وما أثار رعبه أكثر ، هو تلك النظرة المخيفة ، المطلة من عينى الصغير ، مع تلك الابتسامة المرعبة على شفتيه ...

أما ثيابه ، فلم تعد أنيقة ...

ولم تكن ثيابًا شتوية ، تناسب الطقس ...

كانت ثيابًا صيفية خفيفة جدًا ...

وبكل رعبه ، تراجع (محمود)....

ودون أن يدرى ، تجاوز حافة تلك الحفرة العميقة ...

وهوى ...

ومع هزيم الرعد ، انطلقت صرخته المدوية ...

ومع هزيم الرعد أيضًا ، لم يسمعها أحد ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وبينما يلفظ أنفاسه الأخيرة ، فى عمق الحفرة ، شعر بالجثث الأخرى من حوله ...

وتحسست يده جثة طفل صغير ...

فى ثياب صيفية ...

وفى نفس اللحظة ، التى فاضت فيها روحه ، كان (أدمون) يحتمى من المطر الغزير ، بتلك الشرفة الواسعة ، عند مدخل الممر ، عندما سمع بكاء طفل صغير ....

طفل (كان) اسمه (ميمى) .

* * *

5 ـ مرحباً ...

انطلق عواء ذئب بعيد ، وسط سكون تلك المنطقة الريفية ، فى محافظة (كفر الشيخ) ، فارتجفت (نادية) فى خوف ، وحاولت أن تلتصق بزوجها (وفيق) ، الذى أوقف سيارته ، إلى جوار ترعة صغيرة ، وهى تقول فى خفوت مذعور :

ـ (وفيق) .... من الواضح أننا قد ضللنا الطريق ...

لم يكن توتره بأقل منها ، إلا أنه حاول أن يخفيه فى أعماقه ، وهو يغمغم :

ـ يبدو هذا .

سألته فى خوف :

ـ ماذا سنفعل إذن ؟!... المكان مقفــر تمامًا ، وهذا الطريق المختصر ، الذى قلت إنك تذكره جيدًا ، لم نعثر فيه على أى شىء ، طوال نصف ساعة أو يزيد .

بدا عصبيًا ، وهو يقول :

ـ لست أدرى كيف حدث هذا ؟!... لقد عبرت هذا الطريق أكثر من مرة ، وكان يقودنى دومًا إلى المدينة ، فى أقل من عشرين دقيقة .

غمغمت مرتجفة :

ــ ربما أخطأت الطريق .

هتف ، فى عصبية أكثر :

ــ مستحيل !... المرء لا يخطئ طريقًا ، يعبره مرتين أسبوعيًا على الأقل .

التصقت به أكثر ، وهى تسأله ، فى لهجة أقرب إلى البكاء :

ــ ولكننا ضللنا الطريق بالفعل ، فماذا سنفعل ؟!

كان توتره فى الواقع يفوق توترها ألف مرة ، خاصة وهو يستعيد ذكريات قديمة ، حاول طوال عشر سنوات محوها من ذاكرته ، والتظاهر بأنها لم تحدث قط ...

تلك الذكريات ، التى ترتبط بالساقية القديمة ، التى يلمحها من بعيد ، على ضوء القمر .... مستحيل أن يكون قد اختار هذا الطريق الفرعى البعيد بإرادته !!...

مستحيل !!...

إنه يبعد ثلاثة كيلو مترات ، عن مدخل الطريق المختصر ، الذى اعتاد عبوره إلى المدينة ، منذ أكثر من خمس سنوات ...

ثم إن مدخله مهمل ضيق ، يصعب أن تعبره سيارة ...

فكيف وصل إليه ؟!...

كيف ؟!...

أيكون قد عبر ، دون قصد ، طريق فرعى ، نقله من طريقه المعتاد ، إلى ذلك الطريق القديم المهجور ؟!...

ولكن كيف ؟!...

طوال خمس سنوات ، لم يلمح أبدًا طريقًا فرعيًا ، خلال عبوره ذلك الطريق المختصر القصير ...

ثم إنه ، وحتى فى عقله الباطن ، سيتماشى حتمًا مجرد رؤية هذا الطريق المهجور ...

هذا لأنه ، ومهما حاول ، لا يستطيع نسيان ما حدث فيه ، منذ عشر سنوات ...

« ليس أمامنا سوى أن نعود أدراجنا ... » ..

غمغمت (نادية) بالعبارة ، فى صوت خافت مرتجف ، فالتفت إليها بعصبية ، قائلاً :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ الطريق أضيق من أن تدور فيه السيارة ... إنه يستوعبها بالكاد ...

غمغمت ، ودموعها تسيل بالفعل :

ـ فلنواصل طريقنا إذن ؛ لعل الطريق يقودنا إلى مكان مأهول .

لم يكن هناك بالفعل حل آخر ، على الرغم من انتشار البرارى فى المنطقة ، مادام البقاء غير وارد ، مع عواء الذئاب الآتى من بعيد ، ومع وجود تلك الساقية القديمة تحت بصره ...

فمازالت تلك الذكريات القديمة تطارده ...

وتخيفه ...

مازال يذكر فى وضوح ، مروره فى هذا الطريق المهجور ، منذ عشر سنوات ، عندما كان شابًا جامحًا ، يميل إلى المغامرة والتجريب ، وكيف أنه ، وعلى الرغم من وعورة الطريق ، انطلق عبره فى سرعة ، وهو يستمع إلى أغنية حديثة ، بمقياس ذلك الزمن ، ويطلقها فى صوت مرتفع ، و ....

وفجأة ، ظهر أمامه ذلك الشاب ...

لم يدر من أين جاء ، ولا ماذا كان يفعل فى طريق مهجور كهذا ، ولكنه برز فجأة أمام سيارته ...

ولم يكن هناك مفر من الاصطدام به ، و ...

« ألن نواصل طريقنا ؟!.. » ...

ألقت (نادية) السؤال فى خفوت ، امتزج بنحيبها المذعور ، فالتفت إليها لحظة ، خلت فيها مشاعره من أى شىء ، قبل أن يغمغم :

ـ بالتأكيد .

كان المضى يعنى المرور إلى جوار تلك الساقية القديمة ، التى لم يتصور رؤيتها مرة أخرى ، والتى تلقى ظلالاً مخيفة أمامها ، مع ضوء القمر ، الذى توسط السماء بدرًا مكتملاً ، إلى أنه التقط نفسًا عميقًا ، فى محاولة تهدئة أعصابه الثائرة ، وبدأ يتحرك بالسيارة فى بطء ، وعيناه معلقتان بتلك الساقية القديمة ، وذكرياته تتدفق فى رأسه ، على الرغم منه ...

إنه مازال يذكر مشهد ذلك الشاب ، وهو ملقى أمام سيارته ، غارقًا فى دمائه ، بعد أن ارتطم به فى عنف ...

يومها أصابه هلع شديد ...

لم يدر ماذا يفعل ، بعد أن ارتطم بالشاب ، وعبر على جسده بالسيارة ، قبل أن ينجح مع توتره فى إيقافها ، وتلك الأغنية الحديثة مازالت تنطلق عالية ...

Looloo www.dvd4arab.com

وفى ذهول مذعور ، وقـــف يتطلع إلى جثة الشاب ، دون أن يجرؤ حتى على فحصه ، والتأكد مما إذا كان قد لفظ أنفاسه الأخيرة ، أم مازالت بقايا الروح تدب فى جسده الصغير ...

وفى ذهنه ، يومها ، تدفقت عشرات المخاوف ...

الشرطة ....

والتحقيقات ...

والسجن ...

كل هذا دار فى ذهنه ، وهو يتطلع إلى جثة الشاب ، قبل أن يتخذ ذلك القرار المخيف ، الذى غير مسار حياته كلها ...

« أسرع يا (وفيق) ... هذا الطريق يخيفنى جدًّا ... » ...

نطقتها (نادية) فى رعب واضح ، وسمعها هو جيدًا ، ولكن ولسبب ما ، كانت قدمه تمنعه من ضغط دواسة الوقود فى قوة كافية ؛ لعبور تلك الساقية القديمة فى سرعة ...

كان وكأنه ، فى عقله الباطن ، يخشى عبورها ، حتى لا يستعيد ذكرى ذلك اليوم الرهيب ...

ولكنه استنفر كل أعصابه ، وضغط الدواسة ...

وأسرعت السيارة ...

و ...

وفجأة ، تجمدت الدماء فى عروقه ، وتصاعد نبضه إلى درجة مخيفة ، واتسعت عيناه عن آخرهما فى رعب ، وضغط فرامل السيارة بكل قوته ، وانطلقت من حلقه ، على الرغم منه ، شهقة قوية ، جعلت (نادية) تصرخ فى رعب :

ـ ماذا هناك ؟!

حدق مرعوبًا ، فى ذلك الشاب الريفى ، الذى جلس مستندًا إلى دوارة الساقية القديمة المهجورة ، ممسكًا نايًا صغيرًا ، فى مشهد ، كان من المفترض أن يصنع مع ضوء القمر صورة بديعة ، ولكنه بدا بالنسبة له أشبه بمشهد رعب ، فى فيلم من الدرجة الأولى ...

ولمحت (نادية) ذلك الشاب بدورها ، فانتفضت لحظة ، قبل أن تهتف :

ـ هناك شاب عند الساقية ، يمكنه أن يدلنا على الطريق .

Looloo
www.dvd4arab.com

لم يجبها (وفيق) ، وهو يحدق فى ذلك الشاب فى رعب ، وقلبه يخفق ، كما لم يخفق من قبل ...

لم يكن من الممكن أن يرى ملامح ذلك الشاب ، الذى راح يعزف لحنًا حزينًا على الناى ، وكأنه لا يبالى بوجودهما على الإطلاق ...

وفى لهفة وأمل ، هتفت (نادية) :

ـ سله عن الطريق يا (وفيق) .

ارتجف (وفيق) لمطلبها ، ولم يتصور قط أن يقترب من ذلك الشاب ، مع تلك الذكريات المخيفة ، التى راحت تعصف بكيانه كله ...

ذكريات تلك اللحظة ، التى حمل فيها جثة الشاب الذى صدمه ، وألقى بها فى تلك الساقية القديمة المهجورة ...

وعاد كيانه كله يرتجف ، وهو يتذكر كيف ندت من الشاب آهة ألم ، عندما ارتطم بقاع الساقية الجاف ...

لم يكن قد لقى مصرعه يومئذ بالفعل ...

كانت فيه بقايا من روح ...

ولكن الساقية كانت مهجورة وضيقة ، حتى إنه لم يجرؤ على الهبوط فيها لإنقاذه ...

ولهذا أقدم على أحقر عمل فى حياته ...

لقد فر من المكان ، تاركًا ذلك الشاب خلفه ، يلفظ أنفاسه الأخيرة ، فى قاع الساقية المهجورة ...

« سأهبط أنا لأسأله... » ...

قالتها (نادية) فى حدة ، فالتفت إليها فى عصبية ، وقال :

ـ لا ... لن تفعلى .

قالت فى غضب :

ـ ولن أبقى هنا أيضًا ، وأمامنا فرصة لمعرفة الطريق .

صمت لحظات ، محاولاً السيطرة على أعصابه ، ودفع عقله إلى التفكير السليم ...

أية خرافات تسيطر عليه ، فى لحظاته هذه ؟!...

إنه لم يؤمن أبدًا بالأشباح والعفاريت ...

إنه مجرد شاب حالم ، تصادف وجوده فى المكان نفسه ...

Looloo
www.dvd4arab.com

مجرد مصادفة ...

و(نادية) على حق ... لن يضيع فرصة الطريق ، بسبب مخاوف بدائية سخيفة .... التقط نفسًا آخر عميقًا ، وفتح باب السيارة فى حسم ، مغمغمًا :

ــ سأسأله أنا ...

تعالى عواء ذئب آخر من بعيد ، أثار فى كيانه رجفة شديدة ، وإن بدا من الواضح أن عازف الناى لم يبال به إطلاقًا ، شأن من اعتاد هذه الأمور ، فدفع قدميه دفعًا فى اتجاهه ، حتى صار على قيد خطوات منه ، فسأله فى صوت ، عجز عن إخفاء ارتجافته الواضحة :

ــ هل يمكنك أن ترشدنا إلى طريق ، للخروج من هنا إلى المدينة .

توقف الشاب عن العزف ، وغمغم :

ــ مرحبًا .

لم يدر (وفيق) ما الصلة بين سؤاله وجواب الشاب ، فمال نحوه يكرر سؤاله :

ــ كيف نخرج من هنا إلى المدينة ؟!

كرر الشاب بنفس اللهجة :

ــ مرحبًا .

ثم استدار إليه فى بطء ، وابتسم ابتسامة كبيرة ، وهو يضيف :

ــ إننى أنتظرك منذ زمن طويل .

وتراجع (وفيق) كالمصعوق ، وهو يطلق صرخة رعب هائلة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، مع تلك الدماء ، التى تغرق وجه الشاب وجلبابه ...

وبقفزة أشبه بالذئاب ، انقض عليه الشاب ، ودفعه أمامه ... إلى قاع الساقية القديمة ...

وصرخ (وفيق) ...

وصرخت (نادية) ....

وظلت تصرخ ...

وتصرخ ...

وتصرخ ....

Looloo
www.dvd4arab.com

« ولكن هذا مستحيل يا سيدتى !... »

قالها وكيل النيابة ، وهو يتطلع إلى (نادية) ، التى انهارت تمامًا ، قبل أن يلتقط تقرير البحث الجنائى ، ويواصل :

ـ تلك الساقية مهجورة ، منذ أكثر من عقدين من الزمان ، وما تبقى من فتحتها ، لا يكفى لمرور جسد فى حجم جسد زوجك .

هتفت فى انهيار :

ـ ولكننى رأيت الشاب يدفعه داخلها ، ويهبط معه فيها .

هز وكيل النيابة رأسه ، وهو يقول :

ـ تقرير البحث الجنائى ، والمعامل الجنائية ، وحتى الطب الشرعى ، لا تتفق مع روايتك أبدًا .... قاع الساقية كان مغمورًا بالرمال والطين الجاف ، ولا يوجد أى أثر لسقوط أى شىء فيها مؤخرًا ، ولقد عثرنا فيها على جثة قديمة لشاب ، من الواضح أنه لقى مصرعه فى أعماقها ، منذ عشر سنوات على الأقل ... أخبرينا الحقيقة .... ماذا حدث هناك بالفعل ؟!..

وبكت (نادية) فى انهيار ، وعقلها يستعيد آخر كلمة سمعتها من ذلك الشـــاب ، قبل أن يختفى مع زوجها فى قاع الساقية المهجورة ...

« مرحبًا .. »

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

6 ـ إلى الأبـــد ....

انتفخت أوداج (منير) فخرًا وزهوًا ، وهو يتحسس سيارته الجديدة ، التى ابتاعها له والده ، فى عيد مولده الحادى والعشرين ...

كان ابنًا وحيدًا لملياردير كبير ، من مليارديرات الصناعة ، يمتلك عددًا من المصانع ، فى مختلف الصناعات ....

ثياب ، وأدوات كهربية ، وثلاجات ، ومواقد طهى ، ومصانع للسيراميك والأدوات الصحية ، وغيرها ...

وكل هذا بالإضافة إلى عدد من المطاعم الفاخرة ...

وفندقين ...

وقرية سياحية شهيرة ...

كان يمتلك العديد من كل شىء ...

حتى الزوجات ...

وعلى الرغم من زواجه بتسع زوجات مختلفات ، نصفهن من دول (أوروبا) و(آسيا) ، إلا أنه لم ينجب سوى (منير) ...

فقط (منير) ...

ولأنه ابنه الوحيد ، الذى سيرث الثروة الطائلة ، لم يبخل عليه الوالد الملياردير بأى شىء على الإطلاق ...

كان يلبى كل مطالبه ...

بلا استثناء ...

وبلا مناقشة ....

ولهذا نشأ (منير) مدللاً ، مغرورًا ، أنانيًّا ، لا يرى فى الحياة كلها سوى نفسه ...

ونفسه وحدها ...

وعندما شاهد إعلان تلك الســيارة الرياضية الجديدة ، التى تحوى نظامًا إليكترونيًّا رقميًّا متطورًا ، يجعلها أشبه بشخص آلى يجرى على عجلات ، أصر على أن يكون أول من يمتلكها فى (مصر) كلها ...

كانت السيارة تساوى مليون دولار تقريبًا ، وعلى الرغم من هذا ، لم يتردد الأب فى إرسال مندوب خاص من شركاته ؛ لابتياع النسخة الأولى من السيارة ، وشحنها معه إلى (مصر) ....

ولقد بلغت رسومها الجمركية مبلغًا خرافيًا ، أدهش رجال الجمارك أنفسهم ، ولكن ما أدهشهم أكثر ، هو تلك البساطة والسرعة ، اللذين تم بهما دفع الرسوم ، حتى تخرج السيارة إلى الشارع فى أسرع وقت ممكن ...

وفى دائرة المرور ، التف الكل حول السيارة ، يتأملونها فى إعجاب وانبهار ...

وحسد أيضًا ...

وهذا ما انتفخت له أوداج (منير) ...

كان دومًا يعشق أن يبهر الناس بما لديه ...

وبما يمتلكه ...

ولقد انتفخت أوداجه أكثر ، عندما خرج الكل يلقون نظرة على سيارته ، وهى تغادر دائرة المرور ، حاملة ذلك الرقم المميز ، الذى دفع فيه ثروة حقيقية أيضًا ...

وحتى فى الطريق ، كانت السيارات وعيون المارة تلاحقه ...

الكل انبهر بالسيارة ...

والكل حسد راكبها ...

وعلى الرغم من أن منزله لا يبعد سوى دقائق قليلة عن دائرة المرور ، فقد طاف (منير) نصف شوارع (القاهرة) بسيارته ؛ ليتمتع بانبهار الناس ، قبل أن يعود بها إلى قصر والده المنيف ، وهو يكاد يحترق شوقًا ؛ للذهاب بها إلى كليته ، فى الصباح التالى ، ورؤية الانبهار والحسد فى عيون زملائه ...

وبخاصة (جينا) ...

إنها أجمل فتاة ، فى كليته كلها ، وطالما حاول جذب انتباهها ومحبتها إليه ، ولكنها لم تبد يومًا اهتمامًا بثرائه البالغ ، ولا حتى وسامته المفرطة ...

هذا لأنها ــ ويا للعجب ــ وقعت فى حب زميله (أمجد) ...

يالها من حمقاء !!...

إنه لم يدرك أبدًا لماذا اختارت غادة مثلها ، ذلك الشاب المتواضع ، الذى يرتدى طوال الوقت سروالاً رخيصًا ، من الجينز المحلى ، وقمصانًا يبتاعها حتمًا من الأسواق الرخيصة ، فى (العتبة) ، أو (وكالة البلح) !!...

Looloo
www.dvd4arab.com

ولم يحاول أبدًا أن يسألها عن السبب ...

كبرياؤه لم يسمح له بهذا ...

وسخاؤه الشديد مع زملائها ، لم ينجح فى جذب انتباهها ... ولا اهتمامها ...

كان يدعو الجميع إلى غداء فاخر ، فى فندق والده الفخم ، فتعتذر هى ؛ لتقضى بعض الوقت مع (أمجد) ، فى كافيتريا الكلية المتواضعة ...

وهذا يثير حنقه بشدة ...

وغيرته أيضًا ...

أو أنه ، لو شئنا الدقة ، يشعر بجرح غائر فى كبريائه ...

ولكن كل هذا سينتهى حتمًا ، فى الصباح التالى ...

سيارته ستبهر الكل بلا شك ...

حتى هى ...

امتلأت نفسه بالفكرة ، وراح يتخيل نظراتها لسيارته ، التى اختار لها لونًا أحمر زاهيًا ، يستحيل ألا تلاحظه عين ...

وعندما وصل إلى قصر والده ، كانت الفكرة قد اختمرت فى رأسه تمامًا ، حتى أنه لم ينتبه إلى والده ، وهو يتجه إليه ، حتى سمعه يقول :

ــ ألف مبروك .... السيارة تستحق بالفعل....إنها مبهرة ...

ابتسم (منير) ابتسامة واسعة ، وهو يقول :

ــ حقًّا ؟!

تحسس والده جسم السيارة ، وهو يغمغم :

ــ دون أدنى شك .

ثم اعتدل يردف مبتسمًا :

ــ ولكنها فى النهاية مجرد سيارة .

أجابه (منير) فى غضب :

ــ ليست مجرد سيارة ...إنها أروع سيارة فى العالم .

غمز والده بعينه ، قائلاً :

ــ مؤقتًا .

Looloo
www.dvd4arab.com

نظر (منير) إليه فى دهشة ، متسائلاً :

ــ ماذا تعنى ؟!

ضحك والده ، وهو يقول :

ــ أعنى أنك ابنى الوحيد ، وأنا أعرف طبائعك جيدًا .... ستنبهر بالسيارة بعض الوقت ، ثم سرعان ما تسأمها ، وتمل ركوبها ، وتطالب بلعبة جديدة .

هتف (منير) فى عناد :

ــ خطأ ... لن أتخلى عن هذه السيارة أبدًا .

غمز والده بعينه مرة أخرى ، وهو يقول مداعبًا :

ــ هل تراهن ؟!

هتف (منير) بكل حماسه :

ــ أراهن .

اعتدل والده ، وقال بنفس المرح :

ــ سأمنحك ستة أشهر .

أجابه (منير) فى إصرار :

ــ ولا حتى ست سنوات .

ثم ربت على السيارة ، كما لو كانت معشوقته ، وهو يضيف :

ــ هذه السيارة ستبقى معى إلى الأبد .

ضحك والده ، وهو يقول :

ــ سنرى .

ثم أشار إليه ، مستطردًا :

ــ أريدك أن تأتى بها غدًا إلى مصنع الأوناش .

ارتفع حاجبا (منير) ، وهو يقول :

ــ ولماذا ؟!

قال والده فى دهشة مستنكرة :

ــ هل نسيت أننى طلبت منك هذا ، من أكثر من أسبوع ، حتى تحضر اجتماعنا مع الصينيين ؟!... إنك سترث كل هذا من بعدى يا (منير) ، وأريدك أن تتعلم كيف أدير العمل ، وأعقد الصفقات .

Looloo www.dvd4arab.com

انعقد حاجبا (منير) فى شدة ، وهو يقول :

ـ لا ... ليس غدًا .

حملت نبرة والده شيئًا من الغضب ، وهو يقول :

ـ الاجتماع لا يمكن تأجيله .

قال (منير) فى حدة :

ـ لن أحضره إذن .

بدا الغضب على وجه والده ، فاستدرك فى سرعة :

ـ لدى اختبار مهم فى الكلية صباح الغد .

تطلع إليه والده مليًا ، وهو يدرك أنه كاذب ، إلا أنه لم يملك إلا أن يقول :

ـ ألا يمكنك الحضور بعد الاختبار ؟!

أجابه (منير) فى حماس :

ـ بالتأكيد .

رمقه والده بنظرة صامتة معاتبة ، ثم انصرف وهو يقول :

ـ فليكن .... سأحاول تأخير الاجتماع بقدر الإمكان .

راقبه (منير) وهو ينصرف ، ثم عاد يربت على سيارته ، مغمغمًا فى اعتزاز :

ـ أبى على خطأ هذه المرة .... ستبقين معى إلى الأبد .

لم يستطع النوم تلك الليلة ، وهو يفكر فى (جينا) ، وكيف أنها ستنبهر بالسيارة ، وتنسى (أمجد) ، ولو لحظات ...

مر عليه الوقت بطيئًا ، دون أن يستطيع حتى إغلاق عينيه ، والفكرة تدور فى رأسه وتدور ، حتى أشرقت الشمس ، فأسرع يرتدى أفخر ثيابه ، ويحيط معصمه بساعة من الذهب الخالص ، والتقط سلسلة مفاتيح ، كان يدخرها لهذا المناسبة ، تتدلى منها ماسة براقة ، ووضع فيها مفتاح السيارة الجديدة ، وهبط ليربت عليها مرة أخرى ، قبل أن ينطلق بها إلى الجامعة ...

لم يستطع ـ للهفته ـ انتظار موعد حضور زملائه ، لتلك الجامعة الخاصة ، وإنما انطلق بسيارته الجديدة ، وبأقصى سرعة ، عبر الطريق الدائرى ، فى طريقه إلى الجامعة ...

كان جفناه مثقلين من عدم نومه ، وحماسه يسيطر على عقله ومشاعره ، و ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وفجأة برزت سيارة النقل الضخمة ، ذات المقطورة الكبيرة ...

وضغط (منير) فرامل سيارته الجديدة بكل قوته ...

ولكن العوامل اجتمعت ؛ لتجعل رد فعله بطيئًا ...

أكثر مما ينبغى ...

وكانت صدمة والده هائلة ، عندما بلغه الخبر ...

ولقد تصاعدت صدمته ألف مرة ، عندما رأى السيارة بعد الحادث ...

لقد ارتطمت بها سيارة النقل الثقيلة ...

ثم عبرت فوقها ...

بكل ثقلها ...

وبأربعة أزواج من الإطارت الهائلة الثقيلة ...

كانت صدمته هائلة ، مع مصرع ابنه ، ووريثه الوحيد ....

وكانت أشد هولاً ، عندما أخبروه أن جسده قد امتزج بحطام السيارة ، وصار من المستحيل تخليص بقاياه من حطام السيارة ..

وبعد عدة محاولات فاشلة ، لم يعد هناك مفر من قبول الحل الاخير ...

والوحيد ...

لا مفر من دفن ابنه مع السيارة ، فى كيان واحد ...

ولقد كانت الجنازة هائلة ، حضرها مئات من أصدقاء الأب المكلوم ، وآلاف من العاملين فى مصنعه ...

وحضرها كل زملاء (منير) ...

حتى (جينا) و(أمجد) ...

ولقد شاهدوا جزءًا فقط من السيارة ...

ولم ينبهروا ...

فقط بكوا وانتحبوا ...

ولكن (منير) ربح رهانه ، وحقق ما أصر عليه منذ البداية ..

لقد ظلت سيارته الجديدة معه ...

إلى الأبد .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

هـكذا رأيتها

هـكذا رأيتها ...

البداية بالنسبة لى لم تكن فى الخامس والعشرين من يناير ، عام ألفين وإحدى عشر ، بل كانت قبل هذا بكثير ...

وربما بكثير جدًا أيضًا ...

البداية كانت مع إغلاق جريدة (الدستور) ، عبر لعبة اقتصادية شيطانية مدروسة ، وإخراس بوق معارض قوى ، طالما أزعج النظام السابق ؛ بكشفه للفساد ، ومطاردته للفاسدين ، الذين كانوا يحتلون أرفع المناصب فى ذلك الحين ....

وفى واحد من آخر المقالات ، التى كتبتها فى جريدة الدستور ، تحت عنوان (ساعة القدر) ، رأيت ثورة قادمة ...

كان كل رجال النظام السابق ، وبعض علماء المجتمع أيضًا ، يؤكدون بمنتهى الاطمئنان ، وربما الغطرسة ، أن الشعب المصرى لا يثور ...

وكنت أختلف معهم ...

وبشدة ...

Looloo
www.dvd4arab.com

كنت دومًا أتحدث عن ثورة قادمة ، وعن حتمية حدوثها ، وعن مقدماتها ، التى بدت واضحة على الساحة ، مع اعتصامات ، وإضرابات ، واحتجاجات ، فى كل نواحى المجتمع ...

وفى الســادس والعشرين من يونيــو ، عام ألفين وعشرة ، كتبت مقالى سالف الذكر ، أوكد فيه أن النظام ، من شدة طغيانه ، بدأ يقع فى أخطاء فادحة ، ويغلق كل الفتحات ، التى كان يتسرب منها بخار الغضب المخزون ، كما لو أن قدره قد حان ، فعميت عيناه عن الصواب ، وهذا سيقود حتمًا إلى ثورة ...

وعقــب انتخابات التزوير الفاضحة والفــادحة ، لآخر مجلس شعب ، فى تاريخ النظام القديم ، أكدت أن الثورة قادمة ، وفى مقال آخر ، تنبأت بأن مجلس الشعب هذا لن يكمل دورته ، وأن الرئيس لن يصل إلى الانتخابات الرياسية التالية ...

هذا ما يؤكده التاريخ ، فى كل فصوله ....

ملخص كل هذا ، هو أننى كنت أتوقع الثورة وأنتظرها ...

وعندما قرأت ، عبر صفحات (فيس بوك) ، عن تنظيم مظاهرات غضب ، فى يوم عيد الشرطة ، بدت لى الثورة قريبة ، ولكننى أعترف بأننى لم أتوقع أن تكون هذه هى الثورة ، ولكن مقدماتها فحسب ...

وجاء يوم الخامس والعشرين من يناير ...

وارتفعت نبضات قلبى بشدة ....

وعندما شاهدت ، عبر القنوات الفضائية ، الشعب يخرج ثائرًا ، فى كل مدن الجمهورية ، خفق قلبى بمنتهى العنف ، وأيقنت أنها الثورة ....

وبكل الحماس ، هبطت من مكتبى إلى فرع المؤسسة العربية الحديثة أسفله ، وأخبرتهم أن الثورة قد اندلعت فى (مصر) ...

وأدهشنى رد فعلهم للغــاية ؛ فباستثنائى وحــدى ، لم يؤمن أحدهم بأن هذه ثورة ، بل رأوها مجرد تظاهرات غاضبة ، سرعان ما تقمعها الشرطة ...

وعندما أكدت لهم أن الشرطة سرعان ما تنهار ، فى مواجهة شعب ، يملك الأغلبية الفعلية على الساحة ، أكدوا أن النظام سينزل الجيش إلى الشارع عندئذ ؛ لقمع المظاهرات ...

وهنا انفعلت ، ولأوّل مرة ، وأنا أخبرهم أن التاريخ يؤكد أن نزول الجيش إلى الشــارع ، ينتهى دومًا بانحيازه إلى الشعب ، باستثناء واقعة واحدة فى (الصين) ، عندما دهست الدبابات

Looloo www.dvd4arab.com

شباب (الصين) بلا رحمة ، فى أشهر وأكبر ميادين (بكين) ، ولم تكن أحداث وتصرفات سفاح (ليبيا) المجنون قد بدأت بعد ...

وأمام شاشة التليفزيون ، تابعت تطور الثورة ، فى يومها الأول ، ثم خرجت لتأييدها فى يومها الثانى ، قبل أن تمنعنى مناعة شديدة الانخفاض ، من جراء عملية زرع كلى ، وتناول مستمر لعقاقير تثبيت الزرع ، عن مواصلة التأييد من الشارع ، وأجبرتنى على العودة مريضًا إلى المنزل ، لأشاهد أعظم مشاهد الثورة على الشاشة ...

شاهدت شباب المستحيل يواجه الشرطة ، وقنابل الغاز المسيل للدمــوع ، وحتى الرصاص المطاطى ، بقلوب أسود ، وإرادة نمور ، وانطلاقة نسور ...

شاهدت أعظم شباب (مصر) ، فى أعظم مواجهة فى تاريخ (مصر) ...

وعندما شاهدت شابًا جسورًا ، يتصدى لمصفحة من مصفحات الشرطة ، وآخر يقفز ليعتلى أخرى فى بسالة ، انبهرت نفسى انبهارًا كبيرًا ...

ثم انهارت الشرطة ، تمامًا كما توقعت فى مقالات سابقة ، وأثبت التاريخ أنه هو بالفعل مقياس رؤية المستقبل ، وأن دروسه لا تفشل أبدًا ، لمن يطالعه عن فهم ودراسة ...

انهارت الشرطة ، وانتصرت الثورة فى المرحلة الأولى ، وبدأت الثورة المضادة فى الليلة نفسها ، فأطلقوا البلطجية ، من الأقسام والسجون ، وروّعوا الآمنين فى بيوتهم ، وحرقوا مقار الحزب الوطنى ، وارتكبوا أحقر وأقذر الجرائم ، فى محاولة لإجهاض الثورة وإفشالها ...

ومرة أخرى خرج شباب (مصر) ، الذى طالما اتهموه بالتقاعس والتفاهة وانعدام الإحساس بالمسئولية ؛ ليثبت أنه درع الوطن وأمنه وسيفه ... لجان شعبية شبابية ، خرجت تحمى بيوتنا ، وأموالنا ، وأعراضنا ، وحياتنا ....

لجان من شباب ، أطلقوا عليه يومًا اسم (شباب السيس) ، خرجت تحمى ، حتى من أطلقوا عليها هذا ...

وانتصرت الثورة ، فى الجولة الثانية ...

وخرج رئيس الجمهورية يعلن أنه لم يكن ينتوى الترشح لفترة قادمة ، وعزل ابنه وأمين حزبه ، واعتقل إمبراطور

www.dvd4arab.com

السلب والنهب ؛ لينتزع فكرة التوريث من العقول ، وحاول التصالح مع الشعب ، وقال كلمة ، استجابت لها قلوب الملايين ، وأثارت تعاطفنا جميعًا ، وكان لدينا استعداد كبير لمنحه فرصة محدودة ؛ لإصلاح ما أفسده فى ثلاثة عقود ...

وكان يمكن أن تفشل الثورة ، فى تلك الليلة ، بعدما انقسم الشعب إلى قسمين كبيرين ، أحدهما يؤيد الاستمرار ، والآخر يؤيد التوقف ...

وأعترف هنا أيضًا ، أننى لم أستطع اتخاذ قرار حاسم فى هذا الشأن ، وإن مالت نفسى ، كمعظم من فى مثل عمرى ، إلى فكرة الهدوء والاستقرار ، و ...

ولكن شاء القدر ، وشاءت حماقة المنتفعين من وراء الرئيس ونظامه الفاشل ، أن يفسدوا كل هذا ، بأسلوب ستيناتى سخيف ومقيت وأكثر فشلاً من النظام نفسه ...

أخرجوا العمال من المصانع ، ودفعوا أجورًا للبلطجية ، وشحنوا كل فتوات وعربجية مناطقهم ؛ لشن حملة على شباب التحرير ..

وعلى الشاشة ، رأينا مشهدًا أشبه بفيلم ساذج من الخمسينات ..

جمال وخيول وحمير ، وسنج ومطاوى وهراوات ، وقطع من الرخام ، وكل هذا ينقض على شباب أعزل مسالم ....

وخسر نظام الرئيس كل ما ربحه فى الليلة السابقة ...

وبكل الانبهار ، شاهدت شعبًا يفوق رجل المستحيل ، فى تصديه للبلطجية فى الميدان ، وسيطرته على المشهد ، وتحويله من الهزل إلى بطولة عظيمة مبهرة ، ليس لى وحدى ، وإنما للعالم أجمع ..

وخرج الشباب الأسود أكثر قوة ، عندما تصدوا للبلطجية فى شوارعهم ، وبلطجية الجمال والحمير فى التحرير ، والأمن المستبد ، والنظام الفاسد ...

خرج بواسل (مصر) أكثر قوة وثقة ، وواصلوا ثورتهم السلمية ، حتى أجبروا رئيس الدولة على التنحى ، عندما اتجهوا إلى قصره ، ووضعوا الجيش أمام خيار حاسم ، ما بين أن يضطر لحماية الرئيس ، كما يقتضى واجبه الأصغر ، فيحدث الصدام بين الجيش والشعب ، وتنهار الدولة بأكملها ، أو أن يؤدى واجبه الأكبر ، فى حماية الشعب ، متخليًا عن الرئيس ونظامه ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وكما توقعت دومًا ، انحاز الجيش للشعب ، وأجبر الرئيس على التنحى ، وإنقاذ البلاد من انهيار تام ....

ونجحت الثورة ...

وخرج النـــاس فى الشوارع يرقصون ، وركعت أصلى لله الواحد القهار ، والمعز المذل ؛ لأننى عشت حتى رأيت ما حلمت به وتمنيته دومًا ...

رأيت الثورة .

د. نبيل فاروق

ذكريات معه .. (1)

(خواطر حزينة)

لست أظن ، ولو للحظة واحدة ، أننى سأستطيع ، مهما طال بى العمر ، أن أنسى هذا التاريخ الحزين ... الأربعاء ، الحادى والعشرين من سبتمبر ، عام ألفين وإحدى عشر ...

ففى هذا التاريخ ، فقدت من كنت أعتبره أصدق الأصدقاء ، وأعظم الأساتذة ، وأفضل المعلمين فى حياتى ، بعد والدى رحمه الله ...

إنه أســتاذى ، ومعلمى ، وأبى الــروحى ، الأســتاذ (حمدى مصطفى) ، رئيس مجلس إدارة المؤسسة العربية الحديثة ، ورائد الكتاب المدرسى فى (مصر) ، وصاحب مشروع القرن الثقافى (روايات مصرية للجيب) ، الذى خرج منه عدد من المؤلفين الشبان ، الذين صاروا اليوم من الأسماء اللامعة ، فى عالم الرواية وسماء الأدب ...

Looloo
www.dvd4arab.com

فى ذلك اليوم الحزين ، وفى السابعة والنصف صباحًا ، بلغنى الخبر ...

كنت أعلم أن أستاذى الرائع يعانى من مرض مؤسف ، أقعده لأكثر من عامين ، وأنه أصيب منذ عدة أسابيع بتدهور عام فى صحته ، جعله أسير غرفة عناية مركزة ، فى أحد المستشفيات ، ومقيد إلى جهاز تنفس صناعى ، على نحو لم يكن من الممكن تصوره ، بعد أن عهدته ، طوال سبعة وعشرين عامًا ، شعلة من النشاط والحيوية ، وصاحب عقل متطور مبتكر ، وقلب يبدو الذهب إلى جواره حديدًا صدئًا ...

وعلى الرغم من أن عينى لم تعتـادا البكاء ، حتى فى أعقد المواقف ، وأشد الخطوب ، فقد فوجئت بهما ، ودون أن أشعر تسيلان على وجهى بدموع مـن نـار ، لا أتصور أنها تكفى؛ للتعبير عما كنت أشعر به لحظتها ...

ففى وجوده ، كنت أشعر دومًا بنوع من الأمان والارتياح ، وبأنه سـيكون دومًا إلى جـوارى ، وسيحمى ظهرى ، فى أية لحظة أمد يدى فيها إليه ...

وهذا ما كان يفعله ، منذ بدأت معرفتنا ، وحتى تطورت إلى صداقة من نوع خاص ، جعلته الإنسـان الوحيد فى العالم تقريبًا ،

الذى يمكننى أن أفرغ عنده مكنون قلبى ، دون أن أخشى شيئًا ، وأنا الذى عرف عنى كل من عرفته فى حياتى ، بأن الكتمان هو جزء من شخصيتى ، وسمة من سماتى ...

وكان دومًا ــ رحمه الله ــ يبادلنى بالمثل ...

كان دومًا يفضى إلى بما يجيش به صدره ، حتى مشكلاته الشخصية ، ومخاوفه العامة ، وأستشيره ويستشيرنى ، فى كل ما يواجهنا ...

وكانت بيننا دومًا حالة من الثقة ، لم أجد مثلها إلا فى القليل من الناس ...

والقليل جدًا ...

جدًا ...

ولكى يستوعب أحدكم مقدار هذه الثقة ، يمكننى أن أقول أن كلاً منا ، لم يكن ليتردد لحظة ، فى أن يوقع ورقة بيضاء ، ويناولها للآخر ، واثقًا تمام الثقة ، من أنه لن يسىء استغلالها ، مهما كانت الظروف ...

فكم من الأصدقاء ، يمكنك أن تحظى معهم بهذا ؟!..

كم ؟!...

Lolo
www.dvd4arab.com

لعلكم تدركون الآن كم أنا حزين ...

متألم ...

آسف ...

لقد استنكر عقلى الخبر ، حينما سمعته ، على الرغم من أن الموت هو الحقيقة الوحيدة المؤكدة ، فى حياة كل بشرى ...

وحتى عندما كنا نصلى صلاة الجنازة على روحه الطاهرة ، لم أكن قد استوعبت بعد ، أننى وأبدًا ، لن أراه مرة ثانية ...

لن أجالسه ...

لن أقص عليه همومى ...

ولن يقص على همومه ...

وحتى عندما واروه الثرى ، رفض عقلى تصديق هذه الحقيقة المرة ...

لقد غاب الفارس ...

غاب عن عالمى ...

غاب عن مشروع عمره الثقافى ...

غاب عن الدنيا ...

وبقيت أعماله ...

ففى هذا الخلود الحقيقى ...

فليس الخلود أن تعيش أبد الدهر ، ولكن الخلود أن تحيا أعمالك وأفكارك من بعدك ...

ولهذا فإن الفارس سيبقى ...

سيبقى خالدًا ، حتى وإن أفنى الدهر جسده ...

سيبقى فى عطاياه ...

فى ذاكرة من أحبوه ...

فى الخير الذى أفاضه على من حوله ...

وفى مشاريعه الثقافية العملاقة ...

فى كل من كتب له دخول عالم الأدب على يديه ...

سيبقى كلما أمسك أحدكم رواية ، من (روايات مصرية للجيب) ...

Looloo
www.dvd4arab.com

كلما طالعتم صفحة منها ...

أو سطر ...

أو حتى كلمة ....

ففى مرحلة تالية ، وبعد نجاح مشروعه العظيم (روايات مصرية للجيب) ، رأى رحمه الله ، ضرورة أن يتيح الفرصة أكثر ، للمزيد من الأقلام الشابة ، وكان الناشر الوحيد فى (مصر) ، الذى تبنى المواهب الشابة ، وأتاح لها فرصة الظهور ....

ومن هنا ، أنشأ ، ضمن سلاسل روايات الجيب ، ما أطلق عليه اسم (سلة الروايات) ...

وكانت (سلة الروايات) هذه سلسلة مفتوحة ، فتح بابها على مصراعيه ، لكل قلم شاب ، وكل موهبة ، لم تأخذ حقها فى الظهور ...

وتوالت الأسماء على (سلة الروايات) ...

وتوالت المواهب ...

والأفكار ...

والإبداعات الشابة ...

كان ـ رحمه الله ـ شديد الاهتمام بالمواهب الشابة ، حتى أنه ذات يوم ، ترك أحدهم فى المطبعة خطابًا ، عن تفاعله مع الروايات ...

وقرأ الأستاذ (حمدى) الخطاب ...

وبحاسته الأدبية ، رأى فيه موهبة واضحة ...

وعلى عكس ما يحدث ، فى كل دور النشر تقريبًا ، جعلنا الأستاذ (حمدى) نبذل جهدًا خرافيًا ، لمعرفة من ترك هذا الخطاب ...

وعندما عثرنا عليه ، ضمه إلى عالم الروايات ...

وكانت صورة جميلة ، تشف عن روح الأديب فى داخله ...

فالأستاذ (حمدى) ، لمن لا يعلم ، ليس ناشرًا فحسب ...

إنه أيضًا أديب كبير ...

والتعريف هنا ليس مجازيًا ، بل حقيقة ، تعرفها كتبه التى ألفها فى شبابه ، والتى تحولت إلى روايات مقررة ، على بعض السنوات الدراسية ، فى ذلك الحين ، مثل (جول جمال) ، و(بطولة سفينة) ، و(أيام عصيبة فى أبو عجيلة) ...

وهكذا كان يجمع بين الحسنيين ...

بين الكاتب ...

والناشر ...

وربما لهذا كان دائم البحث عن المواهب الشابة ...

فيصقلها ...

ويبرزها ...

ويمنحها فرصة عمر ، لم يعد هناك من يمنحها ، فى زمننا هذا ...

رحل الفارس ، وترك لنا ذكراه ...

وترك لى بالتحديد ، عددًا لا يحصى من ذكرياتى معه ...

تلك الذكريات ، التى أعود بها معكم إلى البداية ...

إلى اللقاء الأوَّل .

* * *

لقائى الأوَّل بالأستاذ (حمدى مصطفى) ، كان على أرضه ... فى المطبعة ، فعلى الرغم مـــن أن مؤسسته ، تمتلك عددًا من

الأفرع ، فى أماكن متعددة ، فقد كان ـ رحمه الله ـ يرى أن أرضه الحقيقية ، هى المكان الذى يتم فيه الإنتاج ، وليس البيع أو التوزيع ...

ولأنه من ذلك الجيل الذهبى القديم ، فقد كان يؤمن دومًا بأنه لا قيمة للعمل ، من دون إنتاج حقيقى ، يمكن أن يفيد الناس والمجتمع ...

وكنت قد أرسلت ، بناءً على مسابقة أعلنت عنها المؤسسة ، الرواية الأولى من سلسلة (ملف المستقبل) ، ووضعت لها عنوانًا أساسيًّا (أشعة ضاد) ، باعتبار أن اللغة العربية ، كان يطلق عليها فى ذلك الحين اسم (لغة الضاد) ، ولم أكن أتوقع أن تفوز بالمسابقة ، نظرًا لوصولها فى آخر دقيقة منها ، إلا أننى فوجئت بخطاب يصلنى من المؤسسة ، بعد أسبوع واحد فحسب ، يطلب منى الحضور شخصيًّا ؛ للتعاقد بشأنها ...

وأظننى قد رويت ، أكثر من مرة ، على الورق ، وعلى شاشات التليفزيون ، كيف أننى حضرت إلى (القاهرة) ، وفى جيبى قروش قليلة ، وفى قلبى أمل كبير ، فى أن يتحول حلم عمرى إلى حقيقة ، وأصبح من أصحاب القلم المحترفين ، بعد سلسلة

محاولات فاشلة ، مع دور نشر أخرى ، لم تلق حتى نظرة واحدة على أعمالى ...

وكان اللقاء الأوّل ...

ولو عدنا إلى النظريات العلمية الحديثة جدًا ، والتى تشير إلى وجـود عوامل تجاذب وراثية ، بين الأفراد بعضهم ببعض ، وعوامل تنافرية أيضًا ، نستطيع أن نقول : إن اللقاء كان يوحى بموجة توافقية جارفة ، جعلتنا نشعر بالارتياح لبعضنا البعض ، منذ اللقاء الأوّل ...

هذا لأن الأستاذ (حمدى) ــ رحمه الله ــ كان إنسانًا بسيطًا مباشرًا ، يجيد قراءة البشر مــن اللحظــة الأولى ، وكان حديثه معى بسيطًا ، وكأننا صديقين قديمين ، وودودًا ، على نحو لم أعهده فى أية دار نشر أخرى ...

وخلال الساعات القليلة ، التى استغرقها اللقاء ، علمت أن قصتى ليست مجرد قصة ، بل إن الأستاذ (حمدى) يحلم بإصدار سلاسل قصصية للشباب ، تختلف عن كل ما يملأ ، أو كان يملأ الأسواق أيامها ، فبعد أن أصدر أستاذنا (محمود سالم) سلسلة (المغامرون الخمسة) ، ونجاحها الكبير ، ثم توقف عن مواصلة

كتابتها ، تحت ظروف خارجة عن إرادته ، بدأت لعبة التقليد المعتادة ، فظهرت فى الأسواق مجموعات قصصية ، تحمل نفس الطابع ، وإن لم ترق إلى مستوى كتابات أستاذنا ...

والحق يقال ، إنها كانت عبقرية من الأستاذ (حمدى) ، أن يقيم مسابقة لكتابة قصص الخيال العلمى للشباب ، فى وقت لم تكن للخيال العلمى فيه قاعدة عريضة ، تسمح لأى دار نشر بالمجازفة ، بنشر هذه النوعية ، وفى سلاسل قصصية أيضًا ...

وفى المقابلة نفسها ، سألنى الأستاذ (حمدى) ــ أدخله الله سبحانه وتعالى فسيح جناته ــ عما إذا كانت لدى أفكار أخرى ..

والواقع أنه لم تكن فى ذهنى أى فكرة لحظتها ...

ولكننى أجبت بالإيجاب ...

وجاء السؤال التالى ليملأنى توترًا ...

لقد سألنى عن الفكرة التالية ..

وبتوفيق من الله (عز وجل) ، وجدت نفسى أروى له فكرة الرواية التالية ، التى حملت اسم (اختفاء صاروخ) ، من وحى اللحظة ...

www.dvd4arab.com

ومن الواضح أنها أعجبته بشدة ...

وطلب منى أن أجعل أبطال الرواية الأولى ، هم نفس أبطال السلسلة الدائمة ، وهو ما كنت أنتويه بالفعل؛ نظرًا لأننى ابتكرت شخصية (نور) ، لأول مرة ، أثناء تواجدى فى فترة التكليف ، فى صعيد مصر ، وقبل عامين من لقائى الأوَّل ، بالأستاذ (حمدى) ...

ثم كان السؤال الأهم ...

ماذا سنطلق على السلسلة ؟!...

ومرة ثانية ، هبط وحى الخالق العلى القدير ، وأخبرته أن اسمها سيكون (ملف المستقبل) ، مع ختم فى الركن العلوى للصفحة ، يحمل عبارة (سرى جدًا) ...

وأعجبت الفكرة الأستاذ (حمدى) ، وطلب منى سرعة إنجاز الرواية الثانية ...

وانتهى اللقـاء ، وقد انقلبت حياتى رأسًا على عقب ...

ذهبت إليه طبيبًا ...

وعدت من عنده كاتبًا محترفًا ، يتقاضى ، ولأوَّل مرة ، أجرًا على ما يكتبه ، منذ نعومة أظفاره ، دون مقابل ...

وفى منزلى فى (طنطـا) ، قضيت يومًا كاملاً ، أحاول استيعاب هذا التغيير ، الذى كان يومًا ما حلم حياتى ...

ثم أمسكت قلمى ، وبدأت فى كتابة القصة الثانية ...

فى نفس اليوم ، تلقيت اتصالاً هاتفيًا من الأستاذ (حمدى) ، يستأذننى فيه (وهو الناشر العظيم) ، فى تغيير اسم القصة ؛ حيث إنه يرى أن اسم (أشعة ضاد) ، ليس اسمًا تجاريًا ناجحًا بالدرجة الكافية ، لسلسلة تخرج إلى النور لأوَّل مرة ...

ومعًا على الهاتف ، اتفقنـا على أن يصـبح الاسم (أشعة الموت) ، وهو الاسم الذى صدرت به الرواية فعليًا ...

وبكل الحماس ، كتبت العدد الثانى من السلسلة ...

وعدت إلى (القاهرة) ...

وإلى الأستاذ (حمدى) ...

ولقد اندهش كثيرًا فى الواقع ، عندما عدت إليه بالقصة الثانية ، بعد أسبوع واحد من لقائى الأوَّل معه ...

looloo www.dvd4arab.com

واندهش أكثر عندما قرأها ...

فمع السرعة فى الإنجاز ، تصور مبدئيًّا ــ على حد قوله ــ أن القصة ستأتى ركيكة ، ضعيفة الحبكة والأسلوب ...

وكم شعرت بالفخر؛ لأنه لم يجدها كذلك !

يومهـا كنـت أصـطحب معـى صـديق العمـر ، الدكتـور (محمد حجازى) ، كبير الأطباء الشرعيين فى منطقة الخليج حاليًّا ، والذى انبهر أيضًا بشخصية الأستاذ (حمدى) وبساطته التلقائية ، وضحك عنـدما تحدثنا عـن سرعـة كتـابة القصة ، وأخبره (حجازى) أن هذا دأبى دومًا ...

ساعات نوم قليلة ...

وساعات إنجاز كبيرة ...

وفى طريق العودة ، أخبرنى (حجازى) عن انبهاره بالأستاذ (حمدى) ، ونصحنى أن أبقى معه دومًا ؛ لأن عقليته تناسب عقليتى كثيرًا ...

وفى ليلة عودتنا ، خطرت ببـالى فكرة ، قهرتها دور نشر أخرى أكثر من مرة ...

فقبل لقائى بالأستاذ (حمدى) ، كنت قد قدَّمت روايتى الأولى عن (رجل المستحيل) ، لعدة دور نشر ، رفضتها كلها فى شدة ، بلغت حد استدعاء الأمن لإخراجى من أحد هذه الدور ، عندما استنكرت فكرة رفض الشخصيات العربية الفردية ، فى سوق نشر تكتظ بروايات عن شخصيات فردية غربية ...

وتساءلت ليلتها : مع عقلية مثل عقلية الأستاذ (حمدى) ، هـل سـألقى ، وتلقى روايـة (رجـل المسـتحيل) المصير نفسه ؟!...

وفى الأسبوع التالى ، توكلت على الخالق (جـل جلاله) ، وحملت رواية (رجل المستحيل) الأولى (الاختطاف الغامض) ، مع العدد الثالث من سلسلة (ملف المستقبل) ، وقدمتهما معًا للأستاذ (حمدى) ، والتساؤل مازال يعربد فى رأسى ...

هل سيتقبلها ؟!...

هل ؟!...

وكانت المفاجأة ...

ففى اليوم التالى مباشرة ، تلقيت اتصالاً من الأستاذ (حمدى) ، يسألنى فى اهتمام عن العدد الثانى من (رجل المستحيل) ...

www.dvd4arab.com

وكدت أطير من السعادة ...

وبعد أقل من أسبوع ، حملت إليه العدد الثانى من (رجل المستحيل) ...

وكان هذا لقائى الأوّل مع فارس الفن ، الذى تمزق قلبى لرحيله أيضًا ، قبل سنوات من رحيل الأستاذ (حمدى) (رحمهما الله) ....

التقيت مع الأستاذ (إسماعيل دياب) ...

لم يكن هو المرشح الأوّل لرسم أغلفة الروايات ، بل سبقه فنان شهير آخر ، كانت أغلفته كلها عبارة عن كادرات كبيرة من مجلة (تان تان) ، يضيف إليها بعض لمسات من ريشته فحسب ، وعندما أخبرته بهذا ، هاج وماج ، وأقسم أنه لم يتصفح مجلة (تان تان) هذه قط ، فما كان منى إلا أن حملت رسومه إلى القسم الفنى ، وإلى الراحل الثالث ، الذى ربطتنى به صداقة طويلة وثيقة ، الأستاذ (صبحى عبود) ، والذى فحص الرسوم بعدسة النسيج ، ثم أكد ما قلته ، وبأن نقاط الطباعة واضحة ، فى خلفية الصورة ...

وعلى الرغم من شهرة ذلك الفنان أيامها ، فقد صرفه الأستاذ (حمدى) ، الذى يكره الغش والخداع ، واستبدله (لحسن حظ الجميع) ، بالمبدع الفنان (إسماعيل دياب) ...

وبدأت الرحلة فعليًا ...

* * *

روايتك المطبوعة الأولى ، يكون لها دومًا بريقًا من نوع خاص ، فأنت تعشق الكتابة ، وتملأ بها صفحات كشاكيل وكراسات ، وتكتب عليها اسمك بخط كبير واضح ، وتحاول أن تصنع غلافًا ، وتلونه ، وتبذل قصارى جهدك ، لكى يبدو الكراس أشبه بكتاب مطبوع يحمل اسمك ...

ثم تأتى لحظة تحول الحلم إلى حقيقة ، وتصبح لديك رواية ، مطبوعة بالفعل ...

ولا يمكنك تصور عظمة هذه اللحظة ...

لقد كنت أتابع خطوات الطباعة خطوة بخطوة ، وأجلس طويلاً مع عمال الجمع ، وفى حجرة المونتاج ، وأحصل على نسخة من كل ملزمة يتم طبعها ، والأستاذ (حمدى) يتابع كل هذا

looloo www.dvd4arab.com

بابتسامة هادئة ، وهو الذى اعتاد ضجيج المطابع ، منذ نعومة أظفاره ، وراح يشرح لى تفاصيل عملية الطباعة ، منذ ورود العمل ، وحتى خروجه إلى الأسواق ، مرورًا بعملية الجمع ، والتوضيب ، والمونتاج ، والطباعة ، وتصميم الغلاف ، وهكذا ...

وكنت أشعر طوال الوقت ، أنه ــ رحمه الله ــ يتعامل معى ، كما لو كنت ابنًا من أبنائه ، يحاول منحه كل أسرار المهنة ، فى حب خالص ، ومودة صادقة ...

وخرج أول عمل لى إلى النور كاملاً ، وفى الصباح ، تلقيت اتصالاً من الأستاذ (حمــدى) ، يبلغنى فيه فى سعادة ، عن خروج أوَّل عمل من المطابع ...

وبعد ساعتين فحسب ، كنت فى (القاهرة) ، قبل حتى وصول الأستاذ إلى المطبعة ، أمسك أول قصة مطبوعة ، تحمل اسمى ، وأنا أكاد أبكى من الفرح ...

وحضر الأستاذ ، وشعرت بأنه يشاركنى فرحتى الكبرى ، بأول مولود روائى من مؤسسة عريقة ، لها تاريخ طويل فى نشر الكتب الدراسية ...

وكان الأستاذ (حمدى) هو من اختار للسلاسل اسم (روايات مصرية للجيب) ؛ نظرًا لغرامه فى حداثته ، بسلسلة (روايات الجيب) ، التى قدمت للمكتبة العربية روائع الأدب العالمى ...

قضيت يومها النهار بطوله مع الأستاذ ، نتناقش فى كيفية الدعاية للسلاسل الثلاث الأولى ، التى ستصدر عن (روايات مصرية للجيب) ، والتى ستقدمها للقارئ ، وكان ــ رحمه الله ، وأسكنه فسيح جناته ــ صاحب فكرة عبقرية ، فى أن يبدأ الأمر بإعلانات صغيرة فى الصحف ، تذكر أسماء السلاسل ، دون أية إشارة أخرى ، ثم تعقبها حملة دعائية ؛ للتعريف بها ...

وفى نهاية النهار نفسه ، كنت أمسك العدد الأوَّل من (رجل المستحيل) ...

ومع عودتى إلى مدينتى (طنطا) ، رحت أخبر الجميع بالأمر ، وعلى رأسهم (محمد حجازى) ، الذى شجعنى فى البداية على تقديم الرواية الأولى للمسابقة ...

واندهش معظم من عرفت فى الواقع ...

فطوال حياتى فى الكلية ، عرفنى الجميع كرسام ، يملأ الحوائط برسومه ، ويصدر كل أسبوع مجلة حائط ، بالاشتراك مع الزميل

Looloo
www.dvd4arab.com

(سمير حنتيرة) ، تمتلئ برسوم كاريكاتورية ، عن أحداث شهدتها الكلية خلال الأسبوع ، ويعد ديكورات حفلات الكلية ، ولافتات الدعاية الانتخابية ...

بل والرسوم المصاحبة للقصص التى يكتبها آخرون ...

وكنت عضوًا باللجنة الفنية ، لا الثقافية ، ثم أمينًا للجنة فيما بعد ...

ولم يعرفنى أحدهم أبدًا ككاتب ...

كل كتاباتى كان يعرفها الأصدقاء المقربون جدًا فحسب ...

وكانت تملأ مجموعة كشاكيل ، مازلت أحتفظ بها ، حتى يومنا هذا ...

ولهذا كان صدور روايات بقلمى ، مفاجأة للجميع ...

ومازلت أذكر حتى الآن ، كيف التقى بى أحد الأصدقاء القدامى ، فى القطار العائد إلى (طنطا) ، وكنت أتصفح أحد أعداد (ملف المستقبل) ، فضحك وهو يسألنى ساخرًا ، عما إذا كنت لا أزال أقرأ تلك النوعية ، فأخبرته مبتسمًا أنها من إنتاجى ، وهنا اندهش بشدة ، ثم هنأنى على جودة الغلاف ، وكانت

دهشته أكبر ، عندما علم أننى لم أرسم الغلاف ، وإنما كتبت الرواية نفسها ....

أعود هنا إلى ذكرياتى مع أستاذى الراحل العظيم ، عندما كنت فى طريقى إلى (الإسكندرية) ، ووجدت أول إعلانات الحملة الصحفية ، فى الركن السفلى للصفحة الثالثة من الجريدة ...

كان إعلانًا بسيطًا للغاية ، ولكنه يلفت الانتباه إلى حد كبير .

(رجل المستحيل) .. (ملف المستقبل) .. (المكتب رقم 19) ..

ثلاثة عناوين ، متراصة بشكل أنيق ، دون أية إضافة إخرى ..

وعلى مسافة قريبة منى ، سمعت أحدهم يتساءل عن معنى العناوين الثلاثة ...

وابتسمت ...

كانت فكرة عبقرية من الأستاذ (حمدى) بالفعل ...

إعلانات مبهمة ، مع عناوين جذابة ...

ودون أية تفاصيل ...

ولم يمض أسبوع واحد ، حتى أصبح هناك عدد كبير من الناس ، يتساءل عما تعنيه تلك الإعلانات ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وهنا بدأت المرحلة الثانية من الحملة ....

إعلانات جديدة ، تذكر أن هذه العناوين الثلاثة ، لسلاسل قصصية جديدة ، تحت عنوان واحد ، وهو (روايات مصرية للجيب) ، تصدر فى الأوّل والعاشر ، والعشرين من كل شهر ...

الطريف أنه ، وعلى الرغم من الدعاية ، لم يحدث ، ولو مرة واحدة ، أن صدرت السلاسل بهذا الترتيب ؛ نظرًا لأنها كانت ترتبط بظروف ومواعيد الطباعة ...

وعقب الحملة الإعلانية ، وقبل أن تكتمل بأسبوع واحد ، بدأ طرح السلاسل فى الأسواق ...وكان الأمر محبطًا فى البداية ...

الأسواق لم تتقبل السلاسل على نحو جيد ، وإنما بتحفظ شديد ، خاصة وأن السوق كان مغمورًا بعشرات الروايات ، التى تقلد أسلوب أستاذنا (محمود سالم) ، الذى مازالت رواياته عن (المغامرون الخمسة) ، و(الشياطين الثلاثة عشر) ، تملأ الأسواق ، وتلقى رواجًا جيدًا ...

فى نفس الوقت ، كنت أواصل إفراغ مخزون الأعوام من الأفكار ، فى روايات جديدة ، حتى إننى كنت أقدم العدد السابع من كل من السلسلتين ، وعددهما الثانى لم يصدر بعد ...

وكانت المبيعات ، حتى العدد الرابع ، منخفضة للغاية ، مما دعانى يومًا لأن أعرض على الأستاذ (حمدى) التوقف ، إلا أنه ابتسم فى ثقة ، وأخبرنى أن الأشياء الجديدة تحتاج إلى فترة من الصبر ، وأنها لن تلبث أن تجد رواجًا ، عندما تستوعبها الأسواق ...

ثم طلب منى الاستمرار فى الكتابة ، دون الالتفات إلى التوزيع ...

وكم كانت نظرته مستقبلية صائبة كالمعتاد !...

فمع العدد السادس من السلسلتين ، تضاعفت المبيعات على نحو ملحوظ ، وحدث إقبال واضح على السلاسل الثلاث ، وبدأ البعض يتحدثون عنها ، وخاصة مع جودتها ورخص سعرها ؛ ليثبت الأستاذ أن لديه نظرة مستقبلية ، لا تخطئ أبدًا ...

كان والدى رحمه الله مستاء جدًا ، من أننى قد استقلت من الوظيفة الحكومية ، وركزت اهتمامى على الكتابة ، وكان هذا فى عرفه ، دليلاً على الفشل وعدم وضوح الرؤية ، فكيف لطبيب ، يحلم القطاع العريض من الشباب بمهنته ، أن يترك وظيفة طبيب فى مستشفى محترم ، من أجل مهنة غير مضمونة ، مثل مهنة الكتابة ؟!..

www.dvd4arab.com

ولكن الواقع أننى كنـــت أعشق مهنة الكتابة ، إلى الحد الذى يحجب عنى أية مهنة أخرى ...

أعشق الورق ...

والطبـــاعة ...

والإخـــراج ....

وكنت أشعر دومًا أننى ما خلقت إلا لهذه المهنة ، وأننى لست أفخر بحمل سماعة الطبيب وجهاز قياس ضغط الدم ، بقدر فخرى بحمل قلم ، يمكن أن ينقل أفكاره إلى آخرين ...

ثم كان ذلك اليوم ، الذى استوقف فيه بعض الشباب والدى فى (طنطا) ؛ ليسألوه فى لهفة ، إذا ما كان والدى ، وعندما أجاب بالإيجاب ، انهالوا عليه بعبارات الثناء ، والتقدير لما أكتبه ...

وعاد والدى ــ رحمه الله ــ إلى المنزل ، وهو ممتلئ فخرًا وسعادة ...

روى لى ما حــدث ، ثم تغيــرت نظرته إلى ما أفعله تمامًا بعدها ...

كنت أيامها أستعد للزفاف ، بعد خطبة استمرت ثلاثة أعوام ، ومثل أى شاب ، كنت أحتاج إلى نفقات عديدة ؛ لإتمام الزفاف ...

وهنا ظهر جانب آخر من جوانب الأستاذ (حمدى) الرائعة ... جانب مازلت أدين به له ، حتى يومنا هذا ...

ولهذا قصة ...

* * *

كأى شاب مقدم على الزواج ، فى العشرينات من عمره ، كنت أعانى من ضائقة مالية ، مع متطلبات الزواج ، التى نصرُّ على أن نجعلها أكبر مما ينبغى ، ولكننى كنت ومازلت مصابًا بمشكلة نفسية معقدة ، تجعلنى أعجز عن طلب العــون ، مهما كنت فى أشد الحاجة إليه ، ولهذا لم يكن من السهل علىَّ أن أطالب والدى ، رحمه الله ، بما ينقصنى من موارد ، كما كانت تدور فى رأسى حسابات لا حصر لها ، حول مصروفات حفل الزفاف ، وشهر العسل ، وخلافه ...

وكان الأستاذ (حمدى) يدرك أننى مقدم على الزواج ...

ولم نتحدث فى هذا قط ...

Loolool
www.dvd4arab.com

ولم أحاول من ناحيتى الإشارة إلى ما أعانيه ...

زوجتى وحدها كانت تعلم بالمشكلة ، ووفقًا لمطلبى ، لم تخبر بها أحدًا ...

وتصورت فى لحظة ما ، أن الحل الوحيد هو ألا نقيم حفل زفاف ، وأن نقضى شهر العسل فى منزل الزوجية ...

ثم فجأة ، وجدت الأستاذ (حمدى) ــ رحمه الله ــ يعطينى مظروفًا مغلقًا ، ويبتسم قائلاً : إنها معاونة من المؤسسة على الزواج ...

لم أدر لحظتها ماذا أقول ، وإن حاولت متخاذلاً إقناعه بأننى لست فى حاجة إلى المعاونة ، على الرغم من كل الظروف ...

وكان بسيطًا ، وهو يخبرنى أنه يعلم هذا ، ولكنه تقليد فى المؤسسة ، تجاه كل من يقدم على الزواج ...

وكانت معاونة شديدة القيمة ، بمقاييس تلك الأيام ...

وعندما عدت إلى (طنطا) ، كانت فى انتظارى مفاجأة أخرى ...

فوالدى ــ رحمه الله ــ قد تولى كل ما يتعلق بحفل الزفاف كهدية منه ...

وهكذا ، ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت ...

لم يكن منزل الزوجية مجهزًا بكل شىء ، كما هو الحال هذه الأيام ، وكنا قد اكتفينا بهذا ، على أن نكمل ما تبقى عقب الزفاف ، فقررنا استخدام مساعدة المؤسسة ، فى قضاء شهر عسل جيد ...

ومرة أخرى ، دخل الأستاذ (حمدى) الصورة ... وبقـــوة ...

فقبل الزفاف بأسبوع واحد ، فوجئت به يعطينى مفتاح شقته فى المعمورة ، وكانت أيامها أفخر مصايف (مصر) ، حيث لم يكن إنشاء الساحل الشمالى قد بدأ بعد ...

وبنفس الابتسامة ، أخبرنى أنها هدية شهر العسل ...

ولم أصدق كل هذا ...

لقد حسبت ألف حسبة ، قبل أن تهبط علىَّ كل هذه المفاجآت ، وبعد أن قررت وزوجتى الاكتفاء بأقل القليل ، وجدت نفسى أقيم حفل زفاف جميل ، وأقضى شهر عسل أجمل ، فى أرقى مصايف (مصر) فى ذلك الحين ...

Looloo www.dvd4arab.com

شعرت بامتنان كبير أيامها ، لطرفين مهمين فى حياتى ...

والدى ...

والأستاذ (حمدى) ...

وفى شهر العسل ، حصلت من شباب (مصر) على أجمل هدية زفاف ...

كانت رواياتى تفترش كل الأرصفة ، وإقبال الشباب عليها شديد الوضوح ، حتى أننى كلما جلست مع زوجتى على الشاطئ ، كان هناك من يقرأ رواية منها ...

وعدت من شهر العسل ، وكلى حماس؛ لكتابة المزيد والمزيد من الروايات ...

وفى كل مرة نلتقى ، الأستاذ (حمدى) وأنا ، كنا نفكر فى مشروع جديد ، ونناقشه ، ونضع له الأسماء ، والمضمون ...

وذات يوم ، وجدت على مكتب الأستاذ (حمدى) ، عدة أعداد من سلسلة رومانسية شهيرة ، كانت تملأ الأسواق فى ذلك الحين ، وكان الإقبال عليها ملحوظًا ، ولم أكد ألتقى به ، حتى بدأ يحدثنى فى حماس عن تلك السلسلة ، وعن قراءته لها ،

وضيقه من أنها تحوى الكثير ، مما لا يتناسب مع قيم مجتمعنا وتعاليم ديننا ، ثم سألنى ، إذا ما كنت أستطيع كتابة روايات رومانسية ، تلتزم بالتقاليد ، وتعطى صورة جميلة مهذبة للحب ، كما ينبغى أن يكون ، ثم قال بالنص : « أريد روايات ، لا يخجل الأب أو الأم ، من وجودها فى منزلهم ، وبين يدى أولادهم » ...

وفى الجلسة نفسها ، اخترنا للروايات ، التى لم تكتب بعد ، اسم (زهور) ...

وبدأت بالفعل فى كتابة الرواية الأولى ...

ومع مولد ابنى (شريف) ، بدأت طباعتها ، فقررت أن أضع فى مقدمة عددها الأوّل إهداءً له ...

وتم طرح (زهور) فى الأسواق ، وأنا أضع يدى على قلبى ...

إنها روايات رومانسية ، تنافس سلسلة معروفة ، تلقى رواجًا بالفعل فى الأسواق العربية ...

فماذا سيكون تأثير هذا ؟!...

ولكن الشباب العربى لم يخذلنا ...

Looloo
www.dvd4arab.com

الروايات الرومانسية ، ذات الطابع الشرقى ، نجحت فى أن تحتل مكانها ، وسط الروايات الرومانسية المترجمة ...

ليس هذا فحسب ، وإنما راحت تزيحها رويدًا رويدًا من الأسواق ...

وبعد أقل من عامين ، صارت روايات (زهور) هى الأكثر مبيعًا ، وسط عالم الروايات الرومانسية ، فى العالم العربى كله ، وخاصة بعد أن انضم إلىّ فيها الزميل (شريف شوقى) ، ورأينا أن نفتح صفحاتها ، لكل من يمتلك الموهبة فى هذا المجال ، نظرًا لأنها سلسلة متصلة منفصلة ، لكل رواية فيها طعم مختلف ، وليس من الضرورى أن ترتبط بكاتب واحد ...

ولم تكن طبيعة الأستاذ بقادرة على الاكتفاء بهذا فحسب ...

وكان طول الوقت يبحث عن جديد ...

وعن إضافة لسلاسل (روايات مصرية للجيب) ...

وفى واحدة من الشركات ، العاملة فى مجال الدعاية ، التقيت بالفنان (خالد الصفتى) ، وأدهشنى أنه يمتلك موهبة كبيرة ، ولكنها لا تلقى تقديرًا ، من الجهة التى يعمل فيها ، فاصطحبته إلى الأستاذ (حمدى) ؛ ليعرض عليه موهبته ...

وبدأ الأستاذ يبحث عن الوسيلة المثلى ، للإفادة من تلك الموهبة ...

ولأنه ـ رحمه الله ـ كان شديد الحماس لكل فكرة جديدة ، جاء اتصاله بى فى الصباح الباكر ذات يوم؛ ليخبرنى أنه قد عثر على الفكرة ...

وخلال ساعتين فحسب ، كنت فى (القاهرة) ، فى مكتبه ، ليطرقع بإصبعيه ، هاتفًا : « فلاش » .. سألته عما يعنيه هذا ، فأخبرنى أنها فكرة سلسلة جديدة ، عبارة عن فلاشات قصيرة متنوعة ، ترسم ضحكة على الوجوه ، وتسلية لوقت الفراغ ، وكان يستند فى هذا إلى باب يحرره (خالد الصفتى) ، فى مجلة محدودة الانتشار ، لم تحقق له أيامها الشهرة المطلوبة ...

وراقت الفكرة للفنان (خالد الصفتى) ، وتناسبت مع طبيعته وموهبته ، واستعنا بالمخرج (عادل قلين) ، لعمل الإعلانات اللازمة لترويجها ...

وكنت أشعر أن الأستاذ يمتلك عقلاً من ذهب ...

فبقوة ليس لها مثيل ، فى عالم النشر ، انتشرت (فلاش) فى (مصر) كلها ، مع معرض الكتاب الدولى ، وحققت مبيعات خيالية ، فاقت كل التوقعات ، حتى شديدة التفاؤل منها ...

ومع هذا النجاح الباهر ، أوغر أحدهم صدر (خالد) ، فتقدم للأستاذ بطلب مكتب منفرد ، وهاتف خاص ، وجهاز تكييف ، وتليفزيون ، و .... ، و ...

وضحك الأستاذ ، كما لم يضحك من قبل ، واندهش (خالد) نفسه ؛ لأنه لم يكن يفكر فى كل هذا ، وإنما أخبره شخص قريب من الأستاذ ، بضرورة طلب ما طلب ، وانصاع له هو فى استسلام ؛ لشدة قرب هـذا الشخص من الأسـتاذ ، وتصور أنه مطلب طبيعى ، فى مثل هذه الظروف ...

وانتهى الموقف كله فى هدوء ، بعد أن أدرك (خالد) أنها كانت محاولة عبث ليس إلا ...

وكعادته ــ رحمه الله ، وأسكنه فسيح جناته ــ تجاوز هذا الأمر فى سرعة ، ثم بدأ التفكير فى سلسلة جديدة ...

كان يحلم دومًا بأن تصبح (روايات مصرية للجيب) منارة الشباب الثقافية ، فى العالم العربى كله ، وبعدد لا حصر له من السلاسل ، فى مختلف المجالات ...

وهنا ، اقترحت سلسلة ، كنت أحلم بها طيلة عمرى ...

سلسلة منوعة ، تضم كل ما أكتبه ، خارج السلاسل المعروفة ..

سلسلة تضم القصـة القصيرة ، والدراسـة ، والخواطر ، ورواية منفصلة ، ورسائل القراء وغيرها ...

ووضعت لتلك السلسلة اسم (كوكتيل 2000) ...

وبدأت رحلة جديدة ....

* * *

مع اختلاط الذكريات بعضها ببعض ، لا أستطيع الجزم بإذا ما كان إصدار (كوكتيل 2000) قد سبق (فلاش) أم العكس ، ولكننى أذكر أننا قد أصدرنا بعدها سلسلة أخرى ، حملت اسمًا مقتبسًا أيضًا من عالم التصوير الضوئى ، الذى أعتبره أهم هواية فى حياتى ...

اسـم (زووم) ...

وعلى عكس فلاش ، كانت (زووم) تعتمد على التركيز على موضوعات جادة متنوعة ، بحيث تصير أشبه بمجلات (المختار) القديمة ، التى كانت تصدر فى حجم كتاب ، وتقطف من كل بستان زهرة ...

كنت أيامها أسبق عجلة النشر بعشر روايات كاملة من كل سلسلة ، مما شجعنى على خوض تجربة (زووم) ...

www.dvd4arab.com

والواقع أنها كانت تجربة جميلة ، عملت على تنمية ثقافتى ، واتساع آفاق فكرى ؛ بسبب اطلاعى على عشرات الكتب ، فى شتى المواضيع ، بحثًا عن جديد ...

ولكن التجربة كان فيها عيب رئيسى ...

كانت أشبه بمجلة كاملة ، يحررها شخص واحد ...

وهذا غير عملى ...

وغير منطقى أيضًا ...

وعلى الرغم من أننى كنت أسبق النشر بعشرة أعداد ، إلا أن انشغالى بتحرير (زووم) ، التهم وقتى كله تقريبًا ، فراحت تلك الفجوة تتناقص تدريجيًا ، حتى لم يعد يفصلنى عن عالم النشر سوى عددين فحسب ...

وهنا بدأت أعيد حساباتى ...

وصارحت الأستاذ (حمدى) بالمشكلة ...

ومعًا ، جلسنا نبحث عن الحل ...

كنت أحب كل ما أكتبه ، وأجد متعة مع كل سطر ، ولكننى كنت أشبه بقائد سفينة ، توشك على الغرق ، وليس أمامه من حل ، سوى أن يضحى بأحد ركابها ...

ولما كان العدد الواحد من (زووم) ، يستغرق ما يزيد على ضعف وقت كتابة واحدة من قصص السلاسل الأخرى ، وكانت أقل توزيعًا منها فى الوقت ذاته ، لم يكن هناك مناص من اتخاذ القرار المؤلم ...

وتوقفت سلسلة (زووم) ...

كان القرار ، على الرغم من مرارته ، لصالح السلاسل الأخرى ، الأكثر مبيعًا وانتشارًا ، مثل

(رجل المستحيل) ، و(ملف المستقبل) ، و(كوكتيل 2000) ..

ولقد رأيت فى الوقت ذاته ، أنه يمكن تعويض (زووم) ، من خلال ما ينشر من منوعات مختلفة المشارب ، فى (كوكتيل 2000) ...

وعدت أسبق المطابع بأربعة أعداد ...

وخمسة ...

وستة ...

ولكن عقل الأستاذ أبى أن يتوقف عن البحث عن أفكار جديدة ..

وسلاسل جديدة ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وذات يـــوم ، وفى واحـــدة من زياراتى المنتظمة لمكتبه ، فوجئت به يطرح علىَّ فكرة سلسلة جديدة ...

كان يفكر فى عمل ، يجمع ما بين المجلة والكتاب ، فى محتوى واحد ...

عمل يصدر فى حجم وهيئة مجلة ، ويحوى ما يتصف به كتاب ...

وطلب منى وضع تصور كامل لهذا ...

وراقت لى الفكرة ، على الرغم من انشغالى الشديد أيامها ...

وعدت إلى (طنطا) ، وجلست خلف مكتبى لما يقرب من يوم كامل ، ثم عدت إليـــه فى (القاهرة) ، بالعدد الأوَّل من سلسلة (بانوراما) ...

ومرة أخرى ، اخترت الاسم من عالم هوايتى المفضلة ...

عالم التصوير ...

قرأها الأستاذ ، وأعجبته ، وفى لحظات ، كان قد أرسلها إلى قسم التوضيب ، وإلى الأستاذ (إسماعيل دياب) ؛ لعمل الغلاف ..

وهنا ذهبت السكرة ، وجاءت الفكرة ...

لقد أضيفت إلىَّ سلسلة جديدة ، دون أن أنتبه ...

وهذا يعنى المزيد من العمل ...

والمزيد من الجهد ...

والقليل جدًّا ... من وقت الفراغ ...

أيامها كان (شريف) ابنى الأكبر ، مازال طفلاً ، لا يحلو له أن ينام ، إلا إذا وضعته على ساقى ، وأنا أكتب ...

وكانت معادلة صعبة نوعًا ما ...

كنت أكتب ، وأضمه إلىَّ ، وأداعبه ...

وكل هذا فى وقت واحد ...

وعندما يخلد إلى النوم أخيرًا ، كنت أحمله فى رفق إلى فراشه ، وأعود لمواصلة الكتابة .... ثم جاءت شقيقته الأولى ...

ابنة صغيرة ، جميلة ، أحببتها منذ أن وقعت عينى عليها ، وكان كل ما يشغلنى بشأنها ، هو كيفية الربط بينها وبين (شريف) ، حتى لا يغار منها ، أو يغضب عندما ندللها ...

وبمولدها ، أصبحت رب أسرة ، عليه أن يرعى أسرته ، ويمنحها بعض وقته ، ويكتب كل هذه السلاسل فى الوقت ذاته ...

Looloo

أيامها ، طرح علىَّ الأستاذ فكرة الانتقال إلى (القاهرة)...

كان يرى ــ رحمه الله ــ أن السفر من (طنطا) إلى (القاهرة) يستنفد الكثير من الوقت ، ويمنعه من الالتقاء بى ، عندما يريد مناقشة فكرة ما ، طرأت على ذهنه ، وأن انتقالى إلى (القاهرة) سيوفر الكثير من الوقت الضائع ، وسيضعنى على مقربة منه ، فى الوقت ذاته ...

كانت المشكلة فى هذا هى العثور على شقة فى (القاهرة) ، التى تنافس أكثر عواصم العالم ازدحامًا ، والتى تعانى ، على خلافها ، من أزمة إسكان رهيبة ...

ولكن الأستاذ حل الأزمة فى بساطة كعادته ...

كان يمتلك عددًا من البنايات فى (القاهرة) ، وفى منطقة (مصر الجديدة) بالتحديد ، لذا فما أن خلت شقة فى إحدى عماراته ، حتى اتصل بى فى (طنطا) ، وحضرت لرؤية الشقة ، وكتبنا عقدها فى اليوم نفسه ...

وهنا بدأ خوف مبهم يتسلل إلى نفسى ...

صحيح أننى كنت أعمل بالفعــل فى (القاهرة) ، ولكننى كنت أدير ، فى الوقت ذاته ، مستشفى صغير فى (طنطا) ، التى أقيم فيها منذ مولدى ، وأرتبط فيها بعلاقات وصداقات عديدة ...

والانتقال من حياة إلى أخرى ، أمر مقلق للغاية ...

فعندما تنتقل ، عليك أن تبدأ حياة جديدة ، وترتبط بعلاقات مختلفة ، وصلات مغايرة ...

ولكن الحل كان عمليًا بالفعل ...

ففى تلك الفترة ، كنت قد انضممت إلى أسرة تحرير مجلة (باسم) السعودية ، وأكتب مقالات غير منتظمة ، فى مجلة (الشرق الأوسط) اللندنية ، التى تصدر كملحق لجريدة تحمل الاسم نفسه ، وكان علىَّ أن أبدأ رحلتى إلى (القاهرة) فى السادسة صباحًا ؛ لكى أصل إلى (باسم) مبكرًا ، ثم اتجه إلى المؤسسة ، وبعدها أعــود لإدارة ذلك المستشفى الصغير فى (طنطا) ، ولأكتب الروايات فى نهاية الليل ...

وكان هذا مرهقًا ...

وبشدة ...

ثم إن (شريف) كان قد بلغ السن ، التى ينبغى له فيها دخول المدرسة لأوَّل مرة ، وكان من المحتم تحديد مساره ...

هل يبدأ دراسته فى (طنطا) ...

أم فى (القاهرة) ...

Looloo
www.dvd4arab.com

هذه النقطة الأخيرة حسمت الموقف ...

ولكن ليس دفعة واحدة ...

لقد قررت عمل هذا على نحو تدريجي ، بأن أصطحب زوجتى وطفلى معًا إلى تلــك الشــقة الجديدة فى (القــاهرة) ، ليومين أو ثلاثة أسبوعيًا ، تمهيدًا للانتقال النهائى ...

وفى (طنطا) ، وقبل بدء هذه المرحلة بفترة قصيرة ، نطقت ابنتى الصغيرة بكلمة (بابا) لأول مرة ...

وكدت أطير من السعادة ...

ولكننى لم أدر أن الصباح التالى سيحمل لى مفاجأة ...

مفاجأة غير سارة ...

على الإطلاق...

* * *

كان كل شىء يسير كالمعتــاد ، فى منزلى فى (طنطا) ، عندما استيقظت فجأة على صراخ زوجتى ، فهرعت إليها ، لأجد أمامى صدمة ، كادت المسكينة معها تنهار تمامًا ؛ فالابنة التى

نطقت اسمى للمرة الأولى منذ ساعات قليلة ، هادئة فى فراشها ، وعلى وجهها الطاهر علامات الموت ...

حاولت يومها ، على الرغم من ثقتى فى وفاتها ، باعتبارى طبيبًا فى هذا المجال ، أن أسعفها بشتى الطرق ، وبلا أدنى فائدة ...

وكانت أيامًا بالغــة الحــزن والأسى ، لا يمكننى أن أصف هنا مدى الألم ، الذى تركتــه فى نفس زوجتى ونفسى ، وإن بذلت جهدًا خرافيًا ، فى محاولة التماسك ، وسجن دموعى فى أعماقى ؛ حتى أســاعد زوجتى على عبــور الأزمة ، التى كادت تصيبها بانهيار تام ...

وعلم الأستاذ (حمدى) رحمه الله بالأمر ، مع أول اتصال هاتفى ، وكان شديد التعاطف مع الموقف ، وطلب منى البقاء إلى جوار زوجتى ، حتى تستعيد قدرتها على العودة إلى الحياة الطبيعية ...

وحسم هذا الموقف الكثير من الأمور ، وجعلنى أتخذ القرار الحتمى ، بضرورة الانتقال إلى (القاهرة) ؛ للابتعاد عن المنزل الذى شهد المأساة ...

Looloo
www.dvd4arab.com

ومع تواجدى إلى جوار زوجتى ، فى تلك المرحلة ، نجحت معها فى عبور الأزمة ، وتحدثت معها بأن الله سبحانه وتعالى اختار ابنتنا الصغيرة إلى جواره ، ونحن لا ندرى ماذا كان يمكن أن يحدث لها ولنا ، لو أنها بقيت على قيد الحياة ، وأنه ربما يرزقنا الله عز وجل بابنين عوضًا عنها ...

ولقد كان ...

لقد أنجبنا بعدها بالفعل (ريهام) ، ثم (نورهان)...

وعلى الرغم من الحزن العميق ، تجاوزنا الأزمة ، من أجل باقى الأبناء ، ولأن الحياة يتحتم أن تستمر ، مهما كانت الخطوب ...

ومع الانتقال إلى القاهرة ، فى أغسطس 1990م ، بدأت مرحلة جديدة من حيـاتى ، ومن علاقتى بالأستاذ ، التى جعلها قرب المكان أكثر عمقًا ، فصارت صداقة ، بأكثر منها عمل ...

ولأن الأمر تحول إلى باب الصداقة ، صار كل منا يحدث الآخر عن أمور ، لا يمكن نشرها هنا ، ولا فى أى مكان آخر؛ نظرًا لأنها أمور شخصية أو عائلية ، ائتمن كل منا الآخر عليها ، وصارت محبوسة داخل خزائن فولاذية مغلقة ، يستحيل خروجها منها ، ولو خرجت الروح معها ...

كنت أيامها أكتب قصة العدد ، للكتاب الجديد من سلسلة (كوكتيل 2000) ، واخترت لها اسم (فارس الأندلس) ، وقرأها الأستاذ ، وطلب منى الحضور إلى مكتبه ، وهناك وبعد أقل من نصف الساعة ، أخبرنى أنه يريد إنتاج القصة على نحو مختلف ؛ فبدلاً من أن تكون قصة العدد ، فى (كوكتيل 2000) ، فكَّر الأستاذ فى إنتاجها فى حجم (بانوراما) ، أى بقطع المجلة ، مع رسوم ملونة ، وضعها فى اقتـدار الأستاذ الفنان المبدع الراحل (إسماعيل دياب) ...

ولقد تم عمل الرسوم ، وطباعة العدد بالفعل ، ولم يكن ينقصه سوى الغلاف ، عندما سافرت لقضاء الصيف فى (المعمورة) كالمعتاد ...

وهنــاك ، شاهدت رواياتى تفترش الأرصفة ، وكــان هذا ، ولا يزال ، يسعدنى بشـدة ، فذهبت لألقى نظرة على العناوين المطروحة ...

وكانت المفاجأة ...

لقـد فوجئت برواية ، مـن القطع المعتاد للروايات ، تحمل عنوان (فارس الأندلس) ، مع الرقم (1) ...

Loloo www.dvd4arab.com

وكان هذا يعنى أن الرواية ، التى كان يفترض أن تصدر فى حجم كبير ، ورسوم رائعة ملونة ، قد صارت سلسلة جديدة ، من سلاسل (روايات مصرية للجيب) ... ومع المفاجأة ، هرعت إلى سنترال (المعمورة) ، ووقفت فى الطابور ، الذى كنت أبغضه كل البغض ، واتصلت بالأستاذ ...

وعلى الطرف الآخر للخـط ، سمعت ضحكاته ، وهو يسألنى عن شعورى ، عندما رأيت العدد الأوّل من (فارس الأندلس) ...

والعجيب أنه نجح ، وبمنتهى السهولة ، فى إقناعى بما حدث ..

كان قد قرأ القصة مرة أخرى ، قبل عمل غلافها ، ووجد أن أحداثها وشخصياتها جديدة وثرية ...

أخبرنى أنه أحب الشيخ وحكمته ...

و(مهاب) وفروسيته ...

و(فهد) وقوته ...

وأنه قد وجد فى الرواية خامة ممتازة لسلسلة جديدة ، لا مثيل لها فى الأسواق ، ويمكنها أن تثرى مكتبة الشباب بمعلومات جديدة ، عن فترة قـل الحديث عنها ، وتبث فى نفوسهم روح الفروسية ، التى أسعى إليها فى كتاباتى ...

وأنهيت المحادثة ، وأنا أكثر حماسًا منه لإنتاج المزيد من (فارس الأندلس) ...

ولم يكن هذا بالأمر السهل ...

فالكل يعلم أنه ، وعلى الرغم من سيادة العرب على (الأندلس) ، لأكثر من سبعة قرون ، إلا أن الأمر انتهى بهزيمتهم ، وبعودة (الأندلس) إلى (أوروبا) ...

وهذا يعنى أن التحدى كبير ...

وعندما نأتى إلى خانة التحدى ، يتفق الأستاذ ــ رحمه الله ــ مع شخصى المتواضع فى الكثير .... والكثير جدًا ...

فكلانا يعشق التحدى ، واقتحام المجالات الجديدة ...

والمغامرة ...

وكتابة سلسلة من الروايات ، عن بطل فى عصر انتهى بالهزيمة ، هو مغامرة لانتزاع لمحات من النصر ، من بين فكى الهزيمة ...

ولهذا متعة ...

كبيــرة ...

Looloo
www.dvd4arab.com

ومع المتعة ، تبدأ المسئولية ...

كان من الضرورى أن أقرأ الكثير ، عن (الأندلس) ، وتطور الحياة فيها ، من عهد (طارق بن زياد) ، وحتى مرحلة التراجع إلى مملكة (غرناطة) ، وعهد (بنى الأحمر) ...

عن (القشتاليين) ...

و(فرناندو) ... و(إيزابيلا) ...

عن صراعات ذلك العصر ، وخلافاته ، وتطاحناته ...

وأنا أعترف الآن بفضل أستاذى الراحل العظيم ، الذى دفعنى إلى هذه الثقافة الجديدة ...

لقد عرفت الكثير والكثير عن (الأندلس) وتاريخها ...

وبدأت أكتب ...

وخرجت سلسلة (فارس الأندلس) إلى النور ، كسلسلة فريدة من نوعها ، كما تنبأ لها الأستاذ ...

ومع وجودى فى (القاهرة) ، التى يصر كل من يحكم (مصر) ، على أن يجعلها المركز الوحيد لكل الأمور ، وكأن المدن الأخرى

مجرد تابع لها ، بدأت أدخل فى مجالات جديدة ، فى الصحافة والفن ، وإن لم يرق هـذا للأستاذ ، الـذى كان يرى أن مهنتى الأساسية هى الأدب ، وليس الصحافة أو الفن ...

وهنا كنا نختلف ...

ففى داخلى ، كانت هناك طاقة كبيرة ، تسعى للانطلاق فى مختلف المجالات ...

صحيح أننى أعشق الأدب والرواية ...

ولكن هناك أمور أخرى ، مازلت أومن بأنها كامنة فى أعماقى ، وتسعى للانطلاق بكل قوتها ..

ولم يكن من الممكن أن أمنعها من الانطلاق ...

مهما كان الثمن ...

وفى القناة الثقافية ، فى التليفزيون المصرى ، قدمت برنامجًا ، يحمل اسم (عالم الأسرار) ، كان يقدم أسبوعيًّا ...

وكانت بداية جديدة ...

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

الدخول إلى عالم الإعلام ، كان يختلف تمام الاختلاف ، عن دخول عالم الأدب ، ومن المستحيل حتى المقارنة بينهما ؛ ففى عالم الأدب ، يكون الأديب وحدة منفردة ، فهو صاحب الفكرة ، والأسلوب ، والعنوان ، وأدق التفاصيل ، ولا يتدخل الآخرون إلا فى إعداد مؤلَّفه للطباعة ، وتصميم الغلاف ، وتلك الأمور الفنية الأساسية ، التى يحتاج إليها خروج المؤلَّف إلى النور ...

أما فى العمل الإعلامى أو الفنى ، فالأمر يختلف ...

تمامًا ...

هذا لأن العمل الإعلامى عمل جماعى ، فيه معد للبرنامج ، ومخرج ، ومنسق ، ومدير إنتاج ، وقناة ، ورئيس قناة ، و ...

باختصار ، فى العمل الجماعى ، لا يشعر الأديب بنفس الحرية ، التى يشعر فيها مع مؤلفه الأدبى ...

كان هذا رأى الأستاذ (حمدى) رحمه الله ، ولم أتفق معه فى حينه ، ولم يحاول هو منعى منه ...

فقط أبدى رأيه فحسب ...

والعجيب أننى ، وعلى الرغم من تمسكى الشديد بحريتى ، قد وجدت فى العمل الإعلامى متعة مختلفة ...

ويبدو أننى قد اعتدت أن أجد فى كل جديد متعة ...

ففى المرحلة الثانوية ، كنت أمينًا للفصل ، وأمينًا مساعدًا لجماعة التصوير الضوئى ، وعضوًا فى جماعة العلوم ، وجماعة الصحافة ، وفريق التمثيل ...

وكنت أجد فى كل مجال متعة ...

ومتعة مختلفة ...

المهم أن أكثر ما حرصت عليه ، خلال تلك الفترة الإعلامية القصيرة ، التى استغرقت أقل من عام واحد ، هو ألا يقل إنتاجى الأدبى قطرة واحدة ، بل كنت شديد الحرص على إصدار السلاسل كلها ، فى مواعيدها ، وعلى أن أسبق جدول الصدور بعدد أو عددين على الأقل ...

فى الوقت نفسه ، كان إنتاجى مستمرًا وغزيرًا فى مجلة (باسم) ، وخاصة بعد أن تولى صديقى العزيز (مؤنس زهيرى) رياسة تحريرها ، قبل أن يتم إغلاق مكتب (القاهرة) ، عقب نشر تحقيق كبير ، فى جريدة (الشرق الأوسط) ، عن الشائعات المنتشرة فى الشارع المصرى ، حول (جمال) و (علاء مبارك) ....

Loloo www.dvd4arab.com

وكان الأستاذ ــ رحمه الله ــ لا يتوقف أبدًا عن التفكير فى جديد ، ينضم إلى (روايات مصرية للجيب) ...

وذات صيف ، جمعتنا (المعمورة) معًا ... الأستاذ وأنا ... وفى سهرة عائلية ، بدأ ابنى (شريف) مرحلة النعاس ، فجلس على ساقى كعادته ، ورحت أروى له حدوتة قبل النوم المعتادة ...

كنت أيامها قد ابتكرت شخصية (كتاكيتو) ، فى حواديت قبل النوم ، لكى أروى له كل ليـلة حدوتة منها ، أضيف إليها شيئًا مما أريده أن يتعلمه ...

وتابعنى الأستاذ فى اهتمام ، وأنا أروى حدوتة (كتاكيتو) لابنى ....

وبعـد أن نـام (شريف) ، فوجئت بالأستاذ يسألنى عن تلك الشخصية ، فأخبرته أننى قد ابتكرها لحواديت قبل النوم فحسب ...

وكعادته ، أصر الأستاذ على أن يفاجئنى ، وهو يطلب منى أن أحول الشخصية ، إلى سلسلة قصص قصيرة للأطفال ...

لم أكن قد كتبت شيئًا للأطفـال من قبل ؛ إذ أن الكتابة للطفل هى أصعب أنواع الكتابة على الإطلاق ؛ فهى تحتاج إلى استخدام قاموس خاص ، ومصطلحات مبسطة ، لا يحـار الطفل فى فهم

معناها ، وإلى مضمون تربوى واضح ، يمكن للطفل استيعابه ، من خلال متعة خاصة وأحداث طريفة ...

وقد يدهشكم أننى قد شعرت بمسئولية كبيرة ، عندما طلب منى الأستاذ أن أكتب سلسلة (كتاكيتو) ...

فكل كتاباتى ، حتى ذلك الحين ، كانت موجهة للشباب والكبار ، وتستهدف جيلاً بدأ يرى حياته بشىء من الوضوح ...

جيلاً أكثر وعيًا ...

وفهمًا ....

وإدراكًا ....

والأمر هنا يختلف تمام الاختلاف ...

والتجربة أيضًا تختلف ...

وبشـدة ...

وعلى الرغم من أننى أروى قصص (كتاكيتو) لابنى فى بساطة ، فتحويلها إلى سلسلة ، يمكن أن يقرأها كل طفل ، أو تقرأها له أمه ، أمر مختلف تمامًا ...

Looloo www.dvd4arab.com

وقررت فى النهاية خوض التجربة ...

وكتبت نفس الحكايات ، التى كنت أرويها لابنى (شريف) ...

وصدرت (كتاكيتو) بالفعل ...

صدرت مزينة برسوم أنيقة جميلة ، للصديق الفنان (عبد الشافى سيد) ...

ووضعت يدى على قلبى ، وكأنه أول عمل يصدر فى حياتى ...

أما الأستاذ ، فكان هادئًا واثقًا كعادته ...

وكانت نظرته هى الأصوب ...

كالمعتاد ...

نجحت (كتاكيتو) كسلسلة للأطفال ، وحققت مبيعات لم أكن أتصورها ، حتى أنه صدرت منها ثلاث طبعات ، فى أقل من عام واحد ...

وصارت حواديت قبل النوم قصصًا مطبوعة ، تتصدر قائمة كتب الأطفال فى المؤسسة ...

وهنا ، طلب منى الأستاذ سلسلة أطفال جديدة ...

وفى هذه المرة ، قررت أن أمنح الأطفال جزءًا من عشقى الأساسى ...

أدب الخيال العلمى ...

كنت أفكر فى سلسلة للأطفال الأكبر سنًا من (كتاكيتو) ...

سلسلة تجمع بين البساطة والخيال ...

ومن هذا المنطلق ، ظهرت سلسلة (مغامرات سندباد) ..

و(سندباد) شخصية معروفة ، فى الأدب العالمى ، تمت معالجتها بأكثر من طريقة ، فى أفلام مغامرات ، وأساطير ، ورومانسيات ...

وفى هذه المرة ، قدمته فى خيال علمى ...

والخيال العلمى هنا جاء فى طبيعة روايات السندباد لرحلاته ، وإضفاء روح الخيال العلمى عليها ...

فعندما يصف (سندباد) جزيرة طائرة مثلاً ، فتلك الجزيرة تكون فى الرواية طبقًا طائرًا ، وعندما يصف عرائس البحر ، فهى مخلوقات تعيش فى أعمق الأعماق ، من بقايا قارة (أتلانتيس) ... وهكذا ...

ويبدو أننى كنت مخطئًا ، فى اختيار هذه النوعية ...

Looloo www.dvd4arab.com

أو هذه الفئة العمرية ...

فسلسلة (مغامرات سندباد) ، لم تلق نجاح سلسلة (كتاكيتو) ...

أو حتى نصف نجاحها ...

وهذا أمر وارد وطبيعى ، مع كثرة الإصدارات ...

ولكن كان من الواضح أن هذا لم يؤثر فى الأستاذ كثيرًا ؛ فقد ظل كما هو ، يفكر دومًا فى جديد ...

وعلى استحياء ، اقترحت فكرة إصدار سلسلة مصورة عالمية ، لشخصيات مجلة (تان تان) ، التى كانت درة القصص المصورة المترجمة ، عندما كنت فى المرحلتين ، الثانوية والجامعية ...

ولقد أدهشنى موافقته السريعة على الفكرة ...

ومبادرته الأكثر سرعة أيضًا ...

لقد بدأ الاتصالات فـورًا ، مع شركة (دارجو) البلجيكية ، صاحبة الامتياز ...

وبينما نستعد للاتفاق مع الشركة ، واجهت أزمة جديدة ... وعنيفة .

* * *

نجحت أخيرًا فكرة إنتاج المؤسسة لسلسلة مصورة ، وبدأ الأستاذ حمدى (رحمه الله) التجربة ، من خلال (روايات مصرية للجيب) ، عبر سلسلة جديدة ، حملت اسم (أوسكار) ...

كان نشاطى أيامها فى مجلة (باسم) المصورة فى ذروته ، مما ربطنى بصداقة وثيقة ، مازالت مستمرة حتى يومنا هذا ، مع رئيس تحريرها ، ورئيس تحرير مجلة (أبطال اليوم) حاليًا (مؤنس زهيرى) ، والفنانين (فواز) و(ميشيل معلـوف) ، و(عبد الشافى سيد) و(إبراهيم سمرة) وغيرهم ، وبعقليته الفذة ، وفكره السابق لزمنه ، رأى الأستاذ ضرورة الإفادة من هذا العالم الجديد ، الذى يجمع بين الأدب والفن ...

وصدرت سلسلة (أوسكار) ...

كانت تضم كل هؤلاء فى بوتقة واحدة ، فى قصص مصورة ، ذات مضمون شبابى أنيق ...

وبعد الاتفاق مع شركة (دراجو) الفرنسية عبر البريد ، بدأت أستعد للسفر إلى (بلجيكا) ؛ لإتمام الاتفاق عمليًا و ...

وفجأة ، وبدون سابق إنذار ، أصيب والدى ـ رحمه الله ـ بوعكة صحية شديدة ، أدت إلى نزيف فى البـول ، عانى منه

Looloo
www.dvd4arab.com

الأمرّين ، واضطرنى إلى تأجيـل السفر ، والسعى لعرضه على المتخصصين ؛ بحثًا عن الأسباب ...

وكانت مفاجأة مؤلمة ...

كشفت الفحوص أنه ــ رحمه الله ــ قد أصيب بورم خبيث فى المثانة ، هو المتسبب فى هذا النزيف ...

وبدأت رحلة علاج طويلة ، لا داع لذكر تفاصيلها المؤلمة ، ولا ذلك الإهمال الطبى ، الذى واجهته لأوَّل مرة ، وكأن العمر الذى قضيته فى ممارسة المهنة ، كان يحجب عنى الصورة من الجانب الآخر ...

إهمال وتعال ، وغطرسة ، وانتظار بالساعات ...

ولهذا لم يؤت العلاج ثماره المنتظرة ...

وكان والدى قديمًا قد واجه أزمة شريانية ، أدت إلى تأثير مؤقت على المخ ، أمكننا السيطرة عليه فى الوقت المناسب ، ولكنه كان يستلزم تناول دواء مضاد للتجلط ، على نحو منتظم ...

وفى الوقت ذاته ، كان يحتــاج إلى وقــف ذلــك النزيف فى البول ....

أى إلى ما يساعد على التجلط ...

وهنا كانت المشكلة ...

كان علينا أن نتبع أسلوبًا شديد الدقة ؛ للمحافظة على توازن الدم ، فلا يصل إلى السيولة المساعدة على النزف ، ولا إلى التجلط المؤدى للمخ ...

ومع التعالى ، ورفض المناقشة ، وديكتاتورية أطباء كبار ، يرفضون احيانا مجرد الاستماع إليك ؛ باعتبار أن هذا يسىء إلى خبراتهم ، اختل ذلك التوازن ...

وأصيب والدى ــ رحمه الله ــ بالشلل ...

وحتى فى علاجه ، كان يرقد فى أحد المستشفيات ، التى فاقت شهرتها الآفاق ، ولكن تم إهمال حالة الشلل فى مراحلها الأولى ، على نحو مستفز ...

وهكذا شفى والدى من نزيف البول ...

وأصيب بشلل دائم ...

وطوال فترة المرض والعلاج ، كان الأستاذ يتابعنى بمنتهى الاهتمام ، وأصر على سداد فاتورة المستشفى بالكامل ، حتى عودة والدى إلى المنزل ...

www.dvd4arab.com

أيامها ، كنت أقضى الليل كله إلى جوار والدى ــ رحمه الله ــ فى المستشفى ، وعلى مقعد خشبى صغير ، كنت أكتب الروايات ، والمقالات الشهرية لمجلة الشباب ، والأعمدة الأسبوعية فى جريدة الميدان ...

وبعد استقرار الحالة ، على الرغم من حالة الشلل الدائم ، عدت إلى العمل ، وقررنا ــ الأستاذ وأنا ــ العودة إلى مشروع العمل المصور الملون ، الذى أطلقنا عليه مبدئيًا اسم (سوبر أوسكار) ...

وسافرت إلى (بلجيكا) ...

وهناك شاهدت عالمًا جديدًا ، تحتل فيه القصة المصورة مكانة خاصة ، لا تنافسها فيه سوى الولايات المتحدة الأمريكية ...

ولكن من منظورين مختلفين تمامًا ...

ففى (أوروبا) ، نشأ فن القصة المصورة ، أشبه بفن السينما ، حيث يقدم أعمالاً ذات سيناريوهات قوية ، ورسوم أنيقة ، وفكر متحضر راق ، يناقش قضايا اجتماعية حقيقية ، من خلال مغامرات بوليسية ، أو كوميدية ، أو حتى رومانسية ...

وهنـــاك ، تحولت الشخصيات الشهيرة فى الأدب إلى قصص مصورة ...

(شيرلوك هولمز) ، و(أرسين لوبين) ، وغيرها ...

ثم ظهرت أشهر شخصيات القصص المصورة على الإطلاق ...

(تان تان) ...

صحفى شاب ، يبحث عن المغامرة ، كجزء من عمله الصحفى ، ويجوب بلدان العالم المختلفة ، عبـر ريشة فنان كل العصور (هيرجيه) ، الذى صنع من (تان تان) ومغامراته أسطورة ، بخياله الخصب ، ورؤيته السياسية المدهشة ...

وعبر مغامراته ، ســافر (تان تان) ، مــن (روسيا) ، إلى (أمريكا) ، ومن بلاد النفــط ، إلى جزر الكاريبى ، والتقى بصديقه القبطان العجوز كابتن (هادوك) ، وتعامل مع المخبرين (ديبون) و(ديبون) ، واصطحب كلبه (ميلو) ، وتعامل مع العبقرى الشارد (تورنسول) ، والمطربة المتصابية (بيانكا كاستيفيورى) ، وعشنا نحن مغامراته ، وتفاعلنا مع غواصته المتميِّزة ، بهيئتها الشبيهة بسمكة القرش ، فى أعماق البحار ، وهو يبحث عن كنز القرصان ، ثم صعدنا معه إلى القمر ، فى صاروخه الجميل ، ذى اللونين الأبيض والأحمر ...

Looloo www.dvd4arab.com

وفى (بلجيكا) ، وجدت أن (هيرجيه) قـد حقق أمرًا ، لم ينافسه فيه عالميًّا ، سوى العبقرى (والت ديزنى) ، مبتكر عالم (ميكى ماوس) ، الذى غزا الكرة الأرضية ، من شمالها إلى جنوبها ، ومن شرقها إلى غربها ...

ففى (بروكسيل) لا يخلو متجر واحد من تمثال لشخصية (تان تان) ، أو لغواصة القرش ، أو الصاروخ ذى اللونين ...

بكل الأحجام ...

وكل النوعيات ...

حتى طوابع البريد هناك ، حملت صور (تان تان) ورفاقه ...

وفى قلب (بروكسيل) ، توجد متاجر هائلة ، تبيع القصص المصورة فحسب ، ويمكن لعشاق هذا النوع من الفن ، أن يقضوا فى المتجر الواحد أيامًا ؛ حتى يمكنهم مطالعة كل ما فيه ...

ولقد شاهدت الظاهرة نفسها فى (أمريكا) أيضًا ....

ولكن الفكر الأمريكى ، قسـم القصة المصورة إلى قسمين كبيرين ، يتناسبان مع غطرسة القوة الأمريكية ...

خط (ديزنى) ، بكل شخصياته ، من (ميكى) و(دونالد داك) ، و(أنكل جولد) ، و(مينى) وغيرهم ، وهو خـط بدأ بالقصة

المصورة البسيطة ، ثم انتقل إلى أفلام الرسوم المتحركة ، التى كانت قنبلة فى حينها ، ثم لم يلبث أن تطور إلى (ديزنى لاند) فى (كاليفورنيا) ، والتى كانت أقوى مدينة ملاه مبتكرة ، فى العالم كله ، قبل افتتاح (ديزنى وورلد) فى (فلوريدا) ، والتى فاقتها بألف مرة ...

والخط الثانى كان خط الأبطال الخارقين ، مثل (سوبر مان) و(باتمان) و(سبيدرمان) وغيرهم ...

وفى الوقت الذى كثفت فيـه (ديزنى) جهودها ، فى السينما ومدن الملاهى ، تركز اهتمام الجانب الآخر على القصة المصورة ، وبدأت الشركات تتنافس فى ابتكار شخصيات خارقة أخـرى ، حتى صار سوق القصة المصورة فى (أمريكا) قائمًا على تلك الشخصيات ، بنسبة تفوق الثمانين فى المائة ....

المهم أننى عـدت من (بلجيكا) ، وأنا أحمـل عقـد إنتاج القصص المصورة ، التى كانت تضمها مجلة (تان تان) ، التى توقفت عن الظهور ، فى أوروبا نفسها ...

ولكن السلسلة الجديدة (سوبر أوسكار) ، لم تصدر بالشكل الذى كنت أنتظره ...

أبـدًا ...

Looloo
www.dvd4arab.com

ولهذا رواية أخرى ...

* * *

من العجيب فى علاقتى القوية بالأستاذ (حمدى) ـ رحمه الله ـ والتى كانت تثير دهشة الكثيرين ، وحسد البعض أيضًا ، هو أننا ، وعلى الرغم من صداقتنا العميقة ، لم نكن نتفق على طول الخط ...

كنا أحيانًا نختلف ...

ونتخالف ...

ونغضب ...

بل ونتصارع فى بعض الأحيان ، على أمور صغيرة ...

ولكن ، ولأنها صداقة عميقة ، من نوع خاص ، فقد كنا دومًا نتجاوز كل هذا ، مهما بلغت تعقيداته ...

وفى كل مرة نختلف فيها ، كان فريق يراهن على أننا لن نتصادق مرة أخرى ...

وكان دومًا يخسر رهانه ...

هذا لأن صداقتنا لم تكن مجرد صداقة ...

لقد كان الأستاذ دومًا يعتبرنى بمثابة ابن له ...

ابن قد يختلف مع والده ...

أو يتجاوز ... أو حتى يتصور أنه على حق ...

ولكنه دومًا وأبدًا ، يظل ابنه ...

ولهذا كنا دومًا إلى جوار بعضنا البعض ...

مهما كانت الخلافات ...

ومهما بلغت الاختلافات ...

وعندما أصدرنا سلسلة (سوبر أوسكار) الملونة ، كنا مختلفين تمامًا ...

كنت أريدها سلسلة فاخرة ، بنفس مقاييس الألبومات العالمية ...

وأرادها الأستاذ سلسلة أقل تكلفة ...

ربما لأننى كنت أنظر إلى الأمر ، من زاوية فنية بحتة ، أعماها عشقى القديم لمجلة (تان تان) البلجيكية ، والذى كان دافعى الأول للسعى ؛ لإصدار السلسلة ...

Looloo
www.dvd4arab.com

أما الأستاذ ، فكانت له وجه نظر ناشر ...

وناشر صاحب رسالة خاصة ...

رسالة تسعى لنشر الثقافة ، بين كل طبقات الشعب ...

وبين كل الشباب العربى ...

بلا استثناء ...

ومنظورى للأمور كان منظور كاتب ، يرغب فى رؤية ما أحب ، فى أجمل صورة ممكنة ...ولكن هذا الاختلاف لم يدم طويلاً ...

فبالورق والأقلام والحسابات العملية ، ثبت أن الأستاذ محق ...

لو أصدرنا ألبومات فاخرة ، فسنحرم طبقة كبيرة من الشباب منها ...

وخاصة الشباب المصرى ...

الظروف الاقتصادية كانت ستحول بينه وبين شراء ألبومات فاخرة ...

هكذا كان يرى الأستاذ الأمور دومًا ...

أن يحصل الكل على الثقافة ...

وبأرخص ثمن ...

وصدرت (سوبر أوسكار) ، على النحو الذى أراده الأستاذ ...

وعلى الرغم من كل الحسابات ، لم تحقق النجاح المنشود ...

والعبارة السابقة نسبية بحتة ...

فبالنسبة إلى أية دار نشر أخرى ، كان توزيع (سوبر أوسكار) سيعد نجاحًا منقطع النظير ...

أما بالنسبة لسلاسل (روايات مصرية للجيب) ، فقد كنا نعده نجاحًا محدودًا ... وكان هذا مقياسًا يؤخذ فى الاعتبار ...

فربما أحببت أنا القصة المصورة ...

وعشقتها ...

ورأيت فيها مزيجًا مدهشًا ، من الفن والأدب معًا ...

ولكن مجموع القراء ليس كذلك ...

لقد أثبتت التجربة العملية ، أن القارئ العربى يميل إلى الكتاب المطبوع ، الذى يثرى خياله وثقافته ، وليس إلى الكتاب المصور ، الذى يمنحه صورة واحدة ، تحد من خياله ...

looloo www.dvd4arab.com

وهذا ما كان يراه الأستاذ دومًا ...

وما يثبت ــ للمرة الألف ــ أنه على حق فيه ...

فى تلك الفترة ، كنت أتلقى كتابات أدبية ، من عدد من الشبان الموهوبين ، فى مختلف المجالات ...

بعضها فى مجالات لا تدخل فى برنامج النشر فى المؤسسة ...

والبعض الآخر يناسب (روايات مصرية للجيب) بشدة ...

وجلسنا ، الأستاذ وأنا ، نبحث عن وسيلة لمنح كل تلك المواهب الفرصة للظهور ، أيًا كان مجالها ...

وتفتق ذهن الأستاذ ــ رحمه الله ــ عن سلسلة جديدة ...

سلسلة (أدبيات) ...

ففيها ، كنا نستطيع نشر أعمال أدبية رائعة ...

أعمال موهوبة ...

وجديدة ...

ومتألقة ...

صحيح أن السلسلة لم تلق الرواج نفسه ، الذى أنعم الله (سبحانه وتعالى) به ، على السلاسل الأخرى ...

ولكنها كانت إضافة جديدة ...

وعظيمة ...

إضافة جعلت منظومة (روايات مصرية للجيب) ، تقترب من الاكتمال ...

ولكن بقيت الروايات الأخرى ..

روايات لكتاب موهوبين ، شباب ، متفتحين ...

ومن بين تلك الروايات ، فوجئت بروايتين صغيرتين ، لكاتب بهرتنى موهبته ، ورشاقة عبارته ، وجودة فكرته ..

وعلى الفور ، هرعت بهما إلى الأستاذ (حمدى) ، وطلبت منه قراءتهما بنفسه ، قبل أن يصدر قرارًا بشأنهما ...

ومع الروايتين ، كتبت ملحوظة صغيرة ، تؤكد موهبة الكاتب ، وأن (روايات مصرية للجيب) ستخسره ، لو لم تتعاقد معه ، وفازت به دار نشر أخرى ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وقرأ الأستاذ الروايتين ...

واتفق رأيانا ...

وبسرعة ـ كعادته ـ قـــرر الأستاذ الاتصال بذلك الكاتب الموهوب ، والتعاقد معه على سلسلة جديدة ...

وجاء ذلك الكاتب (د. أحمد خالد توفيق) ....

وانضم إلى (روايات مصرية للجيب) ...

وأضاف إليها واحدة من أنجح سلاسلها ...

ثم ثانية ...

وثالثة ...

وتفجرت مواهبه على نحو مدهش ...

وكانت هذه مرحلة جديدة ، فى روايات مصرية للجيب ...

ومع نجاح (د. أحمد خالد) وسلاسله ، تفتحت شهية الأستاذ ، لإصدار سلاسل جديدة ، تضم كل الموهوبين ، فى مجال أدب الشباب ...

ولما كان من غير العملى ، إصدار سلسلة خاصة ، لكل موهوب شاب ، فى هذا المضمار ، فقد اقترح الأستاذ فكرة (سلة الروايات) ..

وهكذا صارت لدينا منظومة رائعة ، استحقت لقب (مشروع القرن الثقافى) ...

منظومة مفتوحة الذراعين ، لكل موهبة شابة ...

منظومة صنعها الأستاذ ...

والمعلم ...

والأب الروحى ...

منظومة تركت لى آلاف الذكريات ...

معه .

د. نبيل فاروق

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

كوكتيل ٢٠٠٠
ثقافة الغد .. لشباب اليوم
روايات مصرية للجيب
د. نبيل فاروق
48
النجم
وقصص أخرى

1 ـ بلا أمـــل ...

* انساب جسدى ، فى سرعة وهدوء ، عبر الفضاء السرمدى اللا نهائى ، وسط ملايين النجوم ، التى تناثرت هنا وهناك ، والتى انعكس ضوءها على خوذة الزى الفضائى المتطوِّر الذى أرتديه ، وقد أحاط بى صمت وسكون مهيبان رهيبان ، بعد أن توقَّفت كل أجهزة الاتصال عن العمل ، وحاصرنى الفراغ ، الذى لا تنتقل فيه الأصوات أبدًا ، مما زاد من شعورى باليأس والإحباط ، وضاعف من قناعتى بأنه لا أمل فى النجاة من هذا الموقف ..

أدنى أمل ..

وبنظرة يائسة ، رحت أتطلَّع إلى النجوم البعيدة ، وأرسم فى ذهنى صورة لما يحيط بها من كواكب وأقمار ، ومؤشِّر الأكسجين الرقمى ، المنعكس على الواجهة الداخلية للخوذة ، يشير إلى انخفاض الهواء التدريجى ، مع إشارة إلى أنه لم يتبق لدى ما يكفى ، إلا لسبع دقائق فحسب ، ثم ...

وبسرعة ، استرجعت كل ما تعلمته ودرسته ، من وسائل خفض

Looloo
www.dvd4arab.com

معــدلات استهلاك الأكســجين ، التى يمــكن أن تمنحنى دقيقــة أو دقيقتين أكثر ..

الأكسجين .. ذلك العنصر الغــازى ، عديم اللــون والطعم والرائحة ، الذى لا يشتعل ، ولكنه يساعد على الاشتعال ، كما درسنا فى المرحلة الابتدائية ، والذى يمثل خمس الهواء الجوى ، ونعتمد عليه كأساس لتنفسنا ، دون أن نشعر بهذا ، أصبح الآن شيئًا قليلاً نادرًا ، أتشبَّث بأنفاسى وأحتبسها فى صدرى ، حتى أدخر منه ما يكفى لدقيقة أو دقيقتين إضافيتين من الحياة ..

ولأن أجهزة الدفع فى الزى الفضائى قد تم إفسادها عمدًا ، فلم تعد أمامى أية وسيلة للمقاومة ، أو حتى لمنع جسدى من الانطلاق فى الفضاء الشاسع دون هدف ، لذا فقد أغلقت عينىَّ ، وحاولت أن أتشاغل عن المصير الرهيب ، الذى ينتظرنى هنا ، على بُعد آلاف الكيلومترات من كوكبى الأرضى ، باستعادة تلك الأحداث ، التى انتهت بى إلى هذا الموقف اليائس ، البائس ، المرير ..

والعجيب أن كل هذه الأحداث بدأت منذ يوم واحد ..

يوم أرضى واحد ..

ويا له من يوم !..

يوم بدأ بداية مثيرة ..

مثيرة للغاية !..

* * *

« اليوم تبدأ إجازتى .. »

نطقت العبــارة بابتسامة كبيــرة ، وبمزيج مــن الارتياح والاسترخاء ، وأنا أحلق ذقنى ، أمام المرآة الإليكترونية الجديدة ، التى تحوى فى ركن منها شاشة صغيرة ، أتابع عليها أخبار الدنيا أوَّلاً فأولاً ، خاصة وأن العالم كله يستعد لاستقبال القرن الثانى والعشرين ، مع نهايات الأسبوع ، حيث ستتم إضاءة سلسلة من الأقمار الصناعية الخاصة ، التى اشتركت معظم الدول فى صنعها وتمويلها وإطلاقها ؛ لتصنع حلقة من الضوء حول كوكب الأرض ، يمكن رؤيتها من ملايين الكيلومترات فى الفضاء اللا نهائى ..

حلقــة صناعية ، تشــبه تلك الحلقات الطبيعية ، التى تحيط بكوكبى (زُحل) و(أورانوس) ، ولكنها ستوفِّر إضاءة طبيعية متصلة خلال الليل ، وستعمل على شحن أجهزة الطاقة الشمسية ، التى يتم الاعتماد عليها الآن ، كمصدر أساسى لتشغيل الآلات

والمعدات ، كما أنها ستثير حتمًا انتباه واهتمام أية حضارة أخرى عاقلة فى الكون ، وستدفعها إلى محاولة الاتصال بنا يومًا ما ..

اتسعت ابتسامتى ، وأنــا أُنهى حلاقة ذقنى ، وأتخيَّل شكل كوكب الأرض ، وقــد أحاطت به حلقة من الأقمار المضيئة ، و ...

وفجأة ، وقبل أن تسترسل أفكارى ، انطفأت شاشة الأخبار الإليكترونية بغتة ..

بل توقَّف كل شىء إليكترونى من حولى دفعة واحدة ..

الأضواء انقطعت ، وكذلك مكيف الهواء توقَّف ، وساعة الحائط ، وحتى آلة الحلاقة الكهرومغناطيسية الصغيرة ..

ولوهلة ، لم أستطع استيعاب ما حدث !!..

فمنذ ما يقرب من نصف القرن ، ومع الانتقال إلى الشبكة الإليكترونية النووية للكهرباء ، أكد الخبراء أن عصر انقطاع التيار قد ولَّى وانتهى ، وأنه فى وجود الشبكة الذكية ، سيتم إصلاح أية أعطال ، فور كشفها ، وقبل ظهورها فعليًا ..

وهذا ما حدث بالفعل ، طوال نصف قرن كامل ، لم ينقطع

خلاله التيار الكهربى ، ولو لجزء من الثانية ..

ثم إن هذا ليس انقطاعًا للتيار الكهربى ؛ فحتى الآلات ، غير المتصلة بالكهرباء ، والتى تعتمد على بطاريات الليثيوم النووية ، توقَّفت أيضًا عن العمل !..

هناك إذن أمر غير طبيعى ، وغير مألوف ..

وغير مريح أيضًا ..

ثم فجأة ، وثب ذهنى خارج حالة الدهشة والتوتر والاضطراب ، وعاد يعمل بكل نشاطه الفائق دفعة واحدة ..

ما حدث ليس أمرًا عاديًا ..

إنه أمر خطير ..

خطير للغاية ..

وبأسلوب غريزى تلقائى ، وعلى الرغم من أنه أوَّل أيام إجازتى ، اندفعت نحو حجرتى ، ورحت أرتدى زيِّى الرسمى ، باعتبار أن موقف كهذا يحتم تواجدى فى موقع أداء الواجب ..

ودون إبطاء ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وبينما أرتدى الزى ، وأتأكَّد من أن مسدسى مشحون بالطاقة ، كان عقلى يبحث عن وسيلة لبلوغ مقر قيادة الأمن الفضائى ، بعد أن توقُّفت كل الأجهزة عن العمل ، وبعد أن ...

ولم يكن التساؤل قد اكتمل فى ذهنى ، عندما سمعت صوتًا أشبه بالفرقعة المكتومة ، أعقبه عودة كل الأجهزة ، دفعة واحدة ، إلى العمل ..

وعلى الفور ، وفى سرعة تتناسب مع إيقاع العصر ، راحت الشاشات الإخبارية الإليكترونية ، الموزَّعة فى منزلى تذيع خبر ذلك الانقطاع الإليكترونى المفاجئ والعالمى ، الذى أصاب جميع أنحاء العالم فى آن واحد ، مما يؤكِّد حقيقة ذلك الشعور ، الذى راودنى كمحترف ، بأهمية وخطورة ما حدث ، و ...

« النقيب (هيثم ذهنى) .. أجب فورًا .. »

انبعث النداء بغتة ، عبر ساعتى الذرية الصغيرة ، فرفعتها إلى شفتى فى سرعة ، قائلاً :

ـ النقيب (هيثم) رهن إشارتك يا سيِّدى .

بدا لى صـوت قائد الأمـن الفضائى مفعمًا بتوتر لا محدود ،

وهو يقول :

ـ احضـر إلـى مكتبـى علـى الفـور .. اتخـذ المسـار (ب ـ 10) .. الأمر عاجل وخطير للغاية .

امتلأت كل ذرة فى كيانى بالانفعال ، وأنا أهتف ، عبر جهاز الاتصال الفائق :

ـ أنا فى الطريق يا سيِّدى ..

أصـبحت موقنًا مـن خطـورة الأمـر ، مع تحديد المسار (ب ـ 10) لانطلاقى ؛ إذ إنه ومنذ اعتماد تقنية الانتقال الآنى الفائقة ، لا يتم استخدام تلك المسارات الذرية ، إلا للضرورات القصوى فحسب ..

ودون إضاعة لحظة واحدة ، اندفعت نحو جزء من جدار منزلى ، ولمست طرفه بأصابعى ، فتألَّق مستطيل كبير فى منتصفه ، وتألَّقت فوقه علامة تشير إلى التحقُّق من هويتى ، قبل أن يتموَّج ذلك المستطيل ، كما لو أنه صورة على سطح الماء ، ثم يتلاشى تمامًا ، ليكشف خلفه فجوة محدودة ، استقرَّ داخلها جهاز الانتقال الآنى الفائق ، الذى يحمل أعلاه شعار إدارة الأمن الفضائى ..

www.dvd4arab.com

دلفت إلى جهاز الانتقال الآنى الفائق ، وأنا أراجع كل معلوماتى عن الانتقال ، عبر المسار (ب ــ 10) ..

إنه حلم العلماء منذ عشرات السنين ..

انتقال الجسد عبر الفراغ ، وعبر الزمان والمكان معًا ، عن طريق تفكيك جزيئاته ، عند محطة الانطلاق ، وإعادة تجميعها عند محطة الوصول ، أو محطة الهبوط ، كما يطلق عليها العلماء ..

عملية دقيقة معقَّدة ، تحتاج إلى منتهى الإتقان والبراعة ، وإلى حسابات شبه مستحيلة ؛ حتى لا تمتزج جزئيات المرء بثيابه ، أو تتبعثر فى الفراغ إلى الأبد ، ولهذا وضع لها العلماء عدة قواعد صارمة للغاية ، وأخضعها المسئولون إلى رقابة شديدة ، مع قصر استخدامها على الحالات القصوى فحسب ..

راجعت كل هذا فى ذهنى ، قبل أن أضغط ذلك الزر ، فى قلب الجهاز ، الذى أصدر صوتًا أشبه بفحيح مكتوم ، قبل أن يتوهَّج قلبه بوهج تصاعد تدريجيًّا ، وأنا أضبط إحداثيات محطة الهبوط ، وفقًا للجدول الذى أحفظه عن ظهر قلب ، باعتبارى واحدًا من أفراد فريق الأمن الفضائى الخاص ، ثم شددت قامتى ، فى وقفة عسكرية صارمة ، مع تحول الصوت الأشبه بالفحيح إلى أزيز متصل ، تضاعف معه توهُّج الجهاز ..

ودوت فرقعة مختنقة ..

وبدأ الانطلاق ..

كنت أحفظ أيضًا ذلك الشعور بالانطلاق ، فأنت تشعر وكأن جسدك كله يتمدَّد ويستطيل ، ويندفع عبر أسطوانة مضيئة ، بسرعة تتجاوز أية سرعة يمكن أن يستوعبها العقل ، و ...

ولكن ما يحدث هــذه المــرة كان يختلف ، عن كل خبراتى السابقة ، فى الانطلاق عبر المسار (ب ــ 10) ..

جسدى لم يكن يندفع بسرعة ونعومة ، فى اتجاه واحد فحسب ..

كانت هناك ارتجاجات عنيفة غير مفهومة ..

جسدى كله كان يرتجّ فى عنف ، كما لو أننى داخل سيارة قديمة ، تنطلق بما يفوق سرعتها القصوى ، فوق طريق وعر غير ممهَّد ..

هناك خلل ما ..

خطأ ما ..

وأعترف هنا بأن كل ذرة فى كيانى المفكك قد شعرت بالرعب ..

www.dvd4arab.com

بالرعب بلا حدود ..

فما مصيرى ، مع خلل كهذا ؟!..

هل ستفقد جزيئاتى تماسكها إلى الأبد ؟!..

أم ستتلاشى وتتبعثَّر فى الفراغ ؟!..

هذه الأسئلة ، وعشرات غيرها عربدت فى رأسى ، ومزَّقت كيانى أكثر وأكثر ..

ثم فجأة ، شعرت بجسدى ينجذب إلى أسفل ..

نفس الشعور الذى يراودنى ، عندما أبلغ محطة الهبوط فى المعتاد ..

تُرى هل انتهت عملية الانتقال الآنى فى سلام ، على الرغم من حدوث هذا الخلل غير المفهوم ؟ ..

لم يكن السؤال قد اكتمل حتى فى ذهنى ، عندما استعاد جسدى تماسكه دفعة واحدة ، على نحو يؤكِّد أننى قد بلغت بالفعل محطة الهبوط ..

ولثانية واحدة ، كما يحدث فى المعتاد ، حجبت عينىَّ غشاوة

داكنة ، لم تلبث أن انزاحت فى سرعة ، وانجلت ، لتبدو الصورة أمامى واضحة ..

وعندئذ ، اتسعت عيناى عن آخرهما ..

فما رأيته أمامى كان مذهلاً !!..

وبكل المقاييس .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

2 ـ مهمـة فضـائية ...

لثوان لم أستطع استيعاب موقفى بالضبط ، وأنا أدير عينىَّ فيما حولى ، فى مزيج من التوتر والرهبة والحيرة ..

ففى كل المرات السابقة ، التى خضت فيها تجربة الانتقال الآنى ، عبر المسار الفائق (ب ـ 10) ، كانت الرحلة تنتهى بى فى مكتب السيِّدة (فدوى) ، القائد الأعلى لإدارة الأمن الفضائى ..

أما فى هذه المرة ، فالأمر يختلف تمامًا ..

لقد هبط جسدى وسط قاعة كبيرة ، لها جدران زجاجية ، تطلّ مباشرة على الفضاء اللا نهائى ، وعلى كوكب الأرض ، بلونه الأزرق الجميل ، وتضاريسه التى يحفظها كل رائد فضاء عن ظهر قلب ..

وتضاعف توترى ، وأنا أفحص كل ما حولى ، فى توتر حذر ، وأتساءل عما إذا كانت عملية الانتقال الآنى ، عبر مسار فضائى ، هى المسئولة عن ذلك الارتجاج العنيف ، الذى تعرَّضت له ، أم أن ...

« مرحبًا بك على المحطة الأمنية (فجر ـ 3) أيها النقيب .. »

انتزعنى صوت السيِّدة (فدوى) الهادئ الحازم ، من أفكارى وتساؤلاتى ، عندما برزت فجأة داخل القاعة ، عبر فتحة غير ملحوظة فى الجدار ، فالتفت إليها بمنتهى السرعة ، وشددت قامتى فى وقفة عسكرية ، تحمل كل الحزم والاحترام ، وأنا أؤدِّى التحية الرسمية فى قوة ، ولكن السيِّدة (فدوى) أشارت إلىَّ ، قائلة فى توتر ملحوظ :

ـ استرح أيها النقيب .. الموقف لا يحتمل هذه الرسميات .

كلماتها وأسلوبها بعثا فى نفسى قلقًا عارمًا ؛ فهذا ما اعتادت أن تقوله ، كلما تعقَّدت الأمور ، أو واجهت إدارة الأمن الفضائى أزمة خطيرة ، ولكننى ، وعلى الرغم من اشتعال رأسى بعشرات الأسئلة ، لذت بالصمت التام ، مكتفيًا بالاستماع إليها ، وهى تتابع بهدوئها الحازم :

ـ لقد عدلنا المسار (ب ـ 10) ، حتى ينقلك إلى هنا مباشرة ، بدلاً من ذلك المهبط فى مكتبى ؛ لأننى كنت أشرف على الترتيبات الأخيرة ، لمشروع حلقة الضوء ، عندما حدث ما حدث ، ورأيت أنه لا ينبغى أن نضيع لحظة واحدة .

سألتها فى حذر :

ـ لماذا توقَّفت كل الأجهزة الإليكترونية عن العمل يا سيِّدتى ؟!

Looloo www.dvd4arab.com

زفرت فى توتر ملحوظ ، قبل أن تُجيب :

ــ بعضهم سيطر على وحدة التحكُم الرئيسية ، لمشروع حلقة الضوء .

كان الجواب مفاجئًا بالنسبة لى ، فهتفت بكل دهشة الدنيا :

ــ سيطر على ماذا ؟!.. ولكن هذا مستحيل !!.. كل العاملين فى وحدة التحكُم الرئيسية (نجم ــ ألفا) ، تم انتقاؤهم بمنتهى الدقة والعناية ، وولاؤهم مضمون مائة فى المائة .

لوّحت بيدها ، قائلة :

ــ من الواضح أن عملية استبدال قد تمَّت ، فى اللحظات الأخيرة ، بحيث تم زرع جاسوس ، فى قلب المحطة الفضائية بحثًا .

تساءلت فى حيرة ، وأنا أعتصر كل خلية فى مخى ؛ بحثًا عن تفسير منطقى للموقف كله :

ــ حتى لو تم زرع جاسوس فى قلب محطة التحكُم الرئيسية (نجم ــ ألفا) ، فكيف يمكنه وحده السيطرة على المحطة كلها ، بكافة أجهزتها وأسلحتها ، فى وجود تسعة أشخاص آخرين ؟!

أجابنى القائد الأعلى ، فى صرامة عصبية :

ــ ليست لدينا تفاصيل كافية بعد ، ولكن من الواضح أن بعضهم قد عدَّل برنامج الطاقة فى أسلحة (نجم ــ ألفا) ، ليطلق شعاعًا بالأرض ، على نحو أوقف عمل كل الأجهزة الإليكترونية على كوكبنا .

وزفرت مرة أخرى ، قبل أن تضيف ، فى عصبية أكثر :

ــ ولقد أبلغونا أن هذا مجرَّد إنذار .

هتفت بكل دهشتى واستنكارى :

ــ مجرَّد إنذار ؟!.. ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!..

أجابتنى فى مرارة :

ــ الطاقة التى استخدموها ، لإيقاف كل الأجهزة الإليكترونية فى الأرض عن العمل ، تساوى واحد فى المائة فحسب ، من الطاقة الكلية ، التى يمكن أن تطلقها (نجم ــ ألفا) ، وهم يهددون بإطلاق الطاقة كلها نحو الأرض ، عبر سلسلة أقمارنا الصناعية ، لو لم ننفذ مطالبهم ، خلال أربع وعشرين ساعة فحسب .

www.dvd4arab.com

ثم هزَّت رأسها ، لتضيف فى أسى :

ــ تصوَّر .. سلسلة الأقمار الصناعية ، التى اعتبرناها إشارة إلى الأمل والتفاؤل ، أصبحت خطرًا يُهدِّد العالم كله بالفناء .. سبحان الله .

أومأت برأسى فى صمت ، وذهنى يستعيد الآية الكريمة ، التى تحذرنا من أن نحب شيئًا ، وهو شر لنا ، ثم لم ألبث أن رفعت عينى إليها ، متسائلاً فى اهتمام بالغ :

ــ ولكن من هم ، وما مطالبهم ؟!

تطلَّعت إلىَّ السيِّدة (فدوى) بضع لحظات فى صمت ، قبل أن تتنحنح ، وتشدّ قامتها ، قائلة :

ــ حتى هذه اللحظة ، لا أحد يُجيب رسائلنا أو اتصالاتنا ، أو أية محاولة منا للتواصل ، مع (نجم ــ ألفا) .. فقط نتلقَى تهديدات وإنذارات وتحذيرات ، عبر شبكة الكمبيوتر الفضائية ، وهذا يعنى أننا ما زلنا نجهل من هم ! .

وصمتت لحظة ، ازدردت خلالها لعابها فى صعوبة ، عبر حلقها الجاف ، من فرط التوتر والانفعال ، قبل أن تتابع :

ــ أما عن مطالبهم ، فهم يطلبون الاستسلام التام ، والسيطرة الكاملة .

سألتها فى حذر : يفيض بكل قلق الكون :

ــ السيطرة على ماذا ؟!

التقطت نفسًا عميقًا ، ثم أجابت فى توتر عنيف :

ــ على كوكب الأرض .. كله .

اتسعت عيناى عن آخرهما فى دهشة مستنكرة مرتاعة ، قبل أن أهتف :

ــ مستحيل !..

استعادت مرارتها ، وهى تُجيب :

ــ إما هذا ، أو سحق ملايين الأبرياء ، دون شفقة أو رحمة .

انعقد حاجباى فى غضب شديد ، وأنا أقول فى صرامة :

ــ لا يمكن أن نستسلم لهذا الاحتلال البغيض .. الموت أشرف ألف مرة ، من تسليم الأرض لطغمة من المجرمين الأشرار .

أشارت بيدها ، قائلة :

ــ هذا حديث سابق لأوانه ..

Looloo
www.dvd4arab.com

قلت فى حزم :

ــ بل هو مبدأ ، غير قابل للمساومة .

تطلَّعت إلىَّ السيِّدة (فدوى) طويلاً ، ووجهها لا يحمل أية انفعالات يمكننى فهمها ، قبل أن تقول ، وقد استعادت حزم القائد ، الذى عرفته فيها دومًا :

ــ لو أنك قلت غير هذا ، لافترضت أنهم قد استبدلوك أيضًا .. إننى أتفق مع كل ما تتحدَّث عنه ، ولكننا كرجال أمن ، ندرك جيِّدًا أنه من الخطأ أن نتحرَّك ، دون معلومات كافية عن الخصم .. هويته .. قوته .. تسليحه .. قدراته .. كل معلومة تساعدنا على مواجهته ، والتصدِّى له .. وفى ظروف كهذه ، ومع مهلة محدودة إلى هــذا الحـد ، يصبح من العسير الحصول على المعلومات اللازمة .

قلت فى غضب :

ــ وهم يعلمون هذا بالتأكيد ، ويبذلون قصارى جهدهم ، لجعل الأمر مستحيلاً بالنسبة لنا .. لهذا لا يجرون أية اتصالات ، ولا تظهر وجوههم على شاشاتنا ، أو نسمع حتى أصواتهم ..

إنهم يعلمون أن الوسائل التكنولوجية لدينا ستمكِّننا من معرفة هويتهم ، لو رصدنا أى شىء يتعلَّق بهم .. ولهذا أيضًا جعلوا المهلة أقصر مما يكفى ، للقيام بأى عمل دفاعى .

صمتت السيِّدة (فدوى) بضع لحظات ، وهى تتطلَّع إلىَّ مباشرة ، قبل أن تشدّ قامتها فى حزم صارم ، قائلة :

ــ لم يتركوا لنا سوى وسيلة واحدة .

سألتها فى سرعة ولهفة :

ــ وما هى ؟!

صمتت بضع لحظات أخرى ، قبل أن تجيب :

ــ عملية انتحارية ؛ للحصول على المعلومات .

أدركت ما تعنيه على الفور ، وعلمت لماذا تم استدعائى بهذه السرعة ، فعدت إلى وقفتى العسكرية الحازمة ، وأنا أقول فى قوة :

ــ أنا رهن إشارتك يا سيِّدتى .. حياتى فداء لوطنى .. ولكوكبى الأم كله .

www.dvd4arab.com

ارتسمت ابتسامة باهتة على ركن شفتيها ، وهى تقول فى خفوت :

ــ لم تكن لدى ذرة من الشك ، فى أن هذا هو الموقف الذى ستتخذه ، عندما انتخبتك من بين أقرانك ؛ للقيام بهذه المهمة .

سألتها فى اهتمام :

ــ السؤال هو : كيف سيمكننى الوصول إلى (نجم ــ ألفا) ، دون أن ينتبه المسيطرون عليها إلى هذا ؟!

تنهَّدت السيِّدة (فدوى) ، القائد الأعلى لإدارة الأمن الفضائى ، وتطلَّعت بضع لحظات إلى كوكب الأرض ، عبر جدار القاعة الزجاجى ، قبل أن تعود بعينها إلىَّ ، قائلة فى حزم :

ــ لدينا وسيلة .

هتفت :

ــ حقًّا ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، ثم قالت فى خفوت ، فاحت منه رائحة التوتر :

ــ ولكنها تنطوى على مجازفة خطيرة .. خطيرة إلى أقصى حد .

وخفق قلبى فى عنف .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

3 ـ نجـم الرعـب ..

كل شىء كان هادئًا صامتًا فى الفضاء ، عندما انطلق جسدى للمرة الثانية ، عبر جهاز الانتقال الآنى ، فى مسار سرى جديد ..

مسـار ينبغى أن ينقلنى ، مـن المحطـة الفضائية الأمنية (فجر ـ 3) إلى محطة التحكُم الرئيسـية ، فى حزام الأقمار الصناعية (نجم ـ ألفا) ...

وعلى الرغم من الارتجاج العنيف ، الذى تشعر به جزئيات جسدى المفككة ، فى رحلتها عبر المسار الفائق ، كان عقلى يستعيد كل المخاطر ، التى أشارت إليها السيِّدة (فدوى) ، القائد الأعلى لإدارة الأمن الفضائى ، قبل أن تبدأ مهمتى الخطيرة ..

فالمهبط الذى ستنتهى إليه رحلتى ، داخل (نجم ـ ألفا) ، يختفى فى قاعها ، ويحاط بسرية بالغة ، باعتباره مهبطًا أمنيًا احتياطيًا ، معدًا لمثل هذه الظروف ..

ولكننا ما زلنا نجهل هوية المسيطر على (نجم ـ ألفا) ، ومدى إمكانياته ، والنطاق الذى بلغته معلوماته عن المكان ..

ومن المحتمل جدًا أن يكون من الفئة الخاصة ، التى تعلم بأمر المهبط السرى ، مما يعنى أنه سيكون فى انتظارى ، عندما أصل إلى هناك ..

أو أنه ، وهذا هو الأكثر خطورة ، سيمنع إتمام عملية الهبوط ، ويترك جزئيات جسدى تضيع فى الفضاء .. إلى الأبد ..

الأدهى أن جهاز الانتقال الآنى ، على الرغم من تطويراته الأخيرة ، لا يصلح لنقل أية أسلحة ، عبر الفضاء والزمان والمكان ..

وهذا يعنى أننى سأصل إلى (نجم ـ ألفا) ، وأنا أعزل تمامًا من السلاح ، لأواجه شرًا لست أدرى أبعاده بالتحديد ..

وهنا يكمن الخطر .

كل الخطر ..

امتلأت ذاتى بتلك الأفكار والتساؤلات ، خلال الثوانى المعدودة ، التى استغرقها انتقال جزئيات جسدى ، عبر الزمان والمكان ، وعبر الفراغ والفضـاء ، من المحطة الأمنيـة (فجر ـ 3) ، وحتى ذلك المهبط السرى ، المختفى فى أعماق (نجم ـ ألفا) ..

ثم بدأت أشعر بذلك الانجذاب إلى أسفل ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وبدأ جسدى يهبط ، ويستعيد تماسكه وذاته ..

وتضاعفت مخاوفى ألف مــرة ، وتساؤلاتى تتزايد ألف ألف مرة ، وخُيِّل إلىَّ أن نبضات قلبى قد ارتفعت وتعالت ، إلى الحد الذى يكفى لجذب انتباه أى مخلوق حى ، على مسافة سنة ضوئية كاملة ..

ولثانية ، حجبت تلك الغشاوة الداكنة بصرى ، و ...

وفجأة ، اخترقت أذنىَّ شهقة قوية ..

شهقة توتّرت لها كل ذرة فى كيانى ؛ فقد كانت تعنى أننى لست وحدى ، داخل المهبط السرى ، فى أعماق (نجم ــ ألفا) ..

لست وحدى أبدًا ..

* * *

ست دقائق تبقَّت ، قل أن ينفد الأكسجين تمامًا ..

كل المحاولات التى بذلتها ، وكل الأنفاس التى حبستها فى صدرى ، لم تمنحنى سوى دقيقة وسبع ثوان فحسب ..

ولا يوجد من حولى أى شىء ، يمكن أن يوحى بالأمل ..

أى شىء ..

أو أى أمل ..

جسدى ما زال ينساب فى الفضاء الشاسع ، دون هدف أو أمل ..

ست دقائق ، وبعدها سينتهى أمرى ..

وسيواصل جسدى انسيابه عبر الكون ، حتى يقع فى المجال الجذبى لكوكب ما ..

أو نجم ما ..

أو حتى أحد الأقمار التابعة لأى كوكب ..

عندئذ سيسقط جسدى على ذلك الشىء ، الذى أجتذبه ..

وربما يحترق ، بتأثير الاحتكاك ، لو أنه أحد الكواكب ، ذات الغلاف الجوى ، مثل كوكب الأرض ..

أو ربما يسقط فوق سطحه فحسب ..

المهم أن أمرى سينتهى فى كل الأحوال ، على بُعد ملايين الكيلومترات من كوكبى ، لأصبح مجرد ذرة فى الكون . ربما

لا يذكر أمرها أحد ، بعد عام أو عامين على الأكثر ..

من يدرى ؟!..

تملَّكنى شعور باليأس ، عندما بلغت هذه المرحلة من التفكير ، وبدا لى أن حبس أنفاسى لن يجدى ، فى موقف كهذا ، فملأت صدرى بالأكسجين ، وأنــا أفرد ذراعىَّ عن آخرهما ، وكأننى أسبح على بحر من الزئبق ، تاركًا العنان لأفكارى وذكرياتى ؛ فى محاولة لاستعادة ما حدث هناك ..

داخل النجم ..

(النجم ــ ألفا) ..

* * *

من الأمانة هنا أن أعترف ، بأن تلك الشهقة ، التى اخترقت أذنىَّ ، قبل أن تستعيد عيناى قدرتهما على الإبصار ، قد أصابتنى بذعر حقيقى ، وبصدمة إحباطية ، جعلتنى أتصورُ أن مهمتى قد فشلت ، قبل حتى أن تبدأ ..

ثم انتبه عقلى بغتة إلى حقيقة عجيبة !..

تلك الشهقة ، كانت تحمل نبرة أنثوية ..

ومذعورة ..

وبسرعة ، كما يحدث فى كل مرة ، استعدت بصرى ، ووجدت نفسى أقف أمامها ..

أمام فتاة ضئيلة الحجم ، رقيقة الملامح ، ترتدى الزى المميَّز لطاقم محطة التحكُم الرئيسية (نجم ــ ألفا) ، وقد انكمشت على نفسها ، وراحت تُحدِّق فىَّ برعب هائل ، جعل ذعرى الأوَّلى يتحوَّل إلى حالة من الشفقة والتعاطف ، دفعتنى إلى أن أهمس بمنتهى الهدوء ، وأنا أُغادر المهبط السرى فى حذر :

ــ لا تفزعى .. أنا أحد ضباط الأمن الفضائى .

كل قواعد العقل والمنطق ، كانت تؤكِّد أنه من الحماقة أن أكشف عن هويتى ، بكل الوضوح والصراحة ، قبل أن أتأكَّد من هويتها أوَّلاً ، إلا أن شيئًا ما فى أعماقى ، أو ربما فى ذلك الرعب المحفور على ملامحها الرقيقة ، جعلنى أثق فى أنها ليست واحدة من أولئك المسيطرين على (نجم ــ ألفا) بالتأكيد ..

وأكبر دليل على هذا هو شهقتها الثانية ، التى أطلقتها بكل رعب الدنيا ، وجسدها ينتفض كعصفور مبتلّ ، مع اقترابى منها ، وهى تهتف :

ــ لا .. أنت واحد منهم .

Looloo
www.dvd4arab.com

سألتها فى اهتمام :

ــ ممن ؟!

أطلَّت من عينيها حيرة غامرة ، وهى تجيب فى ارتياع :

ــ منهم .. من أولئك الـــ ... الـــ ...

كان من الواضح أنها لا تجد جوابًا لسؤالى ، لذا فقد رسمت على وجهى كل الود والهدوء ، وأنا أبتعد عنها قليلاً ، فى محاولة لامتصاص ذعرها وانفعالها ، ولبث بعض الأمن والطمأنينة فى نفسها ، وقلت بصوت خافت :

ــ من الواضح أن كلينا يجهل من هم .

تطلَّعت إلىَّ فى شك ، خاصة وأننى أرتدى زيًّا مشابهًا لزيها ، وليس زى جهاز الأمن الفضائى التقليدى ، فابتسمت ، متابعًا :

ــ كان من الضرورى أن أرتدى زيًّا مشابهًا لزيكم ، حتى لا أبدو واضحًا ، كنقطة سوداء ، على سطح ناصع البياض ..

ظلَّت تتطلَّع إلىَّ بضع لحظات أخرى فى ريبة ، ثم لم تلبث أن أطلقت زفرة مفعمة بالتوتر ، من أعمق أعماق صدرها ، وهى تقول :

ــ حمدًا لله .

غمغمت فى سرعة :

ــ له (سبحانه) كل الحمد والشكر .

أومأت برأسها مؤيِّدة ، ثم جلست على مقعد قريب ، أو فلنقل أنها قد تركت جسدها المنهك ، من فرط الذعر والانفعال ، يسقط فوقه ، وهى تقول :

ــ لقد سيطروا على المكان كله .

جذبت مقعدًا صغيرًا ، وجلست أمامها ، متسائلاً :

ــ أخبرينى عن كل ما تعرفينه عنهم ؟!

هزَّت رأسها ، وكأنها تنفض ذكرى مخيفة عن رأسها ، هاتفة :

ــ إنه أسوأ موقف واجهته ، فى حياتى كلها .

وبدأ صوتها يرتجف ، وهى تتابع فى هلع :

ــ كان كل شىء يسير على ما يرام ، عندما فوجئنا بزميلنا (شوقى) يهاجم مسئول الأمن بغتة ، ويستولى على سلاحه ، ثم يطلق أشعته عليه بلا رحمة ..

Looloo
www.dvd4arab.com

انسالت الدموع من عينيها ، وهى تهتف :

ــ لقد كان أمرًا بشعًا .. بشعًا للغاية .

راجعت فى ذهنى كل المعلومات ، التى حفظتها عن ظهر قلب ، عن العاملين بالمحطة (نجم ــ ألفا) ، وأنا أقول :

ــ آه .. إنه مساعد الطيَّار .. أليس كذلك ؟!

هزَّت رأسها مرة أخرى ، قائلة :

ــ كلنا كنا نتصوَّر أنه هو ، حتى واجهنا بالحقيقة المخيفة .

قلت فى حزم :

ــ إنه شخص آخر ، ينتحل شخصية (شوقى) .. أليس كذلك ؟!

استعادت ذعرها ودهشتها ، وهى تُحدِّق فى وجهى ، هاتفة :

ــ كيف عرفت ؟!..

قلت فى حزم :

ــ هذا لا يحتاج إلى استنتاج عبقرى .. لقد افترضنا حدوث عملية الاستبدال هذه ، قبل حتى أن أبدأ المهمة .

ثم ملت نحوها أكثر ، مستطردًا فى اهتمام :

ــ والآن ، ماذا فعله بديل (شوقى) هذا ، بعد أن استولى على سلاح مسئول الأمن وقتله ؟!..

ارتجف صوتها مرة أخرى ، وهى تجيب :

ــ هددنا بالمصير ذاته ، لو حاولنا مقاومته ، ثم بدأ يفعلها .

سألتها فى اهتمام أكثر :

ــ يفعل ماذا ؟!

اتسعت عيناها عن آخرهما ، وكأنها تستعيد ذكرى مخيفة للغاية ، وهى تقول ، بصوت أكثر ارتجافًا ورعبًا :

ــ يفعل أمرًا رهيبًا .. رهيبًا للغاية .

قالتها ، وعيناها تحملان الهلع والرعب ..

كل الرعب .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

4 ـ الغزاة ..

الواقع أن الشعور الوحيد ، الذى امتلأت به نفسى هناك ، فى قاع (نجم ـ ألفا) ، فى تلك اللحظات ، هو الإشفاق على الفتاة المسكينة ، التى راحت ترتجف كعصفور صغير مبتل ، فى ليلة باردة ، لذا فقد وضعت أكبر قدر ممكن من الهدوء والمودَّة فى صوتى ، وأنا أسألها :

ـ وماذا فعل بديل (شوقى) بالضبط ؟!

ارتجف جسدها أكثر ، وهى تجيب بصوت ، حمل كل علامات الارتياع :

ـ استعاد هيئته الأصلية .

تساءلت مردِّدًا فى حيرة حذرة :

ـ هيئته الأصلية ؟!

هتفت بسرعة :

ـ نعم .. فهو ليس مثلنا .. ليس مثلنا أبدًا .

ثم انكمشت على نفسها ، على نحو محزن ، مضيفة بصوت خافت ، حمل كل ذعر الدنيا :

ـ إنه ليس آدميًا .

وكانت هذه مفاجأة حقيقية ..

وعنيفة جدًا ..

فعلى الرغم من كل ما توصَّلنا إليه ، فى السنوات الأخيرة ، من القرن الحادى والعشرين ، وكل ما بلغناه من تكنولوجيا وتقدُّم ، فى علوم الفلك والفضـاء والاتصالات ، لم يمكننا أبدًا أن نجرى اتصالاً مؤكدًا ، مع أية مخلوقـات عاقلة أخرى فى الكون ..

لذا ، فطوال عقود القرن ، كان وجود مخلوقات أخرى ، فى عوالم أخرى ، مجرَّد فكرة افتراضية علمية ، تستند إلى وجود آلاف الكواكب والمنظومات الشمسية النجمية ، التى تصلح ظروفها لنمو حياة عاقلة على سطوحها ..

ومنذ سنوات طوال ، وربما منذ منتصف القرن العشرين ، يسعى آلاف العلماء ، إلى إثبات وجود حياة عاقلة ، على أى كوكب آخر ، وإجراء أية اتصالات ممكنة معها .. وطوال تلك الفترة ، التى قاربت القرن ونصف القرن من الزمان ، دارت

مناقشات شتى ، بين عدة فرق من العلماء حول الاحتمالات التى يمكن أن يكون عليها سكان الكواكب الأخرى ، من ناحية ميلهم إلى العنف أو السلم ، وحكمة أو حماقة السعى للاتصال بهم ، وغيرها من الأمور ، التى تعتمد عليها طبيعة العلاقة ين عالمين مختلفين ، فى كل الظروف ..

ثم فجأة ، ودون مقدمات ، يظهر هؤلاء الغزاة ، ويحتلّون حزام أقمار صناعية ، يحيط بكوكبى كله ، ويمكنه التأثير عليه على نحو يذعرنى مجرّد تصوّره ..

وعلى الرغم من أننى قد استوعبت ما تعنيه الفتاة على الفور ، فقد تساءلت فى حذر ، وكأننى أحتاج إلى تأكيد آخر :

ـــ ماذا تعنين بأنه غير آدمى ؟!

بدا عليها الذعر أكثر ، وهى تلوّح بكفيها فى الهواء ، قبل أن تقول فى هلع :

ـــ تكوينه الخارجى آدمى تمامًا ، ولكن وجهه الحقيقى ليس كذلك أبدًا .. لقد انتزع القناع البشرى ، الذى يحمل وجه (شوقى) ، وفوجئنا تحته بوجه مخيف .. مخيف للغاية .

أمسكتها من كتفيها فى قوة ، محاولاً السيطرة على انفعالها

الجارف ، وأنا أقول فى حزم :

ـــ صفيه لى .

ازدردت لعباها ، قبل أن تجيبنى بصور مرتجف :

ـــ وجهه له نفس ملامحنا .. أنف وفم وعينين ، ولكن بشرته زرقاء اللون ، وقزحيتا عينيه حمراوان كالـــدم ، ومشقوقتان طوليًا كالثعابين .

ثم أخفت وجهها بين كفيها ، هاتفة :

ـــ إنه مخيف .. مخيف للغاية .

التقى حاجباى فى شدة ، محاولاً استيعاب ما قالته ، وإن انبعثت صرخة مستنكرة من أعماقى ، ترفض تصديق هذا الوصف ، الذى يبدو أشبه بما نراه على شاشات سينما الخيال العلمى القديمة ، منه إلى تكوين حقيقى ..

ولنصف دقيقة تقريبًا ، ظللت ممسكًا بكتفيها ، ومتطلّعًا إليها ، وكأنما أحاول التيقُّن من ثقتها فيما تقول ، قبل أن أسألها :

ـــ أهو وحده هناك ؟!

هزّت رأسها فى قوة ، قائلة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ كلا .. لقد استخدم جهاز الانتقال الآنى ، لإحضار الآخرين .

سألتها :

ـ أكلهم مثله ؟

أومأت برأسها إيجابًا فى رعب ، فالتقطت نفسًا عميقًا ، وأنا أسألها ، بكل الاهتمام :

ـ وكم يبلغ عددهم ؟!

استغرقت فى التفكير بضع لحظات ، قبل أن تجيب :

ـ حتى لحظة فرارى ، كان هناك سبعة منهم .. بخلافه هو بالطبع .

قادنى قولها إلى سؤال مهم آخر ، ألقيته عليها فورًا .

ـ وكيف نجحت فى الفرار ؟!

هزَّت رأسها ، قائلة :

ـ كنت الأقـرب إلى البـاب ، واستغللت انشغاله بإحضار الآخرين ، وتسلَّلت خارجًا ، دون أن يشعروا بى .

تراجعت أدرس الموقف كله فى ذهنى ، وأرتب المعطيات على

نحو منطقى دقيق ، كعادتى فى كل مهمة أقوم بها ، ثم لم ألبث أن سألتها فى حزم :

ـ هل تحملين أية أسلحة ؟!

هزَّت رأسها نفيًا ، قائلة :

ـ لقد استولوا على كل الأسلحة .

لذت بالصـمت بضع لحظات أخرى ، ثم حسمت أمرى ، وسألتها :

ـ هل يمكنك تحديد مواقعهم تقريبًا ؟!

أجابتنى فى سرعة :

ـ بالتأكيد .

وهنا ، بدأت أضع خطتى الجديدة ..

خطة مواجهتهم ..

مواجهة الغزاة ..

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

على الرغم من حالة الذعر الشديدة ، التى كانت عليها (نورهان) ، الفتاة التى وجدتها فى قاع (نجم ــ ألفا) ، إلا أن ذهنها ظلّ مرتبًا منظمًا ، وهى تراجع معى تصميمات محطة التحكُم فى حزام الأقمار الصناعية ، ومواقع الغزاة على سطحها ، بمنتهى الدقة ، وعلى نحو جعلنى على دراية تامة بتحركاتهم تقريبًا ، قبل أن أسألها :

ــ أتعتقدين أنهم قد وضعوا حراسة ما ، عند محولات الطاقة الرئيسية ؟!

خُيِّل إلىَّ أنها لم تفهم سؤالى فى البداية ، إلا أنها لم تلبث أن هتفت فى حماس :

ــ آه .. ربما .. ولكننى أتمنى أن يكون غرورهم قد منعهم من هذا .

سألتها :

ــ وكم تستغرق عملية إيقاف محولات الطاقة فى رأيك ؟!

أجابتنى فى سرعة وحماس :

ــ يمكننى فعل هذا ، خلال نصف الساعة فحسب .

هتفت وأنا أنهض :

ــ عظيم .. إنها مهمتك إذن .

عاد صوتها يرتجف ، وهى تقول :

ــ مهمتى أنا ؟!.. وحدى ؟!.. وماذا عنك ؟!

أجبتها بمنتهى الحزم :

ــ سأبذل قصارى جهدى ، لمنحك فرصة القيام بها .

لم نتبادل كلمة واحدة بعدها ، فقد نطقت عبارتى ، ثم خرجت معها من قاع المحطة ، إلى الممرات السفلية الخارجية ؛ فى محاولة منا لبلوغ حجرة محولات الطاقة الرئيسية ، التى لو نجحنا فى إيقاف عملها ، فلن يعود بوسع الغزاة تهديد الأرض ، بأى حال من الأحوال ، إذ أن هذه المحولات تتحكم فى أجهزة الانتقال الآنى ، ونظم إطلاق الأشعة الكهرومغناطيسية ، وغيرها ..

المشكلة الوحيدة ، هى أن المحولات نفسها تتحكَّم فى الأمور الأخرى أيضًا ، مثل التوازن الحرارى ، وعمليات تجديد الهواء ، وضبط الضغط الجوى ..

Looloo
www.dvd4arab.com

باختصـــار ، كـــان إيقاف المحولات يعنى هزيمة الغزاة ، ومصرع كل مخلـــوق داخـــل محطة التحكم الرئيسية فى حزام (نجم ـ ألفا) أيضًا ..

وهذا يشملنا ، (نورهان) وأنا ، إلا أننا ، ودون اتفاق مسبق ، أو إعلان صريح ، لم تكن لدينا ذرة واحدة من التردُّد ، فى التضحية بحياتنا كلها ، من أجل كوكبنا (الأرض) ..

لو أن هذه هى الوسيلة الوحيدة ..

وفى حذر كامل ، تحرَّكنا عبر ممرات الطابق السفلى ، حتى بلغنا مصعد طوارئ صغير ، فغمغمت (نورهان) فى توتر :

ـ أين هم ؟!.. كيف لم يقوموا بحراسة الطابق السفلى ؟!.. هل بلغت ثقتهم بأنفسهم هذا الحد؟!

التقطت نفسًا عميقًا ، قبل أن أقول فى حذر :

ـ الواقع أن هناك أمرًا لا يمكننى استيعابه ، فى الموقف كله ؛ فالأمور تسير دون أية معوقات ، على الرغم من ..

قبل أن أتمّ عبارتى ، لمحت فجأة تلك الحركة الخفيفة ، فى ركن السقف ..

حركة آلة المراقبة الرقمية الدقيقة ..

وامتلأت نفسى بمزيج متناقض من مشاعر شتى ، على رأسها الغضب والحيرة والتساؤل ..

الغضب من نفسى ، لأننى لم أنتبه إلى هـــذا ، منـــذ اللحظة الأولى ، أما الحيرة والتساؤل فقد ارتبطا بما طرحته على نفسى ، فى اللحظة التى أدركت فيها وجود آلة المراقبة ..

إذن فهم يتابعوننا ، ويدركون وجودنا ، منذ اللحظة التى خرجنا فيها إلى الممر ..

لماذا تركونا نمضى فى طريقنا إذن ؟!..

لماذا ؟!..

لماذا ؟!..

لم يكد تساؤلى يطرح نفسه على ذهنى ، حتى سمعت رنينًا خافتًا من خلفى فجأة ، على نحو جعلنى ألتفت إلى مصدره بأقصى سرعة ..

وانعقد حاجباى بمنتهى الشدة ، عندما ارتطم بصرى بفوهتى مسدسين ليزريين ، مصـــوَّبين إلى رأسى مباشرة ، وخلف كل منهما ، وجه يشبه تمامًا ما وصفته لى (نورهان) فى روايتها ..

www.dvd4arab.com

وجه أزرق ، له عينان حمراوان كالدم ، وقزحيتان مشقوقتان طوليًا كالثعابين ..

وكان هذا يعنى أن خطتى قد فشلت ، قبل حتى أن تبدأ ..

وأن النصر كان من نصيبهم هم ..

من نصيب الغزاة .

* * *

5 ـ المواجهة الرهيبة ..

أوّل ما نتعلَّمه ، عندما نلتحق بإدارة الأمن الفضائى ، هو سرعة الاستجابة وحسن التصرُّف ، فى مواجهة الأمور المفاجئة ، غير المتوقَّعة ..

وعندما وجدت نفسى فجأة ، فى مواجهة اثنين من غزاة الفضاء ، فى قاع محطة (نجم ـ ألفا) ، استعاد عقلى وجسدى كل التدريبات ، والتعليمات ، والخبرات السابقة ، و...

وتحرّكت فورًا ..

وثب جسدى ، بكل مرونة اكتسبتها فى حياتى ، لأركل المسدس من يد أقرب الاثنين إلىَّ ، ثم انحنيت بسرعة ، متفاديًا طلقة الليزر ، التى أطلقها الثانى نحوى ، وسمعت أزيزها يعبر فوق رأسى مباشرة ، قبل أن ترتطم بباب المصعد من خلفى ، فى نفس اللحظة التى اعتدلت فيها ، لألكم الثانى لكمة أودعتها كل قوتى ، فى أنفه مباشرة ، ثم أدور حول نفسى فى سرعة ، لأضرب الأوّل بقدمى فى معدته مباشرة ، وأدفعه إلى الخلف مترين على الأقل ، وصرخات (نورهان) تدوى ، فى الممر كله ..

Looloo

وبغضب عارم ، صرخ الثانى ، وأنفه ينزل فى غزارة :

ــ أيها الــ ..

وثبت نحوه ، قبل أن تكتمل صرخته ، وحطَّمت أسنانه بلكمة كالقنبلة ، جعلته يتراجع مرتطمًا بالجدار فى عنف ، ثم يرتدّ إلىَّ ، لأستقبله بلكمة أخرى ، أسقطته أرضًا كالحجر ، وهو يطلق ما يشبه خوار ثور جريح ، و ..

« حركة واحدة إضافية ، وأنسف رأسها بلا تردُّد » ..

انطلق ذلك الصوت الخشن الغليظ فجأة ، بلغة عربية ، ذات لكنة لم تُخطئها أذنى ، مما جعلنى ألتفت إلى مصدر الصوت فى سرعة ، قبل أن يسرى التوتر فى كل ذرة من كيانى ، وتنتشر قشعريرة مؤلمة ، فى جسدى كله ..

فما شاهدته كان رهيبًا ..

بحق ..

* * *

لم يعد هناك أمل ..

الأكسجين سينفد ، بعد ثانية أو ثانيتين على الأكثر ، من هذا الزى الفضائى ، الذى أسبح به بعيدًا عن كوكبى ، وكل ما عرفته ، ومن عرفته على سطحه .. ..

حتى محاولة اجترار الذكريات ، لم تعد تكفى لحبس الأنفاس ، وإتاحة القليل من الوقت والأمل ...

وكل ما يمكننى أن أفعله الآن ، هو أن أسترخى بجسدى أكثر وأكثر ، وهو يسبح فى فضاء سرمدى لانهائى ، لا يحوى بين نجومه وشموسه ومجراته ، أدنى أمل فى النجاة ، من موقف يستحيل أن يتواجد فيه شخص آخر ...

وعلى الرغم من دقة الموقف ، التقطت نفسًا عميقًا من الهواء ، وكأنما أرغب فى الاستمتاع بآخر لحظات فى الحياة ، قبل أن أكتمه فى صدرى ، وأحاول الاسترخاء أكثر ، تاركًا ذهنى يسبح مرة أخرى ، مع ذكرياتى هناك ..

فى وحدة (نجم ــ ألفا) الرئيسية ..

هناك ، حيث كانت المواجهة ..

وحيث كان الصراع ..

Looloo www.dvd4arab.com

واستعاد ذهنى تلك الملامح المخيفة للغزاة ، بوجوههم الزرقاء ، التى تشبه وجوه الموتى ، وعيونهم الحمراء كالدم ، وحدقاتهم المشقوقة طوليًّا كالثعابين ..

ثم استعدت تلك اللحظة الرهيبة ..

لحظة المواجهة الأولى ..

أوّل مواجهة مع الغزاة ..

وأوّل تحد كامل ..

وحقيقى ..

* * *

كل خلية فى جسدى تجمّدت تمامًا فى تلك اللحظة ، التى لم تفارق ذاكرتى أبدًا ..

كل نفس فى صدرى توقّف ..

بل كل نبضة فى قلبى ..

وفى ذلك الممر ، فى قاع وحدة (نجم ــ ألفا) الرئيسية ، سرت رعدة مؤلمة فى كل كيانى ..

وفى كل جزء من وجودى ..

بلا استثناء ..

فهناك ، على مسافة ثلاثة أمتار منى فحسب ، كان الأوّل يحيط عنق (نورهان) بساعده القوى ، وهو يلصق فوهة مسدسه الليزرى بصدغها ، وقد حملت ملامحها كل رعب الدنيا وذعرها ويأسها ..

وعلى الرغم من توترى الشديد ، تماسك كيانى تمامًا ، كما تعلّمت فى إدارة الأمن الفضائى ، وشددت قامتى ، وأنا أقول فى حزم :

ــ ولماذا هذا التعقيد ؟.. كان يمكنك أن تطلق النار علىّ مباشرة ، فأنا أعزل من السلاح تمامًا .

نطقت عبارتى بلغة غير عربية ، لم تعد شائعة الاستخدام فى زمنى هذا ، وعلى الرغم من عدم شيوعها ، فقد فهم الأوّل ما قلته تمامًا ، على نحو انعقد معه حاجباه ، وهو يقول بنفس الصرامة الغليظة :

ــ الزعيم يريدك حيًّا .

Looloo
www.dvd4arab.com

نقلت (نورهان) بصرها بينى وبينه فى ذعر ، مع اللغة التى استخدمها كلانا ، وهتفت فى ارتياع :

ــ هل .. هل تتحدَّث لغة غزاة الفضاء ؟!

ارتسمت على شفتىَّ ابتسامة ساخرة ، وأنا أقول لها بالعربية :

ــ إنهم غزاة ، ولكن لا صلة لهم بالفضاء على الأرجح .

همَّت بإلقاء سؤال آخـــر ، لولا أن زمجر الأوَّل فى وحشية ، هاتفًا :

ــ كفى .

نطقها بالعربية هذه المرة ، وهو يتراجع نحو المصعد ، قائلاً :

ــ ستتبعنى معها إلى حيث ينتظركما الزعيم .. إنه يصر على رؤيتكما فورًا .

اتجهت نحوه فى بطء ، وأنا أقول :

ــ ويريدنا على قيد الحياة .. أليس كذلك؟!

أجابنى بمنتهى الغلظة والشراسة :

ــ هذا ينطبق عليك وحدك ، أما هى ، فمجرَّد تأمين ، لضمان طاعتك للأوامر .

كانت المســافة ، التى تفصلنى عنه ، لا تزيد على المتر ، عندما توقَّفت فجأة ، لأسأله فى حزم :

ــ وهل تعتقد أن هذا ممكن؟!

بدت عليه الحيرة ، وهو يسألنى فى عصبية :

ــ وما هذا ؟!

أجبته بمنتهى الحزم ، وأنا أدرس الموقف كله بمنتهى الدقة :

ــ أعنى أنكم تهددون مصير الأرض كلها ، وتضعون حياة هذه الفتاة ، التى عرفتها منذ أقل من ساعة ، فى كفة واحدة ، وحياة كوكبى وكوكبها كله فى الكفة الثانية ، فأية كفة تختار ، لو أنك فى مكانى ؟!

صمت لحظة ، وكأنما أربكه السؤال ، ثم لم يلبث أن قال فى توتر :

ــ الكفة التى تحوى حياتى أنا .

هزت رأسى ، وأنا أقول ، فى هدوء أدهشه حتمًا :

ــ هذا هو الفارق الجوهرى ، بينى وبينكم

Looloo www.dvd4arab.com

ثم وثبت نحوه بغتة ، بكل ما أملك من قوة وخبرة ، مستطردًا فى صرامة :

ــ فأنا اخترت حياة الأرض .

كانت تلك الوثبة مباغتة له بحق ، حتى أن أصابعى أمسكت معصمه بمنتهى القوة ، قبل أن يستوعب الأمر تمامًا ، فصرخ وهو يضغط زناد مسدسه الليزرى :

ــ خسرت يا هذا .

وانطلقت أشعة مسدسه الليزرى بالفعل ، وانطلقت معها صرخة رعب هائلة ، من حلق (نورهان) ..

ولكن أصابعى كانت قد جذبت يد المجرم بالفعل ، فانطلقت أشعة الليزر على مسافة سنتيمترات قليلة من رأس (نورهان) ، دون أن تصيبها بأدنى سـوء ، فى حين انطلقت قبضتى كالصاعقة ، تنسف أنف المجرم ، قبل أن يعاود الكرّة ..

ومع سـقوط المجـرم ، تراجعت (نورهان) ، وهى تطلق صرخات ذعر متصلة ، وخاصة عندما رأتنى أنحنى ، والتقط مسدس الليزر ، الذى سقط من يده ، فصاحت فى رعب شديد :

ــ لا .. لا تقتله .

أجبتها ، وأنا أنهض فى حزم ، وأرفع مسدس الليزر عاليًا :

ــ اطمئنى .. إننى أبغض القتل وإراقة الدماء ، أكثر مما أبغض أى شىء آخر .

ومع كلماتى ، ضغطت زناد مسدس الليزر ، لتنطلق أشعته ، وتنسف آلة المراقبة فى ركن السقف ، قبل أن ألتفت إليها ، قائلاً :

ــ الآن لم يعد بإمكانهم معرفة أين نحن ، وما الذى نفعله ؟!

استوعبت الأمر على الفور ، وهتفت :

ــ رباه !.. وما الذى ينبغى أن نفعله الآن ؟!

أجبتها فى سرعة وحزم :

ــ الآن يعرفون أننا هنا ، وسيبذلون كل جهد ممكن ، لمنعنا من إفسـاد خطتهم ، لـذا فلم يعد أمامنا سـوى إيقاف عمل المحولات الرئيسية بأى ثمن .

أجابتنى فى حماس ، كشف نقاء معدنا :

ــ أنا رهن إشارتك .

Looloo
www.dvd4arab.com

سألتها فى اهتمام :

ـ أيوجد سبيل آخر ، بخلاف المصعد ، لبلوغ حجرة المحولات الرئيسية ؟!

أجابت فى سرعة :

ـ يوجد سلم طوارئ صغير ، يصل من هنا إلى الطابق الثانى ، ومن هناك ، يمكن استخدام الممر الخلفى ، لبلوغ حجرة المحولات ، فى الطابق العلوى .

ثم صمتت لحظة ، لتستطرد فى توتر عنيف :

ـ ولكن هل تعتقد أنهم سيسمحون لنا ببلوغها ؟!

أجبتها فى حزم :

ـ يمكنك بلوغها ، لو أنهم يجهلون أنك تستهدفينها ، أو لو انشغلوا بمطاردة هدف آخر ..

سألتنى فى حيرة متوترة :

ـ ألديك خطة ما ؟!

أجبتها فى سرعة وحسم :

ـ بالتأكيد .

قلتها ، ثم شرحت لها خطتى القصيرة البسيطة ، وعندما انتهيت ، كان وجهها قد امتقع على نحو مخيف ، كما كانت عيناها تحملان الذعر ..

كل ذعر الدنيا .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

6 ـ الخطــة ..

بدأت أنفاسى تختنق بالفعل ، دلالة على نفاد الأكسجين ، من زيى الفضائى ، وجسدى يسبح هناك ، وسط الفضاء اللانهائى ، على بعد آلاف الكيلو مترات من كوكب الأرض ..

لم يعد هناك أمل ..

أدنى أمل ..

لا أحدَ يمكنه أن ينقذنى من هذا المصير البشع ؛ لأنه لا أحد يعلم حتى أين أنا ، ولا كيف وصلت إلى هنا !!

كل شىء حدث بسرعة تفوق التوقعات ، حتى أننى أنا نفسى أشعر بالدهشة ، وأنا أستعيد ذكريات يوم واحد مضى ، تغيَّر خلاله مصيرى تمامًا ، وانتهيت فيه من الحياة إلى العدم ..

من يصدِّق أننى ، ومنذ يوم واحد فقط ، كنت أستعد لبدء إجازتى ، على كوكب الأرض ؟!

من يمكن أن يصدِّق هذا ؟!..

أنا نفسى لم أكن أتوقَّع أن تتحوَّل إجازتى إلى مهمة كهذه ..

بل إلى أغرب وأعنف مهمة قمت بها ، فى حياتى العملية كلها ..

وأغرب ما فيها أننى ما زلت أجهل ، وأنا أسبح فى الفضاء هكذا كالحجر ، ما إذا كنت قد نجحت فى مهمتى أم لا !!..

كل ما أملكه هو ذكريات مواجهتى للغزاة هناك ، فى وحدة التحكُّم الرئيسية ، فى مشروع حزام الأقمار الصناعية (نجم ــ ألفا) ..

ذكريات العنف والتوتر والغموض ..

والخطر ..

ويا لها من ذكريات !..

* * *

على الرغم من ثقتى التامة ، فى أن الغزاة قد أعلنوا حالة الطوارئ القصوى ، داخل وحدة التحكُّم الرئيسيَّة ، بعد هزيمتى لمندوبيهما ، وتحطيم آلة المراقبة فى الممر ، ومن معرفتى بوجود آلة مراقبة أخرى داخل المصعد ، الذى يقود إلى حيث ينتظر الأعداء ، فقد دلفت إليه دون تردُّد ، وضغطت زر الصعود

Looloo www.dvd4arab.com

إلى الطابق العلوى ، قبل أن أرفع فوهة مسدس الليزر نحو آلة المراقبة ، وأنسفها نسفًا ..

وقبل حتى أن يبدأ المصعد رحلته ، كنت أعلم أنهم قد حدَّدوا موقعى ، واتخذوا كل ما يلزم ، لاستقبالى والسيطرة علىَّ تمامًا ، عندما أصل إليهم ..

ولكن (نورهان) كانت تحتاج إلى نصف الساعة ، لإيقاف عمل المحولات الرئيسية ..

وكان ينبغى أن أمنحها ما تحتاجه من وقت لإفساد خطة الغزاة ، وإنقاذ كوكبنا الأرضى ..

لذا ، فما أن بدأ المصعد رحلته ، حتى وثبت أتعلَّق بإطار فتحة الطوارئ فى قمته ، ودفعت بابها براحتى ، ثم دفعت جسدى عبرها ، إلى سقف المصعد الصغير ..

كانت المسافة التى تفصلنى عن الطابق العلوى صغيرة ، بحيث يحتاج الأمر منى إلى منتهى السرعة ، ومنتهى المرونة معًا ، حتى أستقر هناك ، فوق سقف المصعد ، وألتصق به بشدة ، وأنا أغلق فتحة الطوارئ ..

وعندما بلغ المصعد الطابق العلوى ، وانفتح بابه ، سمعت وقع أقدام ثقيلة تندفع داخله ، مع زمجرة غاضبة ، قبل أن يرتفع صوت قاس ، يقول بتلك اللغة غير الشائعة فى زمنى :

– إنه ليس هنا .

أجابه صوت آخر ، يحمل كل الغضب :

– أين يمكن أن يذهب إذن ؟!.. لقد رأيناه على شاشات المراقبة ، يستقل المصعد إلى هنا .

قال الصوت الأوَّل :

– ربما غادره قبل صعوده .

وهنا برز صوت ثالث ، يقول :

– هذا مستحيل !.. الكمبيوتر لم يُسجِّل أى توقف للمصعد ، فى منتصف الطريق إلى هنا .

هتف صاحب الصوت الثانى ، بمنتهى الشراسة :

– هذا لا يدع أمامنا سوى احتمال واحد ، الـ ...

ولم أسمح له بإتمام عبارته هذه أبدًا ، وأنا أجذب باب فتحة

Loolooo
www.dvd4arab.com

الطوارئ ، ثم أثب داخل المصعد ، وأنقضّ عليهم بلا هوادة ..

كانت مفاجأة حقيقية لهم ، عندما لكمت الرجل داخل المصعد لكمة ساحقة ، فى أسنانه مباشرة ، ثم لويت معصمه فى سرعة وقوة ، لأجبره على إفلات سلاحه ، وأنا أتخذ من جسده درعًا ، أندفع به خارج المصعد ..

وارتفعت فوهات أسلحتهم كلها فى وجهى ، فى حركة واحدة ، تنبئ بقتال شرس عنيف ، تراق فيه الدماء أنهارًا ، و...

« هل ستجرؤ حقًا على إطلاق النار هنا ؟!... »

انطلق السؤال فجأة ، بلهجة هادئة واثقة وحشية ، من ركن المكان ، على نحو جعلنى ألتفت إلى مصدره فى سرعة وتحفُّز ، و...

وتجمَّد شىء ما فى أعماقى ..

فهناك ، فى الركن البعيد كان أفراد طاقم وحدة (نجم ــ ألفا) الرئيسية يرتجفون رعبًا ، بوجوه شاحبة منهارة ، داخل قفص زجاجى سميك ، تطل من أركانه العلوية الأربعة عبوات أسطوانية سوداء ، تحمل علامة خاصة ، تشير إلى محتواها من

الغاز السام القاتل ، فى حين يجلس ، على مسافة متر واحد من القفص ، شخص متين البنيان ، له نفس ملامح الغزاة ، بوجهه الأزرق ، وعينيه الحمراوين ، ونظراته القاسية الباردة ..

أما يده ، فكانت تحمل جهاز تحكُّم كروى الشكل ، تكفى ضغطة واحدة منه ، لتتفجَّر أسطوانات الغاز القاتل داخل القفص الزجاجى ، وتقتل أفراد الطاقم فى لحظات ..

كان الموقف دقيقًا إلى حد مخيف ، وهو يعلم هذا جيدًا ؛ فلو أطلقت النار نحوه ، ستضغط يده تلقائيًا على الكرة ، وينطلق الغاز القاتل ..

أما لو لم أفعل ، فسيلقى الآخرون القبض علىَّ ، وأخسر المعركة كلها ..

إلا إذا استطعت أن أربح بعض الوقت ، حتى تتم (نورهان) مهمتها ..

لذا ، فقد أدرت فوهة مسدسى الليزرى نحو ذلك الشخص ، وأنا أقول فى صرامة :

ــ هل يمكننى أن أفترض أنك الزعيم هنا ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

وعلى الرغم من مسدسى المصوَّب إلى رأسه ، بدا صوته شديد الثقة والهدوء ، وهو يقول :

ـ افتراض صحيح .

قلت متحديًا :

ـ وماذا سيحدث فى رأيك ، لو افترضنا أننى أطلقت النار على رأسك مباشرة ؟!

ابتسم فى ثقة وحشية ، قائلاً :

ـ ليست لدى ذرة واحدة من الشك ، فى أنك لن تفعلها .

قلت فى تحد :

ـ هل تعتقد أننى سأحافظ على حياتى وحياتهم ، مقابل مصير الأرض كلها ؟!

هزَّ رأسه نفيًا فى بطء ، وقال :

ـ كلا بالطبع ، ولكننى واثق من أنك لن تضحى بهم ، قبل أن تتيقَّن من أنه ما من سبيل آخر سوى هذا .

قلت ، محاولاً إضافة الوقت :

ـ وهل يمكن أن يكون هناك سبيل آخر ؟!

تألَّقت عيناه على نحو عجيب ، وهو يقول :

ـ سل ما يدور فى أعمق أعماق ذهنك .

كان يبدو وكأنه يقرأ الأفكار ، التى تدور فى أعماقى بالفعل ، ولكننى كنت أحتاج إلى مزيد من الوقت ، حتى تنجح (نورهان) فى مهمتها ، فقلت فى إصرار :

ـ وماذا لو عقدنا اتفاقًا ؟!

التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

ـ لا بأس .

تصوَّرت أنه سيسعى لعقد اتفاق بالفعل ، إلا أنه استدرك فى سرعة ، وهو يميل إلى الأمام فجأة فى شراسة :

ـ سأمنحك ثلاثين ثانية فحسب ، فإما أن تلقى مسدسك الليزرى ، وتسلم نفسك لرجالى ، دون قيد أو شرط ، أو أضغط جهاز التحكُّم هذا ، ويلقى الكل مصرعهم أمام عينيك .

قلت فى صرامة ، وأنا أسدِّد فوهة مسدسى إلى رأسه :

ـ حتى لو كانت حياتك هى الثمن ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

تراجع فى مقعده ، وتجاهل سؤالى تمامًا ، وهو يبدأ العد التنازلى بالفعل :

ــ ثلاثون .. تسعة وعشرون .. ثمانية وعشرون ..

كنت قد اتخذت قرارى بالفعل ، إلا أننى لم أتحرّك قيد أنملة ، أو أعلن موقفى ، وأنا أواصل التصويب نحوه ، وهو يواصل العد التنازلى ، بمنتهى الحزم والثقة والشراسة ، وعقلى يتساءل :

تُرى أى قدر بلغته (نورهان) الآن ؟!..

أى قدر ؟!..

« سبعة .. ستة .. خمسة .. أربعة .. »

ولم يعد هناك مجال للانتظار ، بعد أن بلغ هذا القدر ، من العد التنازلى ، فالتقطت نفسًا عميقًا ، ملأت به صدرى ، قبل أن ألقى مسدسى فجأة ، هاتفًا :

ــ فليكن .

لم يكد المسدس يسقط أرضًا ، حتى ارتفعت فوهات أسلحتهم كلها نحوى ، فى حين ابتسم زعيمهم ابتسامة كبيرة ، قائلاً :

ــ لم أشك لحظة واحدة فى هذا !..

هتف أحد رجاله فى غلظة :

ــ أكنت تعلم أنه سيستسلم أيها الزعيم ؟!

تراجع زعيمهم فى مقعده ، وهو يقول :

ــ بكل تأكيد ، فلم يكن ليسمح بمصرعهم أمام عينيه ، خاصة وأن لديه خطة بديلة بالفعل .

سألته ، وأنا أبتسم فى سخرية :

ــ أية خطة بديلة أيها العبقرى ؟!

مال نحوى بقدر الإمكان ، قائلاً :

ــ هل تحب أن تعرف حقًا ؟!

ثم أشار بسبّابته إشارة خاصة ، وعيناه تتطلّعان إلى بقعة ما خلفى ، على نحو جعلنى ألتفت إليها ، و...

وسرت فى جسدى كله قشعريرة باردة كالثلج ..

فما شاهدته ، عند البقعة التى أشار إليها ، كان آخر شىء أتوقع رؤيته ، فى هذه اللحظة بالذات ..

آخر شىء على الإطلاق .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

7 ـ الخطة البديلة ..

من المؤكَّد أن تلك القشعريرة الباردة كالثلج ، التى سرت فى جسدى كله ، وأنا أحدِّق فى تلك البقعة ، التى أشار إليها زعيم الغزاة ، قد بدت ملحوظة تمامًا ، لكل مخلوق فى المكان .

فأمام عينىَّ مباشرة ، كانت توجد شاشة كبيرة ، تحمل صورة (نورهان) ، التى بلغت بالفعل حجرة محولات الطاقة الرئيسية ، وبدأت عملها لإفسادها ..

وبصوت غليظ ، ولهجة واثقة ساخرة ، قال زعيم الغزاة :

ـ أكنتم تتوقعون نجاح هذه اللعبة بالفعل ؟!

الواقع أننى كنت أشعر بآلام نفسية مبرِّحة ، تسرى فى كيانى بأكمله ، وبغصة تسدّ حلقى ، وبخوف شديد على مصير (نورهان) المسكينة ، بعد أن انكشف أمرها على هذا النحو ، إلا أننى كتمت كل مشاعرى فى أعمق أعماقى ، وأنا ألتفت إلى زعيم الغزاة ، قائلاً :

ـ أكنتم أنتم تتوقعون أننا لن نكشف حقيقتكم ؟!

نطقت عبارتى بتلك اللغة القديمة ، على نحو انعقد معه حاجبا زعيم الغزاة ، فى حين هتف أحد رجاله فى غلظة ، مستخدمًا اللغة نفسها :

ـ لقد عرفوا بوسيلة ما .

رمقه زعيمه بنظرة نارية ، قبل أن يلتفت إلىَّ مرة أخرى ، ويميل نحوى فى بطء ، قائلاً فى صرامة ، تحمل لمحة غضب واضحة :

ـ أعترف أنك عبقرى إلى حد ما ، ولكن هذا لن يفيدك هنا .

قلت ، محاولاً التظاهر بالهدوء بقدر الإمكان :

ـ من يدرى ؟!

بدا عليه غضب أكثر ، فاستطردت ، مضيفًا السخرية إلى صوتى :

ـ قل لى يا هذا : هل ستواصل ارتداء هذا القناع السخيف لوقت أطول ؟

نطقت عبارتى ، فران على المكان صمت رهيب ، والزعيم يتراجع فى مقعده بمنتهى البطء ، قبل أن يقول بكل صرامة وغضب الدنيا :

leoloo
www.dvd4arab.com

ــ آه .. عبقرى وساخر أيضًا !

قالها ، وظل يتطلَّع إلى وجهى بغضب هادر ، قبل أن يشير إلى رجاله ، قائلاً :

ــ سنلعب بأوراق مكشوفة يا رجال .

مع عبارته ، انتزع ذلك القناع المخيف عن وجهه ، وألقاه جانبًا ، وكذلك فعل رجاله ، وأفراد طاقم (نجم ــ ألفا) يحدِّقون فيهم بمنتهى الدهشة ، من داخل ذلك القفص الزجاجى ، الذى تم سجنهم فيه ..

وما أن وقع بصرى على وجه الزعيم ، حتى تأكَّدت من هويته على الفور ..

كانت ملامحه مثالية تمامًا ، بالنسبة لبنى جنسه ..

وجه صارم ..

ملامح قاسية ..

شعر أسود فاحم ..

وأنف معقوف ..

أضف إلى كل هذا صوت غليظ خشن ، خرج من بين شفتيه صارمًا غاضبًا ، وهو يقول :

ــ من حسن الحظ أن هذا استنتاجك وحدك ، وأنك لم تبلغ به زعماء كوكبك بعد .

قلت فى هدوء ، لم أدر حتى لماذا ملأ كيانى :

ــ إنه كوكبكم أيضًا ، على الرغم من أن هذا لا يشرِّفه ، ولقد كنتم يومًا الدولة غير العربية الوحيدة ، فى الشرق الأوسط كله ، لولا ما حدث ، عندما أخذتكم غطرسة القوة ، وتماديتم أكثر مما ينبغى ، فهبَّ العرب ، و...

قاطعنى فى خشونة :

ــ لسنا هنا لسماع محاضرة ، عن تاريخ منطقتك .

قلت ، متجاهلاً عبارته :

ــ تصوَّرت أنكم قد انقرضتم ، بعد هزيمتك الساحقة فى...

قاطعنى مرة أخرى فى حدة :

ــ لا يمكن أن ننقرض .. لقد عدنا للتشتُّت فى الأرض فحسب .

Looloo
www.dvd4arab.com

قلت ساخرًا :

ــ والآن قررتم نقل تشتتكم إلى الفضاء ؟!

أطل غضب وحشى من عينيه ، وهو يقول :

ــ بل قرَّرنا أن نستعيد السيطرة والقوة يا رجل الأمن الفضائى .. لقد تخلصنا من رجلكم (شوقى) ، قبل يوم واحد من رحلته إلى هنا ، واتخذت أنا هيئته ومكانه ، وصعدت بدلاً منه إلى هنا .

سألته فى اهتمام :

ــ وماذا عن وسائل فحص البصمات ، وقزحية العين ؟!

تراجع فى مقعده بزهو ، مجيبًا :

ــ كل تكنولوجيا لها تكنولوجيا مضادة يا رجل الأمن الفضائى .. ألم تتعلَّم هذا أثناء تدريباتك .

شددت قامتى ، وأنا أقول فى حزم :

ــ أشياء كثيرة تعلمتها ، أثناء تدريباتى ، فى مركز الأمن الفضائى .. أشياء أكثر مما تتصوَّر .

رمقنى بنظرة غاضبة أخرى ، قبل أن يقول فى حدة :

ــ سنرى .

ثم أشار إلى الشاشة الكبيرة ، قائلاً لرجاله :

ــ أحضروا هذه الفتاة إلى هنا .

أسرع الرجال لتنفيذ أوامره ، فى حين التفت هو إلىَّ ، قائلاً فى شماتة واضحة :

ــ هذا يعنى أن خطتك قد فشلت أيها العبقرى .

كان قوله أقرب إلى الواقع بالفعل ، إلا أننى قلت فى حزم :

ــ ليس بعد .

أطلق ضحكة ساخرة عالية ، قبل أن يقول :

ــ يا لك من مغرور !.. ألا يمكنك قراءة ما يدور حولك ؟!.. لقد نسفنا جهاز الانتقال الآنى فى الأعماق ، حتى نسد الثغرة ، التى قادتك إلينا ، على غفلة منا ، أما زميلتك ، فستصبح فى قبضتنا خلال عشر دقائق على الأكثر ، مما يعنى أنها لن تفلح فى إيقاف عمل محولات الطاقة الرئيسية أبدًا .

قلت فى صرامة ، محاولاً إخفاء توترى :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ خطتنا كانت تعتمد على إغلاق الحجرة من الداخل ، وهذا يعنى أن الوصول إليها لن يكون سهلاً أبدًا .

أجابنى فى صرامة ساخرة :

ـ ربما ، ولكنه لن يحتاج إلى نصف الساعة ، التى تحتاجها لإفساد المحولات .

كان قوله صحيحًا تمامًا هذه المرة ..

الوقت يمضى بسرعة ..

لصالحهم وحدهم ..

وبكل القلق والتوتر فى أعماقى ، على مصير كوكب الأرض ، وبكل خشيتى من وقوعه تحت سيطرة أمثالهم ، راح عقلى ينطلق كالصاروخ ، محاولاً إيجاد حل لذلك المأزق الرهيب ، و...

« لا تحاول .. »

قاطعنى زعيم الغزاة بالعبارة ، وكأنما قرأ أفكارى ، وتابع ساخرًا :

ـ خطتنا محكمة ، ولن تفلت منا أبدًا .

قلت بسرعة :

ـ لا توجد خطة تامة الإحكام .. هناك حتمًا ثغرات .

قال فى غلظة :

ـ لا توجد أية ثغرات هنا .

ألقيت نظرة شديدة التوتر ، على الشاشة الكبيرة ، التى تنقل صورة (نورهان) ، التى تواصل عملها ، غير مدركة بالخطر الذى يندفع نحوها ، فتابع الزعيم :

ـ دقيقة واحدة ويصل الرجال إليها ، ويحضرونها إلى هنا .

ثم صمت لحظة ، ليضيف بكل صرامة :

ولكنك لن تدرك أبدًا ما سنفعله بها .

استادرت إليه بنظرة متسائلة ، فقال بلهجة آمرة ، لمن تبقى من رجاله فى وحدة القيادة :

ـ أحضروا أحد الأزياء الفضائية .

أسرع رجلان لتنفيذ الأمر ، فى حين تساءل ثالث فى عصبية :

ـ ماذا سنفعل به ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

رمقنى الزعيم بنظرة أخرى ، قبل أن يجيب فى بطء :

ــ سنرسله إلى الأرض .

خُيِّل إلىَّ أننى لم أستوعب الأمر جيِّدًا ، فانعقد حاجباى فى شدة ، وأنا أتطلَّع إليه ، فى حين هتف رجله :

ــ الأرض ؟!.. ولكنه سيخبرهم كل ما لديه عنا ، وهذا يمكن أن ...

قاطعه الزعيم بكل صرامة :

ــ اصمت .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، ليضيف :

ــ جهاز الانتقال الآنى لن يُستخدم إلا عبر قنواتنا ومساراتنا الفضائية الفائقة وحدها ، لذا فلن يمكننا استخدامه لنقله إلى الأرض ، ولهذا طلبت زيًّا فضائيًّا .

أدركت ما يعنيه على الفور ، وسرت فى جسدى موجة توتر عنيفة ، فى حين تساءل الرجل فى حدة :

ــ ماذا سنفعل إذن ؟!

أجابه الزعيم ، فى سخرية شامتة :

ــ سنلقيه من هنا ، بوساطة جهاز دفع عادى ، نحو كوكب الأرض .

بدت الحيرة فى عينى الرجل ، فتابع الزعيم ، وهو يسترخى بزهو فى مقعده :

ــ ربما يكفيه الأكسجين ، حتى يصل إلى هناك ، ولكن المشكلة أن الزى الفضائى يمكن أن يحميه من الفضاء ، وليس من الغلاف الجوى الأرضى ، فما أن يجذبه كوكب الأرض إليه ، حتى يهوى بفعل الجاذبية الأرضية ، بسرعة رهيبة ، مخترقًا الغلاف الجوى ، مما سيؤدّى إلى ارتفاع درجة حرارة من حوله إلى درجة هائلة ، تكفى لإذابة زيه الفضائى ، وحتى جسده نفسه ، ليتحولّ فى النهاية إلى كتلة من اللهب ، أو نيزك بشرى ، قد يتلاشى فى سماء الأرض ، قبل أن يبلغ سطحها .

هتف الرجل فى دهشة :

ــ وما الحكمة فى هذا ؟!

أجابه الزعيم فى سرعة :

ــ أن يلقى حتفه ببطء يا رجل .. بمنتهى البطء ..

Looloo www.dvd4arab.com

وفى نفس اللحظة ، التى بدت فيها (نورهان) مذعورة على الشاشة ، مع بدء محاولات الغزاة ، لاقتحام حجرة محولات الطاقة الرئيسية ، وانتزاعها منها ، كان الزعيم يطلق ضحكات ساخرة عالية ، تتردَّد فى المكان كله ، بعد أن أصدر قراره الرهيب ..

قرار إعدامى ببطء ..

وبلا رحمة .

* * *

8ـ الضـربـة ..

أعترف أننى لم أشعر ، فى حيـاتى كلها ، بالضعف والعجز والمرارة ، مثلما شعرت بهما فى تلك اللحظة ، وأنا أرتدى الزى الفضائى ، داخل حجرة قيادة (نجم ــ ألفا) ، وأمسك خوذتى ، والشاشة أمامى تنقل صورة (نورهان) التى غلبها ذعر لا محدود ، وهى ترتجف بشدة ، داخل حجرة محولات الطاقة الرئيسية ، التى لن تمضى دقائق معدودة ، حتى يقتحمها الغزاة ، لتفشل خطة إنقاذ الموقف تمامًا ..

كان عقلى ما زال يبحث عن مخرج ، أو ثغرة فى خطة الغزاة ، على الرغم من توتر الموقف ، عندما سمعت زعيمهم يقول فى ظفر شامت :

ــ قل لى يا رجل الأمن الفضائى المتحذلق : هل يمكن أن يفيدك ما تدرَّبت عليه هنا ؟!

لم أجب تساؤله ، فقهقه ضاحكًا ، وتابع فى شراسة :

ــ ما داموا قد أرسلوك من الأرض ، فلابد وأن يدفعوا الثمن ، حتى يتعلموا عدم مقاومتنا بعد الآن ، لذا فما أن نطلق جسدك فى

Looloo www.dvd4arab.com

الفضاء ، حتى أطلق عليهم موجة كهرومغناطيسية عنيفة ، تكفى لنسف كل أجهزتهم دفعة واحدة ، بحيث لا يعود لهم حول أو قوة فى مواجهتنا .

غمغمت :

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله ، والله وحده .

هتف فى خشونة :

ـ ادخر مواعظك هذه ، حتى تبلغ العالم الآخر ، الذى ستصل إليه قريبًا .

قلت فى حزم :

ـ عزائى الوحيد هو أننا لن نلتقى فيه أبدًا .

تراجع فى مقعده ، قائلاً فى حدة وحشية :

ـ لم يكن ينبغى أن نلتقى ، فى هذا العالم أيضًا ، لولا أن الزمن قد صنع أوضاعًا معكوسة ، فأصبحتم أنتم الأقوى ، وصرنا نحن الأضعف .

أوضاع معكوسة !!...

تفجَّر المصطلح فى أعمق أعماق عقلى وكيانى ، ليشعل داخلى فكرة مدهشة ..

وليكشف لى ثغرة ، ربما لم ينتبه إليها أحد قط ..

ثغرة رهيبة ، جعلتنى أهتف فجأة :

ـ هل لاحظت موقفكم الآن ، يا زعيم المجرمين ؟!

أجابنى فى سرعة وسخرية :

ـ بالتأكيد .. إنه موقف المنتصر .

تجاهلت عبارته السخيفة ، وأنا أتابع فى حماس :

ـ طاقم (نجم ـ ألفا) كله داخل قفص زجاجى مغلق ، و(نورهان) داخـــل حجرة المحولات المغلقة ، وهذا يعنى أننى وأنتم نتصل داخل فراغ المحطة كله .

التقى حاجباه ، وهو يقول فى حذر متوتر :

ـ وما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

انعقد حاجباى فى شدة ، وأنا أجيبه :

ـ الثغـــرة .

Looloo
www.dvd4arab.com

قلتها ، ثم وثبت فجأة ، لألكم أقرب رجاله إلىَّ لكمة كالقنبلة ، ثم أتجاوز انقضاضة الثانى ، صائحًا بكل قوتى ، وأنا أضغط زر الاتصال ، مع حجرة المحولات ، التى حاصروا فيها (نورهان) :

ــ (نورهان) .. الانتقال الآنى .. اعكسى الأقطاب .

كانت خطتى كلها تعتمد على سرعة فهمها ، وسرعة استجابتها مع الموقف ..

ولقد فهم الزعيم خطتى على الفور ، وصرخ ، وهو يثب من مقعده ، بكل ذعر الدنيا :

ــ لا .. لا يمكن أن يحدث هذا .

ولكن (نورهان) سمعت صيحتى .. وفهمت .. واستوعبت .. ونفذت ..

وبوثبة واحدة ، بلغت أزرار التحكُّم الرئيسية ، ولهثت فى انفعال ، وهى تضغط أزرار عكس الأقطاب ، هاتفة :

ــ سأفعل .. سأفعل .

وانقضَّ علىَّ الغزاة من كل صوب ..

ولكن جهاز الانتقال الآنى انطلق يعمل فجأة ..

بكل قوته ..

وعلى نحو معكوس ..

فبدلاً من أن تتركَّز أشعته الناقلة داخل وحدته ، انطلقت كلها ، بفضل الأقطاب المعكوسة ، إلى ما خارجه ..

وبأقصى سرعة ، ارتديت خوذتى ..

ثم دوت تلك الفرقعة فى المكان ..

كنت أعلم جيدًا ما سيحدث الآن ، فباستثناء طاقم (نجم ــ ألفا) السجين ، و(نورهان) المحاصرة ، ستشمل الأشعة الناقلة كل الأحياء ، فى كل مكان من المحطة ، وهذا يعنى كل الغزاة ، وزعيمهم ..

وأنا أيضًا ..

ولأن الجهاز يعمل بأقطاب معكوسة ، فلن يمكنه أبدًا أن يرسلنا إلى نقطته النهائية الطبيعية ..

ولكن الأشعة الناقلة ستشملنا ، وستعمل على نقلنا ..

أو بمعنى أدق .. على تشتيتنا ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وهذا ما حدث بالفعل ..

لقد التقطت أذناى صرخات الغزاة المذعورة ، وأنا أشعر بارتجاجات عنيفة ، تشمل جسدى كله ، وأدرك أن جهاز الانتقال الآنى سيلقى بكل منا فى مكان عشوائى من الفضاء اللا نهائى ..

وأنا وحدى أرتدى زيًّا فضائيًّا واقيًا ..

الغزاة إذن سيجدون أجسادهم فجأة فى الفضاء ، فى ظروف ضغط وحرارة لا تناسب البشر أبدًا ..

أو أية كائنات أخرى ..

يا إلهى !.. إننى أشعر بالبشاعة ، عندما أتخيَّل مصيرهم هذا .. يا للهول !..

أما مصيرى أنا ، فلم يعد خافيًا عنى ..

لقد نفد الأكسجين من زيى الفضائى تمامًا ، كما أعلن الكمبيوتر الصغير فى الخوذة ، وجسدى ما زال يسبح فى فراغ فضائى سرمدى ، وربما يظل يسبح فيه لسنوات لا يعلم عددها إلا الله (سبحانه وتعـالى) وحـده ، حتى تجذبه جاذبيـة كوكب ما ، أو نجم ما ، فيهوى إليه ، ويمتزج بترابه إلى أبد الآبدين ..

ولكن هذا لم يؤلمنى أو يفزعنى ، ما دمت أدفع حياتى ثمنًا لحرية وبقاء كوكب الأرض كله ..

كل ما أتمناه هو أن تكون خطتى قد أفلحت ، وقضت على كل الغزاة ، وحرَّرت (نجم ـ ألفا) من محتليه ..

وفى استسلام ، أغلقت عينىَّ ، وانتظرت مصيرى ، و ..

وفجأة ، شعرت أن جسدى قد توقَّف عن الاندفاع ، وأنه يهتز على نحـو عجيب ، فعـدت أفتح عينىَّ ، وأحدِّق بذهول فيما أمامى !!..

مستحيل !.. مستحيل وألف مستحيل !!..

إنها (نورهان) !!..

هنا فى الفضاء !!..

كانت ترتدى زيًّا فضائيًّا ، وتبتسم ابتسامة ارتياح ، وهى توصل أسطوانة أكسجين جديدة بزيِّى ، هاتفة ، عبر جهاز الاتصال الداخلى المحدود :

ـ أنت حى .. حمدًا لله .. حمدًا لله

Looloo www.dvd4arab.com

شعر صدرى بالأكسجين ، فأطلقت شهقة ، قبل أن أهتف بها :

ـ (نورهان) .. أأنت هنا حقًّا ، أم أنه هذيان نقص الهواء ؟!

هتفت ، وعيناها تدمعان ملتمعتين فى سعادة :

ـ بل أنـــا هنـــا .. لقـــد نجحـــت خطتك العبقرية ، وحرَّرت (نجم ـ ألفا) ، وأنقذت كوكبنا من احتلال رهيب طويل .. وفور تحرُّرنا ، أعدنا الاتصال بكوكب الأرض ، ونقلنا إليهم بيانات جهاز الانتقال الآنى ، الذى عمل بأقطاب معكوسة ، ولقد عملوا على تحليلها بأسرع ما لديهم من وسائل ، حتى علموا أين ألقى بك الجهاز بالضبط ، وقرَّروا استعادتك فورًا :

غمغمت :

ـ ولماذا أنت ؟!

ضحكت على الرغم من دموعها ، قائلة :

ـ كانت فرصتى ، لأرد لك الجميل .

سألتها :

ـ أى جميل ؟!

اتسعت ابتسامتها ، وهى تجيب :

ـ إنقاذ كوكب الأرض .

هتفت ، وقد استعدت نشاطى ، مع سريان الأكسجين فى خلايا جسدى المنهك :

ـ إنه واجبى .

ضحكت ، قائلة :

ـ أعلم هذا .. أعلم هذا .

ثم هتفت فى حماس :

ـ هيا .. تشبث بى جيِّدًا ، فسيعملون على إعادتنا معًا ، بعد عشر ثوان فحسب .

تشبَّثت بها كما طلبت ، وذهنى يستعيد الأحداث كلها ، والدهشة تملأ كيانى ؛ لأن كل هذا حدث فى يوم .. يوم واحد فقط ..

وبإيقاع منتظم ارتجَّ جسدى كله ، ثم راودنى ذلك الشعور العجيب ، الذى لن يمكننى اعتياده أبدًا ..

www.dvd4arab.com

شعور الانتقال عبر المسارات الفضائية الفائقة ..

ثم انتابنى شعور الهبوط والاستعادة ..

ولثوان ، غشى الضوء بصرى كالمعتاد ، قبل أن أسمع صوتًا يهتف فى حرارة وتقدير :

ــ حمدًا لله على سلامتك ونجاحك يا بطل .

كان صوت السيِّدة (فدوى) ، القائد الأعلى لإدارة الأمن الفضائى ، والتى ما أن استعادت عيناى قدرتهما على الإبصار ، حتى رأيتها تتجه نحوى ، وحولها مجموعة من القادة ، وملامحهم جميعًا تحمل كل الاحترام والتقدير ، فى حين همست (نورهان) ، عبر جهاز الاتصال المحدود :

ــ حمدًا لله على سلامتك .. أظنها نهاية الأحداث .

تطلَّعت إليها بنظرة صامتة ، وابتسامة هادئة ، والكل يستقبلنا فى حرارة وسعادة ، بعد أن نجت الأرض من الغزاة بحمد الله (سبحانه وتعالى) ورحمته ..

ولكننى فى أعماقى ، كنت أختلف تمامًا مع ما قالته (نورهان) ، وما يظنه الجميع ..

ففى نقطة ما ، من أعمق أعماقى ، كان هناك هتاف صامت يتردَّد ، معلنًا لى أنها ليست النهاية حتمًا ..

إنها البداية ..

البداية الحقيقية .

* * *

تمت بحمد الله

Looloo
www.dvd4arab.com

عزيزى القارئ

أصدقائى ... أصدقاء الورق ..

مسابقة أدب الخيال العلمى ، أنهت موسمها الثالث ، بتوزيع الجوائز على الفائزين بالمسابقة ، فى حفل أقيم فى ساقية الصاوى ....

وهذه المسابقة ، التى أقدمها سنويًا ، ليست هبة للقراء ، ولكنها نوع من رد الجميل لهم ؛ لأن إقبالهم على روايات الخيال العلمى ، هو الذى حقق لها الشعبية والانتشار ، وساعد على حصولى على جائزة الدولة التشجيعية ، فى هذا اللون من الأدب ....

وهى أيضًا محاولة متواضعة ؛ لمعاونة جيل جديد ، على التألّق فى هذا اللون من الأدب ، الذى يتناسب مع القرن الحادى والعشرين ....

ولقد طالب بعض الأصدقاء بأن تمتد المسابقة إلى القصة القصيرة أيضًا ...

وهذا ما كان ، فى الموسم الرابع منها ....

والإقبال من المواهب الشابة ، على المسابقة ، يتزايد عامًا بعد عام ، ومن المتوقّع ، خلال ثلاثة أعوام قادمة ، أن تتحوّل إلى مسابقة أدبية وشعرية ، وفنية أيضًا ....

هذا ما أحلم به ، وما أتمناه لى ...

ولكم ...

ومع تقديرى وشكرى ، أتشرّف بنشر الأعمال الفائزة ، فى الموسم الثالث ....

طالعوها معى ...

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

الفائز الأوّل

محمد عبد العليم عبد الصمد

الشيطان

لم يكن الرائد محمود يتخيـل أن القضية التى تم استدعاؤه للتحقيق بها يمكن أن تتطور بمثل هذه الطريقة أو تنتهى بمثل هذه النهاية .

كان بالكاد يستطيع حفظ توازنه وهو يقف على إفريز تلك الشرفة فى الطابق السابع ، نظر إلى تحت قدميه يتأمل الطريق المكتظ بالسيارات والتى راحت تصدر ضجيجًا عاليًا غطى على صراخ رجاله الذين راح ذلك الشىء فى داخل الشقة يسلخهم أحياء .

وحانت منه التفاتة إلى ما وراء ظهره .. كانت أشلاء الرجال تملأ الشقة خلفه فى حين كان الشىء ينتهى من تمزيق المسكين الأخير الذى سكتت صرخاته .. على الأقل لقد استراح من ذلك الهول .

وقف ذلك الشىء وسط الأشلاء وقد راحت الدماء تقطر من مخالبه وفغر فاه عن صفوف من الأنياب الحادة التى راحت بدورها تقطر بدماء ضحاياه .

نظر ذلك الشىء إلى محمود بشراسة قبل أن يتقدم من باب الشرفة .. كان باب الشرفة من النوع المنزلق ذى الزجاج القوى المضاد للكسر والذى أغلقه خلفه .. كان يعلم أن ذلك لن يوقفه .. بل حتى لن يعطله .

وصل الشىء إلى الباب ورفع يده المخلبية ثم هوى بها على الباب الذى تحطم بصوت مكتوم بل انخلع الباب ذاته من مكانه ثم تقدم من محمود الذى أدار له ظهره مرة أخرى ومد رجله اليمنى كما لو كان يتحسس بها الفراغ .

مد الشىء يده ليقبض على محمود .. أغمض محمود عيناه قبل أن يميل بجذعـه إلى الأمام ليخـرج مركز ثقله خـارج قاعدة ارتكازه ويترك البـاقى للجاذبية التى عملت بكفاءة كالعادة وفى اللحظة التالية كان محمـود يحلق فى الفـراغ ساقطًا من الشرفة ..

Loolooo www.dvd4arab.com

من الطابق السابع

قبل ساعتين

رفع الرائد محمود الملاءة الملطخة بالدماء التى تغطى الجسد المسجى على رصيف الشارع عن وجه الجثة ونظر قليلا لوجه المرأة التى فقدت عيناها بريق الحياة . أعاد الغطاء على وجه الجثة مرة أخرى قبل أن يقف وينظر نظرة شاملة على المشهد أمامه .

وأمامه على الرصيف الذى أحاط به الجنود مانعين المارين من الاقتراب كان هذا المشهد المروع .. سبعة جثث افترشت الطريق وتغطت بتلك الملاءات الملطخة بالدماء .. ثم سأل أحد زملائه بحيرة : ترى أى شىء هذا الذى يدفع سبعة أشخاص للانتحار قفزًا من الشرفة ؟

هز زميله رأسه فى حيرة وهو يجيبه : لا أعلم يا سيدى ولكن لدينا بعض المعطيات

تنهد قبل أن يقول : هؤلاء السبعة هم أفراد عائلة واحدة ، الأب والأم وثلاثة أبناء بالإضافة لأخوى الأب وزوجته اللذين كانا فى زيارة للعائلة .. شهود العيان يؤكدون أنهم سمعوا صرخات

عالية قبل لحظات من اندفاع العائلة إلى الشرفة والسقوط بهذا الشكل إلى الطريق ليلقوا حتفهم فورًا .

تساءل محمود بحيرة : هل هناك من رآهم يقفزون ؟؟

أجابه زميله : نعم ، هناك بعض سكان البنايات المجاورة رأوهم وهم يندفعون من داخل الشقة كما لو كان هناك شيطان يطاردهم.

ضيق حاجبيه وهو يردد : شيطان !!

ثم أضاف شاردًا : ترى ما الذى أفزعهم لهذا الحد ؟

قال زميله : لا أعلم يا سيدى .. ولكن يمكننى أن أضمن لسيادتك عدم وجود أى شخص مع العائلة فى ذلك الوقت فباب الشقة كان مغلقًا من الداخل عندما وصلنا .

كما أن البواب أكد عدم دخول أحد إلى البناية بخلاف سكان البناية هذا اليوم .. فاحتمال وجود قاتل أو شخص ما أجبرهم على إلقاء أنفسهم من الشرفة هو أمر مستبعد .. لا يبقى أمامنا إلا أقوال الشهود والتى تؤكد أن هناك ما أفزعهم لدرجة إلقاء أنفسهم من الشرفة .

التفت إليه محمود قائلاً : ولكن ماذا ؟ ما الذى أفزعهم ؟؟

(الوهم الجماعى) .

Looloo
www.dvd4arab.com

التفت محمود إلى مصدر الصوت ليجد نفسه أمام ذلك الرجل الأنيق ذى النظرات والملامح الهادئة والذى ارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة .

أشرق وجه محمود حين رأى وجهه قائلاً : دكتور طارق إنها فرصة طيبة أن ألقاك ، كنت أعتقد أنك لا تقوم بالمعاينة الميدانية بنفسك .

ابتسم الدكتور طارق الطبيب الشرعى المخضرم وهو يقول : نعم ، ولكنى عندما سمعت بهذه الحادثة قررت معاينتها بنفسى .
بدا الاهتمام على محمود وهو يقول : كنت تقول شيئًا عن الوهم الجماعى يا سيدى .

هز الدكتور طارق رأسه مجيبًا : نعم ، الوهم الجماعى أمر حقيقى وواقعى ويمكن أن يحدث لمجموعة من البشر فى وقت واحد ولكن ذلك يحتاج إلى طاقة نفسية سلبية عالية جدًا حتى تستطيع التأثير فى عدد كبير لدرجة الانتحار .

قال محمود بشك : أعتقد أن ما تقوله يا سيدى أقرب ما يكون للخيال وليس الواقع .

ابتسم الدكتور طارق بإشفاق وهو يقول : ربما بدا لك كذلك

وهذا راجع لعدم اهتمامك بمجالات الميتافيزيقا أو علوم ما وراء الطبيعة .

ثم تنهد وكأنما سيلقى محاضرة وهو يقول : الطاقة النفسية القادرة على التأثير فى مجموعة من البشر ربما كان مصدرها شخص ما ومثال ذلك ما يفعله فقــراء الهنود وخدعة الحبل الهندية هى مثال حى على ما أقول ، وفى القرآن الكريم هناك شىء كهذا فى قصة سحرة فرعون يقول الله تعالى :

﴿ فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم ﴾

فسحرة فرعون لم يغيروا حقيقة العصى ولا الحبال وإنما أثروا فى الناس حتى أوهموهم جميعًا أن العصى والحبال استحالت ثعابين وحيات تسعى .
ويمكن أن يكون مصدر تلك الطاقة مكانًا .. بيتًا أو قصرًا أو بناية .. وهناك تفسيرات علميـــة كثيرة ترجع ظواهر المنازل والأماكن المسكونة إلى نظرية الطــاقة السلبية .. حيث إن هناك أبنية بعينها تختزن تلك الطاقة وتشعها وهذه الطاقة قادرة على تجسيد مخاوف الإنسان أو استخراج أسوأ مشاعره .

ونحن لسنا بحاجة لزيارة القصور المسكونة فى إسكتلندا وإنجلترا لنرى مثالاً حيًا على هذا فمصر تذخر بمثل هذه المبانى .

www.dvd4arab.com

رفع محمود حاجبيه بدهشة من هذه المعلومة فى حين تابع الدكتور طارق : يمكنك زيارة الإسكندرية وبالتحديد شارع رشدى لتجد فى هذا الحى الراقى بناية من ستة طوابق فاخرة الطراز مبنية منذ الستينات وبالرغم من هذا فباب البناية تم إغلاقه بالطوب ولم يسكنها أحد منذ أن بنيت حتى اليوم يمكنك أن تسأل كل أهل الإسكندرية عنها لتسمع قصصًا من نوعية عمارة العفاريت أو العمارة الملعونة ومثل هذه القصص المثيرة .

أو يمكنك أن تذهب إلى مصر الجديدة لزيارة أحد معالمها الأثرية المشهورة والذى يعد بحق أحـد علامات الأبنيـة ذات الطاقة السلبية المرعبة وأنا أقصد هنا قصر البارون .

كانت الدهشة تملأ وجه محمود وهو يستمع لما يقوله الدكتور طارق وفى النهاية هز رأسه علامة الرفض قائلاً : دكتور طارق إنك تحاول تحويل حادثة انتحار بسيطة إلى قصة خيالية و...

قاطعه الدكتور طارق مستنكرًا : حادثة انتحار بسيطة ؟؟ أتسمى انتحارًا جماعيًا لعائلة من سبعة أفراد حادثة انتحار بسيطة ؟؟

تمتم زميل محمود بصوت خافت : ثمانية يا سيدى .

التفت كل من محمود وطارق إلى الضابط الذى تمتم بحرج : العائلة مكونة من ثمانية أفـراد انتحر منهم سبعة فقط تساءل الدكتور طارق بلهفة : والثامن ؟!

تنحنح الضابط بتوتر مجيبًا إياه : أعتقـد أن لدينا شاهدًا كان موجودًا داخل الشقة ويمكن أن يخبرنا ما حدث .

تلاقت عينا محمود وطارق والتمعت عيناهما .. فلقد كان هذا يعنى الكثير .

يبدو أن التفسير صار قاب قوسين أو أدنى .

* * *

لماذا يشعر أنه مر بذلك من قبل ؟؟

الرياح باردة هذه الليلة تكاد أن تجمد أطراف محمود وهو يحـاول بالكـاد الحفـاظ على توازنه على ذلك الإفريز الضيق للشرفة الكائنة فى الطابق السابع .

أخذ يفكر .. لم يكن يتخيـل أن القضـية التى تم استدعاؤه للتحقيق بها يمكن أن تتطور بهذا الشكل أو تنتهى بمثل هذه النهاية .

نظر إلى الأسفل حيث الطريق الذى احتشد بالسيارات ذات الضجيج العالى الذى غطى ضجيجها على صراخ رجاله الذين راح ذلك الشىء يسلخهم أحياء داخل الشقة .

Looloo www.dvd4arab.com

لحظة .. لماذا يشعر أن هناك شيئًا ما مألوفًا هنا ؟

يبدو أن ظاهرة ديجافو تعمل بكفاءة فى اللحظات التى تسبق الموت .

حانت منه التفاتة إلى ما وراء ظهره .. كانت أشلاء الرجال تملأ الشقة خلفه فى حين كان الشىء ينتهى من تمزيق المسكين الأخير الذى سكتت صرخاته .. اللعنة أكاد أقسم أنى مررت بهذا من قبل .

نظر ذلك الشىء إلى محمود بشراسة قبل أن يتقدم من باب الشرفة .. كان باب الشرفة من النوع المنزلق ذى الزجاج القوى المضاد للكسر والذى أغلقه خلفه .

قال محمود فى نفسه : حسنًا إن ذلك لن يوقفه .. هنا حين يرفع المسخ يده ليهوى بها على الباب ليتحطم بصوت مكتوم .

وصل الشىء إلى الباب .. رفع يده المخلبية ..

هوى بها على الباب الذى تحطم بصوت مكتوم بل وانخلع الباب ذاته من مكانه ثم تقدم من محمود الذى أدار له ظهره مرة أخرى ومد رجله اليمنى كما لو كان يتحسس بها الفراغ .

اللعنة على ظاهرة الديجافو أنها تجعلنى أجن .

مد الشىء يده ليقبض على محمود .

أغمض محمود عيناه قبل أن يميل بجذعه إلى الأمام ليخرج مركز ثقله خارج قاعدة ارتكازه ويترك الباقى للجاذبية التى عملت بكفاءة كالعــادة فى اللحظة التالية كان محمود يحلق فى الفراغ ساقطًا من الشرفة .

من الطابق السابع

* * *

كانت الشقة تنخر برجال الشرطة ورجال البحث الجنائى حين دخل الرائد محمود والدكتور طارق بلهفة يبحثون بعيونهم داخل الشقة .

وعلى أحد المقاعد بالصالة كانت سارة جالسة تحتضن دميتها التى لفتها بقطعة قماش وأخذت تهزها بهدوء كما لو كانت طفلة رضيعة .

كانت سارة الابنة الصغرى فى العائلة فتاة جميلة فى السابعة من عمرها .

اقترب محمود من الفتاة التى لم يبد عليها أنها رأته واستمرت فى هدهدة دميتها .

Looloo
www.dvd4arab.com

جلس محمود أمامها محاولاً جذب انتباهها ثم وبصوت خافت قال : سارة .

لم يبد عليها أنها قد سمعته ولم ترفع عينًا إليه فى حين تبادل محمود النظرات مع طارق قبل أن يعيد النداء مرة أخرى بصوت أعلى .. سارة يا صغيرتى هل تسمعينى .

هزت سارة رأسها بالإيجاب دون أن ترفع عيناها إلى محمود الذى تابع .

هل رأيت ما حدث هنا يا سارة ؟؟

هزت سارة رأسها بالإيجاب مرة أخرى فأحس محمود بأنه قد توصل إلى الحل فسألها بلهفة : ما الذى حدث يا سارة ما الذى أفزع عائلتك لهذه الدرجة ؟؟

مطت شفتيها وهى تهز بكتفيها قائلة : لا أعرف .

بدت خيبة الأمل على وجه محمود فى حين نظر إليه طارق كما لو كان يقول له دعنى أحاول .

أشار محمود إلى طارق بيده كأنما يدعوه للمحاولة .

قال طارق بلهجـة حانيـة : صغيرتى .. ألم ترى شيئًا غريبًا أو سمعت شيئًا ؟

فكرت الصغيرة لحظة ثم قالت باقتضاب : لا .

كانت الخيبة بادية على طارق ومحمود وكأنما فقدا الأمل فى معرفة شىء من سارة .

وهمًا بالتحـدث مع بعضهما عنـدما تمتمت سارة بصوت طفولى .

لقد كانوا يصرخون بصـوت عالٍ .. وهو لا يحب الصراخ وينزعج من الصوت العالى .

بدت الدهشة على الاثنين فالتفتوا إلى سارة وتساءل محمود : من هذا ؟ من تقصدين ؟

رفعت سارة عينيها إلى محمود لأول مرة وهى تقول بنفس الأسلوب الطفولى والذى جمد أطراف محمود وطارق هذه المرة وهى تقول

الشيطان طبعًا .. من غيره ؟؟

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

لا يوجد خطأ هنا هذه المرة .

لقد مر محمود بهذا الموقف من قبل .. ليس مرة واحدة بل عدة مرات .

كان محمود واقفًا على إفريز الشرفة محاولاً حفظ توازنه يفكر فى صوت السيارات العالى الذى غطى على صوت رجاله الذين راح ذلك الشىء يسلخهم أحياء .

نعم صراخ رجاله .. تبًا كيف لم ينتبه لهذا .. أن باب الشرفة من النوع المنزلق من الزجاج القوى المضاد للكسر .. والعازل للصوت .

ما الذى يحدث ؟؟

فجأة انقطع صراخ الرجال .. حانت منه التفــاتة إلى الخلف ليرى ذلك الشىء منشغلاً فى ذبح وتمزيق رجاله الذين راحوا يصرخون .. ولكن صوتهم لم يعد يصل إليــه يبــدو أن وظيفة عزل الصوت صارت تعمل بكفاءة الآن بعدما اكتشف عقله هذا الخلل فى سيناريو الأحداث .

هل هو حلم .. كابوس لا يستطيع الفكاك منه ؟

كان يشعر بالخوف والبرد ويكاد يسقط من حالق لولا مجاهدته للاحتفاظ بتوازنه أنه يسمع ضجيج السيارات ويشاهد رجاله يذبحون ويمزقون .. مشاعر متعددة وتفاصيل كثيرة لا يمكن أن تختلق فى حلم .

كان الشىء قد انتهى من تمزيق الرجل الأخير فرفع عينيه إلى محمود بشراسة .

أدار محمود ظهره للشىء الذى راح يتقدم نحو باب الشرفة وقال محمود لنفسه .

حسنًا فلنذهب مباشرة للقطة الأخيرة .. فلو كان هذا كابوسًا أو حقيقة فأنا أريده أن ينتهى الآن .

وفى اللحظة التالية كان جسد محمود يحلق ساقطًا من الشرفة من الطابق السابع .

* * *

لدقيقة ظل محمود وطارق ينظران إلى سارة عاجزين عن الرد قبل أن ينفجر محمود فى الضحك فنظر إليه طارق مستنكرًا فقال محمود وهو يغالب ضحكاته : عذرًا يا دكتور طارق فلقد نسيت

www.dvd4arab.com

تمامًا أنها طفلة صغيرة ونحــن نقف كالحمقى منتظرين منها أن تحل لنا لغز القضية .

ثم أخذ يردد بسخرية : شيطان .. نعم بالتأكيد لم يفعلها أحد غير الشيطان .

قاطعه طارق قائلاً : نعم يا سيادة الرائد إنها طفلة لذا يجب أن نجاريها حتى نخرج منها بمعلومة تفيدنا فى هذا التحقيق .

قال محمود بنفاد صبر : تفضل جارها كما تريد أما أنا فلقد اكتفيت من هذا .

ابتسم طارق ابتسامة لطيفة وهو يتوجه بالحديث لسارة : إذن فالشيطان هو ما أفزعهم وأخافهم .

هزت سارة رأسها بالموافقة .. سألها طارق : وأنت هل رأيت هذا الشيطان ؟

جاءته هزة موافقة من رأس سارة فتابع : وأنت لم تخافى منه ؟

هزت رأسها بالنفى فعقد حاجبيه وهو يسأل : ولماذا لم تخافى منه ؟

سكتت سارة ثوانى قبل أن تجيب بهدوء : لأنه صديقى .

لا يعرف طارق ومحمود لماذا سرت تلك الرعشة فى جسديهما .. فرغم اقتناعهما أن ما ترويه سارة لن يعدو خيال أطفال إلا أن شيئًا فى حديثها كان مرعبًا .

قال محمود محاولاً التغلب على توتره : هل سنظل طوال الوقت نستمع إلى أكاذيب طفلة يا دكتور طارق ؟

كاد الدكتور طارق يجيبه بشىء ما حين اعتدلت سارة وقالت بصوت حاد :

أنا لست كاذبة .

ضيق محمود حاجبيه بغضب وهو يقول : بل أنت أكذب طفلة رأيتها طوال حياتي

احمر وجه سارة غضبًا وهى تقول : قلت لك لست كاذبة .. هذا ما كانت عائلتى يقــوله لى كلما حدثتهم عن صديقى وفى النهاية لم أجد حلاً سوى أن أريه لهم ولكنهم خافوا وفزعوا واندفعوا مذعورين يلقون بأنفسهم من الشرفة .

قال محمــود بلهجــة متحدية : حسنًا أنا أتحداك أن ترينى صديقك المزعوم هذا .

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم أضاف فى لهجة لاذعة : أيتها الكاذبة .

احمرت عينا سارة وانتفخت أوداجها وهى تقول : حسنًا .. لا تقل إنى لم أحذرك .

ثم وبهدوء مدت يدها التى تحمل الدمية الملفوفة بقطعة القماش إلى محمود وهى تتابع : ها هو ذا .

نظر محمود وطارق بغير فهم إلى ذلك الشىء الصغير والتى حملته سارة على كفها الأيمن ثم وبهدوء أزالت قطعة القماش التى تغطيه .

تراجع كل من محمود وطارق فى فزع ، وتوقف الرجال عما يفعلون وهم يراقبون ذلك الشىء .

كان أبشع شىء رآه محمود فى حياته كائن لا يزيد طوله وحجمه على حجم دمية صغيرة يشبه إلى حد كبير قردًا بشع الخلقة ومن رأسه الصغير خرج قرنان دقيقان وأيد وأرجل مخلبية وجسد مشعر وذيل طويل .. كان شيطانًا كما تخيلته أبشع خيالات البشر .

ولكن ما أثار ذعرهم أنه كان كائنًا حيًّا وليس دمية .. كائنًا يتحرك راح يدير عينيه فى الوجوه المحيطة به بفضول .

وبهدوء أنزلته سارة على الأرض وابتعدت عنه قليلاً وأمام عيون الرجال الذاهلة وخلافًا لكل قوانين الطبيعة .. راح ذلك الشىء يكبر ويتضخم .. وفى لحظات كان هذا الشىء قد أصبح فى حجم غوريلا ضخمة تكاد رأسه أن تلمس سقف غرفة المعيشة .

تراجع الرجال فى حين أخرج محمود سلاحه وصوبه تجاه ذلك الشىء وتبعه على ذلك رجاله الذين ملأ الذعر نفوسهم فراحوا يجيئون ويذهبون فى الشقة على غير هدى فى محاولة لحصار ذلك الشىء .

تحول صوت محمود إلى صراخ وهو يسأل طارق : ما هذا الشىء بالضبط يا دكتور طارق ؟؟

كان وجه طارق قد شحب حتى حاكى وجوه الموتى وهو يقول : لا أعرف أن هذا يخالف كل قوانين الطبيعة ويتعارض مع ثوابت العلم .

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم أخذ نفسًا وهو يقول : لا تفسير لدى إلا الوهم .

التفت إليه محمود باستنكار ويده لا تزال مصوبة المسدس إلى الشىء وقال صارخًا :

وهم .. أى وهم ؟؟ إن هــذا الشىء حقيقى جــدًّا لا يمكن أن تكون هذه مجرد خدعة .

كانت سارة طوال هــذا الوقت واقفًا بعيدًا وهى تضحك بجزل طفولى ثم قالت : لقد قلت لكم ولكنكم لم تصدقونى .

قال طارق وقد بدأ يفهم : نعم فهمت .. هذا وهم والطاقة التى تبعث هذا الوهم فى عقولنا ليست نابعة من الشقة .. وإنما نابعة من هذه الطفلة .. إنهــا تسيطر على عقولنا وتوهمنا بوجود هذا الشىء .

كان الشىء حتى الآن واقفًا وسط الغرفة وهو يراقب بعينين ملؤهما الفضول ما حوله ويراقب باستمتاع هذه المناقشات ولم يبد عليه أنه يهتم بكل هذه الأسلحة المصوبة إليه .

كانت نظراته المستفزة تدمــر أعصــاب الرجــال الذين كانت أعصابهم قد أصبحت مثل الوتر المشدود .. لا أحد يعلم من الذى أطلق الرصاصة الأولى .. ولكن دويها كان بمثابة إشارة البدء .

فى اللحظة الثانية كانت غرفة المعيشة قد تحولت لساحة حرب .. انطلقت جميع الأسلحة مستهدفة ذلك الشىء .

استمر إطلاق النــار لثلاثين ثانيــة أطلق خلالهــا عشرات الرصاصات حتى نفدت الذخيرة من خزانات الأسلحة .. كانت الأدخنة المتخلفة عن احتراق البارود قد صنعت غلالة رقيقة من الدخان راحت تعلو قرب سقف الغرفة .. أما الكائن فلم يبد عليه أن الأمر يعنيه .. لقد أصابته الرصاصات ولكن لا شىء حدث .. لقد بدا كما لو كان جسده قد احتوى الرصاص واحتجزه بداخله .

قال طارق بأنفاس منبهرة : كما قلت أنه وهم .. صورة لا حياة فيها لا أكثر وإلا لأبدى أى رد فعل حيال هذا الهجوم .

التفت إلى محمود ليجده شاحب الوجه ينظر إلى شىء ما خلف الشىء .. نظر الدكتور طارق حيث ينظر محمود ثم بهت وجف لعابه وأحس بالفزع .

لقد كانت سارة الطفلة الصغيرة ذات السنوات السبع ممددة على الأرض غارقة فى دمائها .

يبدو أن أحد الطلقات قد أصابها فى مقتل لتلقى مصرعها فى الحال .

Looloo
www.dvd4arab.com

قال طارق بصوت مبحوح : يا إلهى .. لقد قتلتم طفلة صغيرة .. يا إلهى .

ويبــدو أن الشىء قد فهم ما قاله الدكتور طارق فالتفت إلى الخلف بغضب ليجد سارة مضرجة فى دمائها .. وهنا انفجر ذلك الشىء .. انفجرت صرخاته المدوية كما لو كان وحشًا فجع بقتل أبنائه .

ثم التفت إلى الرجال بعينيه التى تحولت إلى اللون الأحمر القانى وعلى وجهه ارتسمت أعتى علامات الغضب والشراسة .

تراجع محمود إلى الخلف وهو يتساءل بذعر : إذا كانت الفتاة هى مصدر هذا الوهم يا دكتور فالفتاة قد ماتت .. إذن فما هذا بالضبط ؟

قال طارق الذى أصبح الآن لا يفهم شيئًا من شدة رعبه : لا أدرى ولكن هذا ليس وهمًا .. ليس وهمًا على الإطلاق .

فى اللحظة التالية انقض الشىء .. لا يمكن للكلمات أن تصف بالضبط ما حدث فى غرفة المعيشة تلك الليلة .. كان الشىء ينقض على الرجــل ليضربه ضربة تطيــح برأسه بضربة واحدة

أو يهوى بأنيابه على الأعناق ليحتزها وراحت مخالبه تقتلع الجلود من على أجساد أصحابها بلا هوادة أو رحمة .

راح الرجال يحاولون الفرار ولكن هيهات .. لقد كان ذلك الشىء يقطع عليهم طريق الهروب وكان يتحرك بسرعة خاطفة لم تعط لأحد فرصة حتى للاستنجاد .

تراجع محمود بذعر وهو يرى رجاله يتساقطون أشلاء واحدًا بعد الآخر .. فجأة اصطدم ظهره بباب الشرفة الزجاجى التفت إليه .. قام بفتحه بسرعة .. خرج إلى الشرفة .. رأى الدكتور طارق يحاول الوصول إليه ولكنه أغلق باب الشرفة خلفه بإحكام .. آسف يا دكتور طارق ولكنى بحاجة لكل لحظة الآن وسأحتاجك لتعطيل هذا الشىء بعض الوقت .

راح الدكتور طارق يطــرق باب الشرف ذا الزجاج المضاد للكسر ولكن هيهات فمن خلفه امتدت تلك اليد المخلبية التى أحاطت بعنقه لتنتزعه من أمام الباب إلى الوحش الذى راح يمارس مهمته الدامية .

راح محمود يجول بنظراته فى كل مكان باحثًا عن وسيلة للهرب .. ولكن للأسف فالبناية لم يكن يلاصقها بنايات أخرى ..

www.dvd4arab.com

كان الأمر واضحًا .. لا يوجد أى مهرب .. والباب الزجاجى لن يوقف الشىء الذى شارفت مهمته على الاكتمال .. هل هذه هى النهاية ؟؟ كانت نفس محمود تحدثه .. إذا كنت ستموت فلا تجعل ميتتك بتلك الطريقة البشعة .

رفع مسدسه أمام وجهه وأخذ يتفحصه بسرعة .. لقد نفدت ذخيرته ولم يعد ذا جدوى .

ألقى بمسدسه ثم نظر من الشرفة إلى الشارع الذى يبدو بعيدًا من هذا الارتفاع .. فكر لثانية ثم حســم أمــره .. صعد على الإفريز ونظر إلى ما أسفل قدمه .

الآن لم يعد لديه ذرة من الشك .

الآن أصبح شكه يقينًا .

هناك من يعبث به .. أو بالأصح يعبث بعقله .

نظر إلى الخلف إلى الشىء الذى انتهى من آخر ضحاياه ثم اتجه إلى باب الشرفة ورفع يده المخلبية ليهوى عليه ليتحطم بصوت مكتوم .

نعم .. نفس الشىء .. دائمًا نفس الشىء .. ودائمًا نفس النهاية .

اقترب الشىء من محمود مادًا يده إليه .

مد محمود رجله اليمنى وكأنما يتحسس بها الفراغ ثم .. قفز .

ولكنه لم يقفز إلى الخارج هذه المرة ..

لقد قفز عائدًا مرة أخرى إلى الشرفة ووقف باعتداد يواجه ذلك الشىء الذى توقف بدوره كما لو كان فوجئ بتلك الخطوة من محمود .

وبهدوء عجيب وثقة متناهية قال محمود : ألم يحن الوقت بعد لتواجهنى وجهًا لوجه ؟

أحس محمود أن كل شىء قد تجمد الشىء .. السيارات المارة حتى هواء الليل البارد .

فى اللحظة التالية بدأ كل شىء يهتز ويتموج ثم راح ينهار كما لو كان كل شىء مصنوعًا من رمال ناعمة هشة راحت تذروها رياح عاصفة المبانى والشوارع والشرفة كل شىء راح

Lootoo

يتناثر فى زوبعة الرمال تلك ثم راحت تتشكل مرة أخرى كما لو كانت تعيد بناء المنظومة بالكامل .. وجد محمود نفسه الآن واقفًا فى قاعة واسـعة امتـلأت بالمناضد التى استلقى عليها عشرات الجثث الآدمية .. يبدو أنها مشرحة ما .. حتى ملابسه الرسمية راحت تذوب وتتبدل لتصبح معطفًا أبيض حوى بطاقة تعريف صغيرة كتب عليهـا دكتور / محمود .. كل شىء تغير إلا ذلك الشىء الـذى ظـل واقفًا أمامه على بعد خطوة واحدة ولا زال فى ذات الوضعية مادًا يده كما لو كان يحاول القبض عليه بيديه .

قال محمود : ألم تكتف من هذا العبث بعد ؟؟

بدأت صورة الشىء تتغير كما لو كانت صورة يتم تغيرها بأحد خدع برامج الجرافيك ليتحول ذلك المسخ إلى شخص باسم هادئ الملامح .. كان هو نفسه الدكتور طارق .. عقد محمود حاجبيه وهو يسأل : أهو أنت ؟

ابتسم الدكتور طارق وهو يقول : بالطبع إنه أنا .. لقد أثبت أنك ذو عقلية فريدة يا سيد محمود .. عقلية لم أقابل مثلها من قبل .. أنت أول شخص يجبرنى على تغيير السيناريو لهذا وجدت أنه من اللائق أن أشرح لك الأمر بنفسى فأنت تستحق ذلك .

بدت الصرامة على وجه محمود وهو يحاول التركيز فى كلمات طارق الذى ابتسم قائلاً : هل تعلم من أنت يا سيد محمود ؟؟

بدت الحيرة على وجه محمود ولم يحر جوابًا فتابع طارق : بالطبع أنت لن تستطيع التذكـر لأننـا محونـا ذكرياتك وأفرغنا شخصيتك فأصبحت ما نريده نحن الرائد محمـود أو الدكتور محمـود أو أى شىء نريده فلقـد أصبحت فارغًا يا عزيزى سأشرح لك الأمر .

أنت تعلم بالطبع أن القانون يعاقب على الجرائم كل جريمة على حدة فلو أنك سرقت مرة فسيحكم عليك مرة ولو سرقت مرتين فسيحكم عليك مرتين وهكذا فى كل الجرائم أما القتل فله وضع خاص حيث إنك لا تستطيع أن تحكم على القاتل بالإعدام إلا مرة واحدة فقط حتى لو قتل ألف نفس .

ولكن ذلك لم يكن ليشفى غليـل عشرات الأسر من أهالى الضحايا والذين تمنوا لو ينتقموا من القاتل ألف مرة .

من هنا نبعت تلك الفكرة .. فكرة عقوبة الإعدام رعبًا .

بدت الدهشة على محمود فى حين تابع طارق : لقد كان مبتكرًا تلك الطريقة عالم اكتوى قلبه هو أيضًا بفقد ولده على يد سفاح قتل العشرات وحكم عليه بالإعدام مرة .

Loolo
www.dvd4arab.com

لذلك عكف على هذا الابتكار .. فهنا يتم معاقبة المجرمين فوق العادة الذين ارتكبوا جرائم لا يمكن أن ينساها المجتمع .. فنحن نقوم بتفريغ المجرم من ذكرياته ومشاعره ثم نقوم بملئه بما نريد ثم نقوم بوضعه فى سيناريو .. بالطبع سيناريو مرعب تم إعداده بدقة بناءً على دراسة الشخصية التى يتم ملء المجرم بها ودراسة سلوكه وتصرفاته يقوم هذا السيناريو على وضع الشخص فى موقف مرعب لا مفر منـــه إلا بالانتحار فيكون المجرم هو قاتل نفسه بنفسه ليتجرع نفس الكأس التى طالما سقى منها ضحاياه .. ولكننا نحرص على أن يتجرع رعب وألم الموت دون الوصول إلى درجة الموت ذاتها ثم ما يلبث البرنامج أن يقــوم بمحــو ذاكرته وإعــادة وتكرار السيناريو مرة أخرى وهكذا .

وإذا علمت أن أطول سيناريو لا يستغرق فى الحقيقة أكثر من أربع ثوان فهذا يعنى أنك ستتجرع الموت كل يوم ألف مرة ولأكون دقيقًا أقول 21600 مرة كل يوم .

ولك أن تتخيل مقدار الرعب والهلع الذى يتعرض له قلب المجرم الذى ينهار فى النهاية مهما كانت صلابته وبرود أعصابه .

أخذ محمود يستوعب تلك المعلومات وهو يتساءل : وأنا .. ما الذى فعلته ؟؟

قال طارق : منذ خمس سنوات ظهر قاتل متسلسل أثار الرعب والذعر فى الدولة طول تلك الفترة لم يكن هناك أسبوع يمر دون جريمة قتل وخصوصًا النساء والأطفال .. كانت الجرائم أبشع من أن يرتكبها إنسان وكان هذا السفاح يتمتع بذكاء خارق للمألوف لقد تلاعب بالشرطة طوال تلك المدة وعندما اكتشف أمره فى النهاية تكبدت الشرطة عشرات القتلى للقبض عليه لذا فقد أطلق الناس على هذا السفاح اسم ..

الشيطان ..

إنه أنت يا سيد محمود .. وأنا لى الشرف أن أكون جلادك .. أقصد مبرمج هذا السيناريو الذى تعيشه .

Looloo www.dvd4arab.com

ابتسم وهو يقول : كما قلت سابقًا أنا لم أر شخصًا استطاع الخروج من سيناريو أقــوم ببرمجته .. ولكن يبدو أنك عقلية مختلفة فريدة من نوعها .

عمومًا لا يهم سيتم الآن محو ذاكرتك وملؤها بهذه الشخصية والانتقال للسيناريو البديل وحظًا طيبًا مع الموتى الأحياء .

كان محمود يستمع لكل هذا صامتًا لا يعلق .. رفع عينيه إلى طارق وقال بهدوء : وهل سأتذكر حديثنا هذا ؟

قال طارق : لا .. ســيتم محــوها مع ذاكــرة الرائد محمود وعندما ينتهى حديثنا ستنخرط فى شخصيتك الجديدة .

ارتسمت ابتسامة على شفتى محمود وهو يقول بصوت كأنما يأتى من بئر عميق : انتظرنى يا سيد طارق وصدقنى فلن يدوم انتظارك طويلاً سنلتقى مجددًا ولكن هذه المرة ستكون فى الواقع .. وساعتها سيكون لنا حوار آخر .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى طارق وهو يقول : حظًا طيبًا مع المستحيل .

فى اللحظة التالية اختفى طارق .. نفض محمود رأسه وهو يقول لنفسه : أشعر أننى سمعت صوتًا ما .

ثم هز رأسه وهو يقول أى صوت يا محمود إنها مشرحة لا تحوى إلا الجثث .

ثم تقدم من أحد المناضد وتناول التقرير المرفق مع الجثة وأخذ يقرؤه

إنه ضابط شرطة انتحر قفزًا من الطابق السابع .. ترى لم ؟؟

مط شفتيه قبل أن يمد يده ليأخذ المبضع من طاولة الأدوات ثم كشف الجثة ..

وابتدأ العمل ..

* * *

نظر طارق من خلف زجاج الغرفة إلى جسد محمود المسجى والذى راحت عشرات الأســلاك تتصل به وراحت تنقل انفعالاته

Looloo www.dvd4arab.com

ووظائفه الحيوية إلى الأجهزة فى حين راحت جفونه تتحرك تلك الحركة السريعة والتى تدل على أن صاحبها يحلم .. ولكنها كانت حركة مستمرة دون انقطاع .

التفت إلى مساعدته متسائلاً : هل كل شىء على ما يرام ؟

أجابته : نعم يا سيدى .. إنه يقتل نفسه كل أربع ثوانٍ بانتظام منذ ما يزيد على الساعة .. ولكن ...

سألها بسرعة : ولكن ماذا ؟؟

أجابته : هناك شىء غريب فى هذا الرجل .. إنه يتعرض لموقف مرعب قتل فيه نفسه حوالى 900 مرة ولكن وعلى الرغم من هذا فإشاراته الحيوية منتظمة للغاية دقات قلبه منتظمة ضغط دمه طبيعى إنه يبدو كما لو كان ...

بدا كما لو كانت الكلمات تخونها فجمعت أفكارها وهى تقول : كما لو كان يمر بحلم جميل وليس كابوس قاتل .

بدت الدهشة على طارق وعاد ينظر إلى محمود الذى راح فى ثبات عميق وفى ذهنه تذكر كلمات محمود الأخيرة .

سنلتقى مجددًا ولكن هذه المرة ستكون فى الواقع .. وساعتها سيكون لنا حوار آخر .

وبالرغم من ثقته فيما يفعل .. وبالرغم من ثقته من استحالة خروج محمود من تلك الغيبوبة إلا أنه لم يستطع أن يمنع تلك الرجفة التى سرت فى بدنه

رجفة الرعب

الأخيرة كان محمود يتراجع بذعر إلى ركن القاعة فى حين راحت أجســاد الموتى التى قامت مــن على مناضد الفحص تحاصره من كل جانب .. رفع المبضع أمام وجهه وراح يوجه بضع ضربات للجثث التى راحت تتقدم منه كأنما لم يحدث لها شىء .

اقتربت الجثث مــن محمــود مادة بأيديها نحوه واستعدت للانقضاض الأخير .. لم يعد أمام محمود مهرب .. لا منجى من هذه الميتة البشعة إلا إذا .. ثم وبيد مرتجفة رفع المبضع إلى

Looloo
www.dvd4arab.com

عنقه وأغمض عينيه .. ثم غرس نصل المبضع فى طرف عنقه من الناحية اليسرى .

ورغم أنه يبــدو مرتعبًا إلا أن عقله فى تلك اللحظة كان هادئًا جدًّا وفى رأسه ترددت الأفكار .

حسنًا سأسايرك فى لعبتك يا طارق حتى أجد ثغرة .. ثغرة واحدة تمكننى من الخروج من هنا وساعتها ..

ورغم أن يده راحت تحــرك المبضع من الطرف الأيسر إلى الطرف الأيمن قاطعًا فى طريقه الأوردة والقصبة الهوائية .. إلا أن فمه فى تلك اللحظة ارتسمت عليه ابتسامة .. ابتسامة شيطان .

تمت بحمد الله

* * *

الفائز الثانى

حسام الدين عماد

وحيدًا أجلس ، وسط ظلام وعزلة اخترتهما بنفسى ، منتظرًا إياه يطرق بابى فى أى لحظة .. إنه قادم لا محالة ، لم يفلح كل ما فعلته فى منعه من الحضور .. لم تعد لدى القدرة حتى على القيــام بمحاولة أخيرة لصده .. قديمًا ، منذ سنوات ليست بالطويلة ولا بالقصيرة ، كان يمكننى فعل هذا أو المحاولة على الأقل ، أما الآن فلم تعد لدى القوة أو القدرة على مجرد التفكير .. فقدت الرغبة فى كل شىء ، صرت مستسلمًا تمامًا لما هو قادم لى ، أنتظر مجيئه وأتوقع فى أية ثانية وأية لحظة .. (جرين) كان محقًّا فيما قاله ، ليتنى صدقته ليلتها .. الموت ، يا لها من كلمة !

كنت أظن أن لدى القدرة على فعل كل شىء ، كنت أفعل كل شىء وأى شىء بالفعل حتى حدث ما حدث .. لم يعد يفيد الندم الآن ، فكل شىء قد انتهى ، وما هو قادم أمر محتم ولا سبيل

www.dvd4arab.com

لمنعه ، فلأستفد إذن مما تبقى لى من ساعات أو ربما أقل ، ولأحكى لك كل شىء منذ البداية .

ولأبدأ بتعريف نفسى أولاً .. أنا أقوى رجل فى العالم .. هذه حقيقة مؤكدة يعرفها العالم كله ويؤمن بها .. كلا ، لست أتمتع بقوة خارقة كـ (سوبرمان) أو أى مـن هـؤلاء الخارقين الخياليين لو جال هذا فى بالك ، وبالطبع لست رئيس (الولايات المتحدة) لو فكرت فى هذا ، ولكننى المتحكم فعليًا فى كل شىء .. حتى لحظتنا هذه .

الزمن الذى أعيش فيه لا يبعد كثيرًا عن زمنك ، ولكن العالم الذى أعيش فيه ليس هو العالم الذى تعرفه أنت .. لم يعد كذلك بعدما حدث ما حدث ، والذى كان السبب الرئيسى فيه هو أنا .

فى عالمك ، كل شىء يباع ويشترى ، الثرى يشترى ويبيع كل شىء وأى شىء ، والفقير لا يشترى بل ولا يجد حتى ما يبيعه .. عالمى لا يختلف فيه هذا ، وإن كان بصفة أكثر إفزاعًا ، فالأثرياء لديهم كل شىء ، والفقراء لا يملكون أى شىء .. فى عالمك مازال هناك الكثير ليباع ويشترى ، كل شىء بثمنه ، ومن يملك ثمنه يملكه حتى لو لم يكن يحتاجه ، ولكنها الطبيعة البشرية التى

تميل إلى الطمع فى كل شىء .. انظر جيدًا حولك وتأمل كل ما تملكه واسأل نفسك ، هل أنت حقًا بحاجة إلى كل هذا ؟

لن أخبرك بأننى أختلف عنك كثيرًا ، بل يمكنك القول أننى أتفوق عليك وعلى الجميع فى تلك النقطة .. أنا أملك كل شىء يمكنك تخيله ، طمعى لا حدود له ، أملك من القوة والسطوة ما لم يملكه أحد قبلى ، ولكن .. هل أفادنى هذا حقًا فى موقفى هذا ؟

فى عالمك ، لو أنك تملك المال الكافى ، يمكنك شراء أى شىء بلغته مقاييسكم .. هل تتخيل لو أنك تملك القدر الكافى ، سيمكنك شراء دولة كاملة من العالم الثالث ، كما فعلت أنا فى عالمى !

دعنى أطرح عليك عدة أسئلة : فى عالم ــ كعالمك ــ كيف تصبح أثرى أثريائه وأقوى أقويائه ؟.. ما الشىء الذى تملكه أنت ــ حصريًا ــ ولا يملكه غيرك أيًا كان ، والذى يمكنك بيعه ــ حصريًا أيضًا ــ لمن هو قـادر فقـط على دفع الثمن ؟.. ما الشىء الذى تتفوق فيه على الجميع ، فى زمن يستطيع فيه الجميع امتلاك أى شىء وكل شىء يريدونه ، ماداموا قادرين على الدفع ؟.. فكر معى ، أطلق لعقلك العنان للخيال ، ما تلك السلعة الفريدة التى يمكنها وضعك فوق الجميع ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

مـن المؤسـف أنك لا تملك الخيال اللازم يا صديقى ، فكل ما يجول فى بالك تقليدى أكثر من اللازم ، والجميع يعلمه بالفعل .. وهذا ما جعلنى أفوق الجميع .

أنا طرحت على نفسى هذه الأسئلة ، وأنا كان لدى الخيال الخصب ، وأنا وحدى وجدت الإجابة .

ماذا لو أمكننا بيع العمر ذاته ؟

* * *

كيف بدأ الأمر ؟.. طالما كنت طالبًا عبقريًا أثير إعجاب وانبهار أساتذتى .. كنت نهمًا للعلم ، نهمًا للمعرفة ، لم أكن أكتفى أبدًا بما أعرفه أو أتعلمه ، وأطلب المزيد والمزيد .. كنت أعلم أن بداخلى الكثير ، وأننى سأفعل شيئًا لم يفعله قبلى أى أحد .. هذا أعلمه وأثق فيه .. كنـت أحـد أبرع وأذكى علماء الجينات الشبان فى هذا الوقت .. بالطبع كنت عالمًا ، ماذا كنت تتوقعنى ؟

كنت أذكى من الجميع ، أشعر دائمًا أن مكانى ليس وسطهم ، بل فوقهم جميعًا .. أرجوك ، لا تخبرنى أننى مغرور ، فهذا شىء أعلمـه مسبقًا ، ولا يضايقنى البتـة .. العبقرية والغرور ــ فى رأيى ــ وجهان لنفس العملة ، لا يمكنك الفصل بينهما أبدًا

مهما حاولت .. اذكر لى عبقريًا واحدًا على مر التاريخ لم يكن يملك ولو قدرًا محدودًا من الغرور ؟

دعنا من هذه النقطة الآن ولنكمل حديثنا .. فى تلك الفترة كنت ممتلئًا بحماس لا أستطيع وصفه ، كنت أعلم أن تخصصى يفتح أمامى مجالات لا حدود لها .. كل شىء يقع فى الجينات .. الأمراض الوراثية ، الذكاء المتوارث ، القدرات الخارقة .. كل شىء .. فقط عليك أن تعلم أى جين يفعل ما تريده ، وعندما يمكنك التحكم فيه ، سيمكنك فعل كل شىء .

فما الذى فشل الجميع فى تحقيقه حتى الآن ، والذى يحلم به الجميع بلا استثناء ؟.. الشباب !.. حلم الأبدية ، الذى لا يفارق خيال الجميع منذ بدء الخليقة .. الكل يريد أن يحيا إلى الأبد ، لا أحد يريد الموت ، الكل يظن أن الحياة على الكوكب ستنتهى بموته ، ولكنه لا يريد ذلك للجنس البشرى البائس !

يقولون إن متوسط الأعمار قديمًا ــ قديمًا للغاية ــ كان يبلغ الألف عام !.. هل تتخيل هذا ؟.. هل تتخيل أن تحيا لألف عام ؟!.. لا أعلم تحديدًا ما كانت تضمه تلك العصور بالغة القدم من وسائل الترفيه ــ رغم أننى لا أتخيل حياة لألف عام بلا أى متعة ! ــ ولكن عصرك هذا وعصرى ذلك يحوى الكثير والكثير ..

Looloo

والعصور القادمة ستحوى الأكثر والأكثر ، فقط لو استطعنا بلوغها أحياءً !

لن أخبرك أننى أول من يفكر فى ذلك ، فالفكرة قديمة قدم التاريخ ، وعصرك والعصور التى سبقته ، حاول فيها عشرات ومئات العلماء تحقيق ذلك الحلم ، والوصول إلى عقار ، مشروب ، أو أى شىء من هذا القبيل والذى تراه فى الأفلام السخيفة وتقرؤه فى الكتب الأكثر سخافة ، والذى سيعيدك شابًا من جديد ، وتهنأ بحياة جديدة سعيدة !

هؤلاء حمقى ، أغبياء ، ولكن لا يمكن الإنكار أنهم كانوا شرارة الانطلاق لما هو قادم .. للجينات .. سلاح عصرك وعصرى .. ذلك الشىء المجهول الذى يضمه جسدك ، والذى لا تدرى إلا أقل القليل منـــه ، والذى إن نجحت فى فك شفرته والسيطرة عليه ، ملكت كل شىء .

ومن هذا المنطلق الجديد ، بدأ الكثيرون فى عصرك توجيه تفكيرهم لذلك الشىء الغامض المثير ، والبحث عن ذلك الكود ، عن الشفرة التى ستفتح جميع الأبواب المغلقة .. عن جينات الشيخوخة والشباب .

الكل حاول ، والكـــل فشـــل ، فالأمـــر لا يحتاج مجرد ذكاء وتكنولوجيا متطورة ، بل يحتاج لأكثر من ذلك .. يحتاج إلى نبوغ ، إلى عبقرية .. لهذا وجدت أنا ، ولهذا حققت أنا الحلم المستحيل ، ولهذا غيرت أنا كل شىء .. وإلى الأبد .

وكان هذا عندما اكتشفت (∞) .

* * *

أتذكر هذا اليوم جيدًا كما لو كان بالأمس .. شهور طويلة من الأبحاث والتجارب ، أسابيع طويلة من المناقشات مع الزملاء والجـــدال ، أيام طويلة من العمل الشاق وعدم النوم .. كنت مستعدًّا للتضحية بأى شىء من أجل الوصـــول إلى ما أريده .. وكنت أعلم أننى سأفعل فى النهاية ، أنها مسألة وقت فحسب .. حتى وصلت إليه أخيرًا .. وصلت إلى (∞) .

(∞) ، اللا مالانهايةَ ، ذلك الوصف الرياضى الأنيق الذى يصف بمنتهى الدقة .. اللا مالانهاية !.. لم أتحذلق بالطبع وأطلق على الجين اسمى ، لست بهذه التفاهة ، هذا الجين يستحق احترامًا

www.dvd4arab.com

أكبر من هذا ، يستحق اسمًا فريدًا يليق بما يمكنه فعله .. يليق بالأبدية .

لم أعلن عن اكتشافى إلا بعد بضعة أشهر ، كنت أريد أن أعلم أكثر وأكثر عن (∞) ، كيف يعمل ، كيف ، والأهم ، كيف يمكن التلاعب به والسيطرة عليه .. لم يكن الأمر سهلاً ولم يكن بسيطًا ، ولكن لم يكن هناك أى شىء فى الوجود قادرًا على إيقاف حماسى ، لذا رحت أعمل وأجرب وأبحث وأفشل وأنجح .. الآن يمكننى القول أننى استطعت ترويض (∞) ، وحان وقت إعلان مولده للعالم أجمع .

كان الأمر بمثابة قنبلة انفجرت فى العالم كله بمنتهى العنف ، بالطبع فى البداية اتهمنى البعض بالجنون ، وهذا حقهم ، فما وصلت إليه بسنوات عمرى القليلة ، لم يستطع أى منهم تحقيقه أو فلنقل الاقتراب من تحقيقـه حتى ، ولكـن الباقين ، بعد أن خرجوا من صدمة الذهول والانبهار ، انحنوا تقديرًا لعبقريتى .. كنت أعلم أننى سأرشح حتمًا لـ نوبل) هذا العام ، ولكننى لم أكن مهتمًا لو شئت الصراحة .. نلت ثروة لا بأس بها عادت علىّ من عدة تبرعات ومنحات وحقوق الدعايا وتلك الأشياء ،

ولكن هذه كانت مجرد البداية ، لم يكن هذا هو هدفى الرئيسى من كل هذا .. هدفى أكبر وأضخم من كل هذا .

هل تتذكر ما قلته فى البداية عن بيع السلع ؟.. (∞) هو سلعتى .. الكل أصبح يعرف ماهيته ، وأنا وحدى القادر على الاستفادة منه .. أنت لا تتصور بالطبع أننى أعلنت عن طرق التحكم به ، هل أنت ساذج ؟.. بين يدى أقوى أسلحة العصر ، وتتصور أننى سأتشارك بها مع الجميع ؟

كلا يا صديقى ، مخططاتى أكبر من هذا بكثير .. أكاد الآن أتخيل عنوان حملتى الدعائية الجديدة « ادفع أكثر تحيا أكثر » .. أنا مثل أى بائع ، مادمت تملك المال اللازم ، سأبيع لك ما تريد ، وتأكد أن سلعتى غير متواجدة إلا لدى وحدى .. سأمنحك أسبوعًا جديدًا من شبابك ، شهرًا ، سنة ، فقط لو استطعت تحمل تكاليف العملية التى لا تجرى إلا فى قلب معملى وحدى .

لن أعدك بالطبع بأنك لن تمـوت خلال تلك السنة ، فلست أنا المتحكم بالحـوادث أو الأمـراض التى يمكن أن تصاب بها ، ولكننى أعدك أنك لو تجاوزت كل هـذا بسلام ، فستنعم بشباب أطول بكثير مما تحلم به .. ما دمت قادرًا على الدفع بالطبع .

www.dvd4arab.com

صفنى بالقسوة ، صفنى بالوحشية ، صفنى بعدم الاكتراث بالبشرية وما يمكن لاكتشافى تحقيقه لها ، صفنى بكل ما تريده ، فأنا لا أكترث .. أنا لا أهتم إلا بى ، وبى وحدى .. هل تريد إقناعى أنك لو حققـت ما حققته أنا ، لما فعلـت ما أفعله ؟.. لا تحاول إذن التظاهر بما ليس فيك .

ثار الجميع علىّ بالطبع ، وقاموا باتهامى بكل ما اتهمتنى أنت به منذ قليل ، ولكن أتعلم مزية أنك تحيا فى (الولايات المتحدة) ؟.. يمكنك أن تفعل ما تريد وتخبرهم أن يذهبوا إلى الجحيم !

وكانت هـذه هى البـداية ، وكان علىّ الانتقال إلى المرحلة التالية فى مخططى .

* * *

أتذكر جيـدًا أول من قمنا بالتجربة عليه ، احترافيًا وإعلاميًا بالطبع .. إنه ذلك البليونير الروسى .. هل كان اسمه (يورى) أم (إيفان) ؟.. لا أتذكر على وجه الدقة ، ولكن اسمه الأخير كان ينتهى بشىء آخره (يتش) .. آه .. (إيفان فيديتش) ، الآن أتذكر الاسم .. (إيفان فيديتش) عميلنا الأول .

الرجل أحد أثرى أثرياء (روسيا) ، وورث ثروته الهائلة من والده ، الذى ـ حسبما تقول الإشاعات ـ كان يتاجر فى كل شىء وأى شىء ، بداية من المخدرات مرورًا بالدعارة وحتى تجارة الأسلحة ، مثله مثل عدد كبير من الأثرياء الروس ، الذين أفرزتهم نهاية القرن العشرين .. دعونا من هذا ، ولنركز فى (فيديتش) .. أتذكر جيدًا ذلك اليوم الذى جاءنا فيه رجل ضخم الجثة نارى الشعر تكاد البرودة تقفـز مـن عينيه ، أخبرنا بإنجليزية متشعبة باللكنة الروسية أنه موفد من قبل البليونير الروسى ، ويحمل معه رسالة موجهة إلىّ شخصيًا .. لم تحو الرسالة الكثير ، فقط طلب منه لرؤيتى على وجه السرعة ، بعدما ـ حسبما قالت البرقية ـ قرأ الكثير عنى وعن أبحاثى ، وأن هناك طائرة خاصة ستقلنى مع من أريد إلى قصره فى (موسكو) ، وختمها بأنه يحمل لى عرضًا لا يمكن رفضه .

لم أحتج سوى لدقائق عشر حتى عرفت كل ما أريد معرفته عن السيد (فيديتش) ، والفضل يعود للسيد Google بالطبع !.. هـذا رجـل فى نهاية الستينات ، يعانى فشـلاً كلويًا حادًا ، ولا يتوقع له الحياة أكثر من سنة واحدة على الأكثر .. الآن أفهم عرض السيد (فيديتش) جيدًا .

Looloo
www.dvd4arab.com

وصلنا ــ مساعدى وأنا وذو الشعر النارى ــ إلى قصر البليونير الروسى الضخم فى قلب (موسكو) مساء اليوم التالى .. مازلت أذكر ذلك الشتاء قارس البرودة الذى كنا نتجمد فيه ، رغم وسائل التدفئة المتطورة التى حوتها الطائرة الخاصة التى استقلناها من (الولايات المتحدة) ، والهليوكوبتر التى استقبلتنا فى المطار ، ونقلتنا إلى القصر مباشرة .

القصر بالغ الضخامة مترامى الأطراف ، يحتل وحده مساحة ما يقارب من الكيلومتر بالكامل .. الجليد يغطى كل شىء ، أحكمت ضم معطفى حول جسدى وأنا أعبر المسافة القصيرة بين مهبط الهليوكوبتر ومدخل القصر ، لأجد نفسى فى النهاية وسط قاعة هائلة ، حيث استقبلنا رجل أنيق ذو ابتسامة باردة قائلاً :

« السيد (إيفان) فى انتظاركم .. »

وصــعد بنــا إلى الطــابق الأعلى .. عنــدما ينجح ما أفعله ــ وسينجح ــ سيكون لى مثل هذا القصر وأكبر .. هذا وعد منى .

استقبلنا الرجل فى غرفته الواسعة راقدًا فى فراشه .. شتان الفارق بين هذا الراقد أمامنا الآن ، وذلك الذى تحتل صوره

الضخمة جدران المكان .. تبادلت النظرات مع مساعدى ، هذا الرجل شبه ميت بالفعل ، ولن يكون بإمكاننا فعل الكثير له .

تحدث الرجل أخيرًا .. بلسان ثقيل وكلمات بطيئة قال :

« يسعدنى .. أنك .. لبيت الدعوة »

« هذا شرف لى سيد (فيديتش) »

بدبلوماسية شديدة قلتها ، وبعملية أشد أعقبتها :

« كيف يمكننا خدمتك سيد (فيديتش) ؟

كلمة واحدة قالها بلسانه الثقيل :

« الشباب »

« افتــرض أنك قــرأت ــ أو على عــلم ــ بطبيعــة أبحاثى وما وصلت إليه ــ حتى الآن ــ من نتائج »

اكتفى بإيماءة من رأسه المجهد ، فواصلت أنا بنفس نبرتى المحايدة :

Looloo
www.dvd4arab.com

« .. ســأكون صريحًا معك سيد (فيديتش) .. نسبة النجاح فى حالتك ليست كبيرة .. الواقع ـ ولتعذر صراحتى ووقاحتى ـ ليست مشجعة بالمرة .. لن يمكننا تقديم الكثير لك »

بلسان ثقيل :

« كم .. شهرًا ؟ »

« سنة .. اثنتان على الأكثر »

سعل بقوة ، فأسرع الأنيق بمسح قطرات الدماء المتناثرة من فيه .. دقائق قليلة مرت قبل أن يستعيد القدرة على الحديث :

« فقط ؟ »

« للأسف سيد (فيديتش) »

« ومتى .. نستطيع .. البدء ؟ »

« سأحتاج أولاً لرؤية كل الفحوصات الطبية الخاصة بك ، حتى أكون مستعدًا لكل شىء عند إجراء العملية .. أفترض أيضًا أن كل التجهيزات الطبية التى سأحتاجها يمكن تجهيزها هنا »

« بالطبع .. بالطبع »

« عظيم .. تبقت نقطة أخيرة .. الأتعاب ! »

« ســـ .. سأمنحك .. كل .. ما تريد »

ابتسامة كبيرة تلوح على شفتى وأنا أنظر إلى مساعدى المبتسم بدوره ..

« فى هذه الحالة ، يمكننا البدء سيد (فيديتش) »

« الآن ؟ »

« نعم .. الآن »

وبدأنا .

* * *

بعــد أسبوع واحد ، أسبوع واحد فحسب ، وأثناء الاجتماع الشهرى المعتاد لمجموعة شركات (فيديتش) الاستثمارية ، كل شىء يسير على ما يرام كالعادة فى السنوات الخمس الأخيرة .. السيد (فيكتور فاسيلى) نائب الرئيس التنفيذى يدير الاجتماع

Looloo
www.dvd4arab.com

كالعادة بمنتهى الصلف والعجرفة ، هذا حقه بالطبع ، أليس هو الرجل الأقوى فى المؤسسة حاليًا ؟

ثم فجأة .. باب القاعة يفتح على غير العادة ودون استئذان ، الجميع يلتفت إلى ذلك الـــذى جرؤ على فعل هذا فى حضور (فاسيلى) ، الذى انتابه الغضب الهادر .. الكل بدأ فى تخيل عقاب ذلك المتهور قبل حتى أن يلتفت نحوه ، ثم ..

« ماذا تناقشون اليوم ؟ »

الجميع يحدق بذهول وعدم تصديق فى ذلك الضخم الأصلع الممتلئ بالنشاط والذى تلمع عيناه فى قوة ، والذى يشبه إلى حد مدهش ذلك الرجل الذى تتوسط صورته الضخمة الجدار خلف مقعد السيد (فاسيلى) .

لقد كان هذا هو السيد (إيفان فيديتش) شخصيًا !

* * *

نحن فى عصر تسيطر عليه وسائل الاتصالات تمامًا ، لم يعد أى شىء يحدث فى أى مكان يمكن إخفاؤه بسهولة ، والطبيعة

البشرية تجعل الإنسان يميل ــ فى الغالب ــ للتباهى بما يعلمه أكثر عن غيره ، لذا كان من الطبيعى أن ينتقل ما حدث ــ بأدق التفاصيل تقريبًا ــ من (موسكو) إلى مختلف دول العالم ، وينتقل الذهول والانبهار من (روسيا) إلى العالم أجمع ، قبل حتى أن ينتهى اليوم .

كنت أعرف ما سيحدث بعدها .. ذهول وانبهار ثم تشكيك واتهام بالخداع ومحاولة تحقيق الشهرة العلمية الكاذبة .. إلخ .. المتتالية المعتادة .. أعرف كل هذا بل وأقرؤه فى صحف اليوم التالى ، فى مقعدى داخل طائرة (فيديتش) الخاصة التى تحملنا ــ مساعدى وأنا ــ إلى (الولايات المتحدة) .

لم يكف هاتفى عن الرنين طيلة الرحلة ، والكل يتساءل عما إذا كنت قد فعلت هذا حقًّا أم لا ، وطلبات للقاء من أكبر الصحف والبرامج التليفزيونية .. لم أشغل بالى بالرد على أى منهم ، وتركت ذلك لمساعدى ، وأنا أجـــرى اتصالات أخـــرى من أجل الخطوة القادمة ، مستثمرًا الملايين المئة التى حصلت عليها من (فيديتش) .. معمل جديد أضخم وأحدث ، عدد جديد من العلماء ينضـــمون إلى فريقى ، مسئولو دعـــاية على أكبر قـــدر من

www.dvd4arab.com

الاحترافية ، شركة جديدة باسمى تطرح أسهمها فى البورصة الأمريكية ، كل ذلك وأنا مسترخ فى مقعدى بالطائرة .. من قال أن الرحلة من (روسيا) إلى (الولايات المتحدة) طويلة ومملة ؟

أيقظنى مساعدى عند هبوط الطائرة .. لا أذكر كيف ولا متى نمت ، ولكن يبدو أننى كنت بحاجة إليه .. أخبرنى ونحن نستقل سيارة خاصة من المطار ، أن هناك لقاء تليفزيونيًا على الهواء مباشرة مع (مارتين ويلسون) ، أشهر الإعلاميين الأمريكيين فى تمام الثامنة مساءً .. عظيم عظيم ، هذا هو المطلوب فى مرحلتنا هذه .. كل شىء يسير كما أريد وكما خططت له بمنتهى الدقة ، حتى أننى طيلة اليوم السابق ، كنت منشغلاً بشراء حلة رسمية أنيقة ، تأهبًا للظهور فى أكبر البرامج التليفزيونية وأكثرها مشاهدة ، وإن لم أحدد أيها سأحضره .

حظيت بسويعات قليلة من النوم استعدت فيها نشاطى مجددًا ، وبت مستعدًّا لمواجهة العالم أجمع ، وتفجير قنبلتى الجديدة .

* * *

كنت أعلم أن اللقاء كان كالقنبلة فى الأوساط العلمية وغير العلمية ، وكنت أعلم أننا يجب أن نستغل تلك الضجة التى أحدثتها ، للوصول إلى ما أريد ، لذا فاليوم التالى وطوال ذلك الأسبوع ، بدأت مع فريق عملى الضخم فى التحرك على جميع الجبهات وفى نفس الوقت .. فريق الدعايا انطلق بحملاته الجديدة والمبتكرة فى كل مكان .. مزيد من الأسهم تم طرحها فى البورصة .. فريق العلماء واصلوا أبحاثى ، تحت إشرافى شخصيًا ، فلم أنس بالطبع أننى عالم فى الأساس .. أكاد أقسم أننى لم أتذوق النوم طيلة هذا الأسبوع سوى لسويعات محدودة للغاية ، ولكننى كنت ممتلئ بالحماس والثقة وأعلم أن الأمر يستحق ، وأننى قادر على فعلها .

حققنا الكثير ذلك الأسبوع ، الكثير جدًّا لو شئنا الدقة .. لآلاف المقالات والأحاديث نشرت عنا ، اسمنا صار أشهر من نار على علم فى كل مكان ، مئات بل آلاف الطلبـات انهالت علينا من الأثرياء والفقراء أيضًا من جميع أنحاء العالم ، أسهمنا واصلت ارتفاعها المطرد بقوة ، لم نحقق أى شىء جديد فى أبحاثنا بعد بالطبع ، ولكننا سنفعل بالتأكيد ، مسألة وقت فحسب

Looloo
www.dvd4arab.com

كنت أعرف الخطوة القادمة وأحضّر لها .. كنا نريد عميلاً جديدًا على أعلى مستوى ، ضربة جديدة قوية كفيلة بإخراس كل الألسنة المشككة فى الموضوع ، والقفــز بنا إلى القمــة .. قمة القمة .

ومن أفضل من (توم جوردن) نجم (هوليوود) الشهير ذى الخمسين عامًا لفعل هذا ؟

* * *

الأسبوع التالى ، كان (جوردن) يوقع بطولة فيلم (جيمس بوند) الجديد ، ومعه نرتفع نحن إلى القمة ، بكل ما تعنيه الكلمة من معان .

أسهمنا فى البورصة قفزت بين يوم وليلة إلى الذروة ، محققة أرقامًا غيــر معتــادة فى تاريخ البورصات العالمية .. نحن الآن .. رسميًا ــ كيان يساوى بليون دولار !.. وفى خلال أشهر أربعة فقط من ظهورنا !.. هذا .. هذا مذهل بحق .

كان الأمر يستحق احتفالاً ضخمًا ، وفى قصرى الجديد بالطبع .. الكل حضر احتفالاً بنجاحنا الساحق ، الصحافة والإعلام وكبار وأشهر نجوم ونجمات السينما والرياضيون .. الكل حضر .

كنت فى قمة وذروة نشاطى تلك الليلة ، أصافح هذا وأمازح ذاك !.. كنت منتشيًا ، قمة النشوة لو شئنا الدقة ، طيلة عمرى لم أجرب المخدرات أو الشراب إلى درجة السكر الشديد ، ولكن الليلة استثناءً ، فعلت كل شىء حلمت به قديمًا .. كنت فوق القمة بالمعنى الحرفى للتعبير .

لا أذكر متى نمت ــ أو فقدت الوعى ــ تلك الليلة ، ولكننى نهضت فى الصباح التالى بتثاقل ، لأفاجأ بصوت هادئ يقول :

« صباح الخير »

انتفضت فى مكانى ، وأنا أتطلع إلى ذلك الرجل الأنيق الوسيم الذى يجلس على مقعد وثير أمام فراشى مباشرة ، واضعًا ساقًا فوق الأخرى ، ويمسك فى يده كأس شراب .

قلت بصوت مبحوح :

Looloo
www.dvd4arab.com

« من .. من أنت ؟ »

أجابنى بنفس اللهجة الهادئة :

« (روبرت جرين) .. CIA »

« وماذا تريد منى ؟ »

نهض من مقعده وتناول جرعة من شرابه وقال :

« انهض أولاً وخذ دشًا باردًا لتفيق من أثار الأمس ، وتناول إفطارك المعتاد ، وبعدها سنتحدث .. »

لا أدرى لم طاوعته وفعلت كل ما قاله ، ثم جلسنا سويًا فى غرفة مكتبى وبدأنا فى الحديث .

لن أخبرك ما حدث فى لقائى بمستر (جرين) والذى استمر لما يقرب الساعة ، ولكن يكفى أن تعرف ما انتهى عليه .. نحن الآن تحت حماية الـ CIA شخصيًا .. رباه !.. هذا أعظم مما كنت أتخيل أو أتوقع بحق .

* * *

ملايين الطلبات انهالت علينا .. الكل يريد العودة شابًا مرة أخرى ، ولكن الكل لن ينال ما يريده بالطبع ، الأثرياء فقط والقـادرون تحديدًا على الدفـع ، هم وحدهم مـن سينالونه .. وليذهب الباقون إلى الجحيم !

هل تصدق أنهم أطلقوا علىّ فى الإعلام (الإله الجديد) ؟.. أنا لست إلهًا أبعث الحياة ، وأحدد من يحيى ومن يموت ـ ليس بصورة مباشرة على كل ـ ، أنا فقط أتلاعب فى جين الشيخوخة ، أزيد من فترة الشباب ، وأمنحك حياة جديدة أكثر طولاً وأكثر صحة ، مادمت تملك المال اللازم بالطبع .. ولكن بينى وبينك ، لن أنكر أن اللقب راق لى كثيرًا بالفعل وأرضى غرورى !.. الكثيرون ـ وخاصة المسلمين ـ هاجموه وهاجمونى بمنتهى العنف ، وطالبوا بمحاكمتى ، واصفيننى بالملحد !.. ولكن ، من يأبه بهم ؟.. فليذهبوا مع لقبهم إلى الجحيم ، ولأنعم أنا بلقبى الجديد ، الإله الجديد .. يا له من لقب !

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

توسعت قائمة عملائنا إلى أقصى حد ، ودخل المزيد دائرة اهتمامنا .. ذات يوم ، وأثناء إحدى لقاءاتى مع (جرين) ، أخبرنى أن هناك عميلاً خاصًا يهتم به رؤساءه وهو ، يريد بضــع سنوات إضافية .. أخبرنى أنه كهل تجاوز السبعين من عمره ببضع سنوات ، يحكم إحدى دول العالم الثالث و يجثم على أنفاس شعبه منذ أكثر من ثلاثين عام ، ولكنه أحد الأطراف بالغة الأهميــة فى المنطقــة ، وقيادته ــ (جرين) ــ تريد استمراره فى حكمه بضع سنوات أخرى ، فقلت وأنا أرتشف جرعة من شرابى :

« لن أستطيع منحه الكثير بحالته هذه .. ثلاث سنوات ، ربما أربع على أقصى حد .. »

قال وهو ينفث دخان سيجارته :

« أكثر من كافيين »

وأخبرنى ضاحكًا أن الرجل كان يعد لسنوات طويلة ويمهد ليرث حكمه ابنه الأكبر ، رغم أن تلك البلد يفترض أنها تتمتع بنظام ديموقراطى ، ولكن منذ ظهورى فى الساحة وما أقدمه من

فرصة لا تعوض ، فالرجل يريد المزيد ، فضحكت أنا الآخر وأنا أقول :

« مادام سيدفع الثمن ، فلنمنحه إذن ما يريده .. »

كانت هذه هى سياستى الواضحة .. ادفع أكثر تحيا أكثر .. هل هناك أكثر سهولة من هذا ؟

* * *

سنوات خمس مرت .. سنوات خمس حققنا فيها الكثير والكثير ، وعلى جميع الأصعدة ، مستفيدين الاستفادة القصوى من التكنولوجيا التى تتطور يومًا وراء الآخر ، والتى نحصل عليها قبل الجميع بالطبع .

العامان الأول والثانى لم نحقق تطورًا كبيرًا فى (∞) ، ولكننا نجحنا فى مد فترة الشباب شهرًا آخر .. نلت (نوبل) مرة أخرى لو كنت تتساءل ولكن .. من يهتم أصلاً ؟!

فى العام الثالث انضم لفريق علمائى اللا محدود عدة عباقرة جدد .. الكل يعمل بمنتهى الحماس لتحقيق المزيد ، والثروة تتزايد أكثر وأكثر .. قبل أن ينتهى العام كنا قد أضفنا ستة أشهر

Loolee
www.dvd4arab.com

جديدة ، دفعتنا لزيادة العمل بمجهود مضاعف فى العام الرابع ، لنحقق نقلة أخرى ضخمة .. عامان كاملان !

ولكن مع نهاية العام الخامس ، كنا قد وصلنا لقنبلة .. لأكثر مما كنا نطمح فيه هى هذه المرحلة .. عشرة أعوام !.. هل تصدق هذا ؟.. عشرة أعوام كاملة من الشباب !.. هل تتخيل أن تظل فى سن الخامسة أو السادسة والعشرين لعشرة أعوام كاملة ، قابلة للتجديد مادمت قادرًا على الدفع ؟!.. يا للروعة !.. لقد حققنا حلم البشرية .. الأبدية !.. وليس هذا فحسب ، لقد صرنا أيضًا كيانًا بأكثر من تريليون دولار !.. لقد صرت أغنى أغنياء التاريخ .. أغنى من (قارون) ذاته !.. أكاد أتشوق لمعرفة ما سنحققه فى السنوات الخمس القادمات .

الأمر يستحق احتفالاً جديدًا ، أليس كذلك ؟.. فلنحتفل إذن !

* * *

متى بدأت فى الشعور بالخطر ؟.. كان هذا عندما تعرضت لمحاولة الاغتيال الأولى .. الأولى بالطبع ، فقد تلتها محاولات أخرى ، ولكن الأولى دائمًا هى الأكثر تأثيرًا عليك .

عندما أتذكر ذلك اليوم ، أشعر بقشعريرة باردة تسرى فى جسدى كله ، وأكاد لا أصدق أننى نجوت .

لا أذكر الكثير من التفاصيل ، فالعلاج النفسى المكثف الذى خضعت له بعدها محا الكثير منها ، فقط أتذكر تفاصيل مشوهة .. أذكر ذلك الحى الفقير الذى ذهبت إليه من وراء (جرين) .. أذكر تلك العاهرة السمراء التى مارست معها الحب .. أذكر هذين الملتحيين اللذين اقتحما غرفتنا .. أذكر الوحشية التى بدت فى ملامحهما ، والفتاة تفر هاربة فزعة .. أذكر تلك الأسلحة التى أخذوا ينهالون بها فوقى .. أذكر صرخات ألمى وصيحاتهما بلغتهما التى لا أفهمها .. أذكر الهلع الذى أصابنى .. لم أكن أتوقع أن يحدث لى هذا .. ما يحدث وأراه فى الأفلام فقط ، لم أتخيل أبدًا أن أتعرض له على أرض الواقع .

أذكر أن النهــاية كانت على وشــك أن تحدث .. أذكر أننى أغمضت عينى مستسلمًا لمصيرى ، وأنا لا أفهم حرفًا واحدًا مما يقوله ذلك الرجل الذى يقرأ من ورقــة ما ، بينما الآخر يصوب سلاحه نحوى ، ثم ..

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم تمامًا كما يحدث فى الأفلام .. أتت النجدة فجأة من حيث لا أدرى .. رصاصات تنطلق وصرخات بالأمريكية وأخرى بتلك اللغة التى لا أفقه فيها شيئًا ، صرخات ألم تنطلق ودماء تغرقنى ، فأصرخ وأصرخ ، ثم أيد قوية تنزعنى من مكانى ، وشخص ما يعدو حاملاً إياى .. لابد أننى فقدت الوعى لحظتها ، لأننى أفقت ووجدت نفسى فى فراشى الوثير ، وحولى العديد من الأشخاص .. لوهلة لم أفهم ما يحدث ، ثم بدأت أستوعب الوجوه من حولى .. هؤلاء هم خدمى ، وهؤلاء صارمو الملامح رجال (جرين) .. لقد نجوت إذن .. لقد أنقذونى .

أذكر أنه بعد أقل من ساعة ، كنت أجلس مع (جرين) فى غرفة مكتبى ، وجسدى يواصل انتفاضه .. أذكر أنه كان يصرخ فى كيف خرجت بدون حراسة ، وأين ذهب عقلى لحظتها ، وأننى محظوظ لوصول رجاله إلىّ فى اللحظة الأخيرة .. كنت أعلم أنه محق فى ثورته هذه ، وأنا نفسى لا أدرى ماذا دهانى ساعتها .. قال لى بلهجة حاسمة قاطعة قاسية :

« لن تخرج ثانية إلا وسط طاقم حراسة مشدد .. هل تفهمنى ؟ »

هززت رأسى أن نعم ، أنا أساوى استثمارات بمليارات المليارات ، لذا فعليه الحفاظ على حياتى إلى آخر مدى .. مضت فترة من الصمت ثم سألته :

« من هم ؟ »

أجابنى متنهدًا :

« مجموعة أخرى من المتطرفين المسلمين .. لا أعرف متى سننتهى من هؤلاء الأوغاد إلى الأبد ! »

لم أعلق على عبارته ، وعاد الصمت يشملنا من جديد ، وإن بدأت أستعيد هدوئى رويدًا رويدًا .

* * *

كان يجب أن نحتفل بمرور خمسة عشر عامًا على البداية .. صحيح أننا لم نحقق الكثير فى السنوات الأخيرة ، ولم نستطع تعدى مرحلة السنوات العشرين بعد ، ولكن ثروتنا تضاعفت عشرات الأضعاف .. صرت أنا نفسى أعجز عن نطق الرقم الذى وصلت إليه !.. الحفل الجديد كان .. كان .. لا أجد الكلمة المناسبة لوصف ما أريده ، ولكن إذا كان بمكنك صنع مزيج من

Looloo www.dvd4arab.com

« مبهـرًا » و« مذهـلاً » و« لا يصـدق » فى كلمة واحدة ، فهى هـذه التى تصـف الحالة !.. الحفـل يذاع على الهـواء مباشرة وتنقله الشـبكات التليفزيونية التـابعة لى إلى جميع أنحاء العالم .. يجب أن يرى الجميع ، والجميع بلا استثناء هذا الحفل .. حفل الليلة يجب أن يخلد ويذكر للأجيـال القـادمة .. الأجيـال التى ـ لو سار الأمر كمـا هـو متوقع ـ سنعاصرها بالتأكيد !

كنت ممتلئًا بالنشاط والنشـوة ، المخـدرات والخمر صارا يلازماننى فى حالاتى هذه ، من جديد أنا فوق السحاب .. كم أعشق هذه الحالة !

« أنت مذهل هذه الليلة يا صغيرى ! »

وشعرت أننى أرغب فى المزيد والمزيد ، إلا أن باب الغرفة فتح بغتة ، فصرخت فى من اخترق خلوتى :

« هل أنت مجنون أيها .. ؟ »

« إنه أنا »

التفت حانقًا غاضبًا إلى (جرين) صائحًا :

« توقيت سيئ يا (جرين) »

لم يبد أنه سمعنى ، وهو يأمر المرأة بمغادرة الحجرة ، فلملمت ثيابها المتناثرة وغادرت ، بينما نهضت أنا غاضبًا وقلت وأنا أرتدى ملابسى :

« ماذا هناك ؟ »

لاحظت الآن أنه مخمـور وأنه يحـمل كأس شراب كبيرًا فى يده ، ولاحظت كذلك أنه يبدو مهمومًا كما لم أره من قبل ، فعدت أسأله :

« (جرين) ماذا هناك ؟ »

نظر إلىّ شاردًا ، وقال بعد برهة وكأنه يحادث شخصًا آخر :

« هل تقرأ الصحف أو تتابع نشرات التليفزيون ؟ »

« ماذا ؟! »

« هل تعلم أن نسبة الأثرياء فى السنوات الخمس الأخيرة فقط ، انخفضت إلى حد غير مسبوق ؟ »

Looloo www.dvd4arab.com

كنت عاجزًا عن استيعاب ما يريد قوله ، فكررت :

« ماذا ؟! »

واصل قائلاً :

« اطمئن ، مازلت أنت فى الصدارة منفردًا ، وبفارق أكبر من هائل عن أقرب المنافسين .. الواقع أنهم مقارنة بك فقراء للغاية ! »

جرع ما يحويه كأسه من شراب ، ثم اتجه إلى البار الكبير فى ركن الغرفة ، وصب لنفسه كأسًا أخرى ، وكدت أن أخبره بأنه يكفيه ما شربه ، ولكننى توقفت فى اللحظة الأخيرة .. قال بعد أن انتهى من صب الشراب :

« أتعلم المضحك فى الأمر ؟.. الفقراء يزيدون ويتكاثرون ، يحيون وينجبون ويموتون ، ثم يواصل أبناؤهم تكرار ما فعلوه بحذافيره ، بينما نحن نتابع دورة الحياة تلك بلا مبالاة ، مستمتعين بمشاهدة الراية تسلم من جيــل إلى آخر !.. إلا وتجد الأمر مضحكًا بالفعل ؟ »

قالها وهو يضحك بالفعل ، فاتجهت نحوه وحاولت نزع الكأس من يده ، ولكنه دفعنى بعيدًا عنه صائحًا :

« ابتعد عنى .. ابتعد »

« حسن حسن سأبتعد .. أريدك فقط أن تهدأ وتكف عن الشراب .. أنت لست على ما يرام .. »

صاح :

« ليس هذا من شأنك .. ليس من شأن أى أحد .. »

لقد جن الرجل ، لا أدرى كيف أتصرف معه .. من الأفضل أن أتوخى الحذر فى التعامل معه .. مرت فترة من الصمت ، قبل أن يقول هو :

« هل تعلم أن الفقراء يقتلون الأثرياء ، ظنًا منهم ــ الأغبياء ــ أن دمهم قادر على إعادة الشباب لهم بدورهم ؟ »

وضحك فى مرارة مكررًا :

« الأغبياء .. »

وألقى الكأس ليتحطم أرضًا بعنف وهو يصيح :

« كلهم يريدون الحياة إلى الأبد .. كلهم حمقى .. لا أحد يحيا إلى الأبد ، هذا كلام نخدع به الناس يا صديقى ، كلنا سنموت فى النهاية ، الآن أو بعد خمسين عامًا ، شئنا أم أبينا .. »

حاولت أن أتحلى بأكبر قدر من الهدوء وأنا أقول :

Looloo

« (جرين) أنت مخمور .. غادر الآن وعد إلى بيتك ، أنت بحاجة إلى الراحة .. »

نظر إلى بعينين خاويتين متسائلاً :

« أتظن هذا ؟ »

« نعم ، أظن هذا .. »

« سأرحل يا صديقى ، سأرحل .. ولكن فكر جيدًا فيما قلته .. »

ترنح وهو يغادر الغرفة ، فزفرت فى حنق متمتمًا :

« اللعنة .. اللعنة .. »

الأحمق أفسد على ليلتى بتفاهاته هذه .. ربما هذا هو الوقت المناسب ليتولى حمايتى شخص آخر غير (جرين) .. لم يعد بإمكانى الثقة فى هذا الأحمق مرة أخرى .. غدًا سأحادث قيادته فى هذا الموضوع .

* * *

كانت هذه آخر مرة أرى فيها (جرين) .. علمت فيما بعد أنه لقى مصرعه فى حادث سير ، أو هذا ما أعلنته قيادته ، وأنا لم أهتم بمعرفة الحقيقـــة ، فليذهب الرجــل إلى الجحيم ، لم أكن

شخصًا عاطفيًا .. ذهب (جرين) وأتى (ويليامسون) .. لم يكن يفرق كثيرًا عن (جرين) القديم ، هل كل عملاء الـ CIA يخرجون من نفس المصنع ؟.. أتعشم ألا ينتهى به المطاف سريعًا مثل زميله الراحل .

* * *

السنوات العشر التاليات كانوا مقلقين .. لم نستطع الوصول إلى المزيد ، السنوات العشرون مازالوا سنوات عشرين ، لم يزيدوا يومًا واحدًا .. صحيح أن هذا لم يخفض أرباحنا سنتًا واحدًا ، ولكنه يمثل خيبة أمل كبيرة لى شخصيًا كعالم .. كنت أتوقع أن نصل إلى خمسين عامًا قبل انتصاف هذا القرن ، فإذا بنا نقف حيثما بلغنا آخر مرة .. هذا لا يرضينى ، لا يشبع جوعى العلمى .. أريد المزيد .. المزيد .

كان هذا عندما أتانى ذلك العالم الشاب بفكرته الجديدة .. لا أعرف بالطبـــع هـــذا الفتى ، فلســـت أظنك تتخيـــل أن أحفظ الجيش الذى يعمل لدى ، ولكن المؤكد أننى لن أنساه هو تحديدًا بعد ذلك .

Looloo
www.dvd4arab.com

هذا الفتى عبقرى بحق ، ونظريته مدهشة .. كيف لم أفكر فيها من قبل ؟.. لو نجح ما يريد فعله ، فسنبلغ الخمسين عامًا دفعة واحدة !.. يا للروعة !

وافقته فورًا بالطبع ، ومنحته صلاحية لا حدود لها من مال وتكنولوجيا لتحويل نظريته إلى واقع ملموس .. سيستغرق هذا سنة أو اثنتين ، لا يهم .. ماذا تشكل سنتان بالنسبة لشباب يمتد إلى الأبد ؟.. هذا أشبه بعدة أسابيع بمقاييس عصرك .. أكاد أتخيل منذ الآن ما سيحدث حين نعلن هذا .. كم أتشوق لهذا اليوم !

ولم أعلم لحظتها أن هذه كانت هى بداية النهاية .

* * *

قبل أن ينتهى العام الثانى ، أعلن الشاب أنه فعلها !.. خمسون عامًا كاملة من الشباب دفعة واحدة !.. إنجاز جديد مذهل نحققه .. بالطبع منحت الفتى مكافأة بالغة السخاء ، المكافأة الأكبر فى التاريخ لو توخينا الدقة .. هذا الفتى عبقرى ، وأكاد أجزم أنه سيصير خليفتى يومًا ما فى المستقبل البعيد بالطبع ، فمازالت أمامى خمسون عامًا أخرى من الشباب أحياه !

حملاتنا الدعائية الجديدة حققت نجاحًا خرافيًا .. مازال الكل يسعى للشباب ويريد الحياة إلى الأبد .. فليحيا (∞) !

كففت منذ سنوات طويلة عن حساب ثروتى ، ماذا تفيد الثروة وأنا ــ حرفيًا ــ أملك كل شىء ؟.. سيخلدنى التاريخ كأقوى رجل عرفه هذا الكوكب .. هذا كان أقصى طموحى ، أى روعة تفوق هذا !

ولكننى كنت مخطئًا .. للمرة الأولى فى حياتى لا تسير الأمور كما خططت لها .. لم أكن أعلم أى كابوس ينتظرنى خلال السنوات القليلة التالية ، وليتنى عرفته قبل حدوث ما حدث !

* * *

حدث هذا بعد منتصف القرن بثلاث سنوات .. ثلاث سنوات فحسب .. فوجئت بـ (ويليامسون) ذات يوم يقتحم غرفة مكتبى صائحًا :

« كارثة .. »

نظرت إليه فى تساؤل ، فصاح فى وجهى :

« ألا تتابع نشرات الأخبار أبدًا ؟ »

Looloo
www.dvd4arab.com

« إنها تصيبنى بالاكتئاب ! »

هتف بغيظ :

« من الأفضل إذن أن تبدأ فى اعتياده ! »

قالها وهو يقوم بتشغيل التليفزيون ثلاثى الأبعاد ، فتطلعت إليه بسأم ، قبل أن أبدأ فى الشعور بما قاله بالفعل .. بالكارثة .

سألخص لك ما يقوله ذلك التقرير التليفزيونى ، إنه باختصار يتحدث عن موت عشرة من أثرى أثرياء (أوروبا) خلال أسبوع واحد ، وموتتهم لم تكن طبيعية ، بل نتيجة لتدهور مرعب فى خلايا الجسد ، وأن ذلك قد استمر ما بين يوم وشهر .. لا تحتاج إلى الذكاء بالطبع ، لتعرف أن هؤلاء العشرة كانوا من عملائنا !

« كيف .. كيف حدث هذا ؟ »

صاح فى :

« هل تسألنى أنا ؟.. أنت العبقرى ! »

حاولت استعادة تماسكى وأنا أقول :

« ما حدث غير طبيعى بالمرة .. لم نشهد من قبل أى أعراض جانبية لــ (∞) ، وانهيار الخلايا بهذا الشكل وبهذه السرعة لا يمكن وصفه بالطبيعى أبدًا .. »

كان بالغ الانفعال شديد العصبية .. هتف بى :

« العالم كله منقلب عليك وعلينا .. يجب أن تجــد حلاً لهذه المشكلة .. »

« سننشر تكذيبًا رسميًا بكل ذلك .. »

« ومن سيصدقه ؟ »

هتفت فيه بغلظة :

« سيفعلون .. هل نسيت من أنا ؟ »

تطلع إلىَ فى توتر ، بينما أجرى أنا اتصالاتى للرد على ما حدث ، ولمعرفة سبب حدوثه .

هذا لا يمكن أن يحدث .. كل شىء سيعود كما كان .. أنا واثق من هذا .. كل شىء سيعود كما كان .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

ولكن الأمور زادت سوءًا .. نسبة الوفيات تضاعفت إلى حد مفزع .. أسهمنا شهدت تراجعًا غير مسبوق .. الجنون يعم العالم كله .. إنها أكبر صدمة واجهتنا منذ بدايتنا .. كيف حدث هذا ؟.. كيف حدث هذا ؟.. أكاد أجن .

جيش علمائى يحاولون حل تلك الكارثة .. لقد أدركنا أنها تتعلق بالتعديل الأخير فى (∞) .. التعديل الـذى أجراه ذلك الشاب العبقرى ، وقفـز بالشباب خمسين عامًا كاملة ، دون أن ندرى الكارثة التى ستحدث بعدها .

الكل يحاول الوصول إلى حل ، أى حل ، بلا فائدة .. لا يمكننا حتى القيام بعمليات جديدة للتعديلات قبل الأخيرة ، على من خاضوا عملية (∞) الأخيرة .. هؤلاء أصبحوا فى حكم الموتى ، لن تمضى بضعة أشهر ، سنة واحدة على الأكثر وتبدأ خلاياهم فى الانهيار ، ويموتون بأبشع طريقة ممكنة .

كل ذلك ، والفتى صاحب تلك الكارثة لا أثر له .

كنت أصرخ كل يوم وكل لحظة ، مع كل فشل نقابله فى تجاربنا لإيجاد حل الكارثة :

« أين ذلك الفتى ؟.. أين هو ؟ »

ولكنه كان قد اختفى تمامًا ، وكأنما لم يكن موجودًا !

* * *

بعد شهر كامل ، عثرنا عليه .. عثر عليه رجال (ويليامسون) مختبئًا فى أحد الأحياء المتواضعة فى (ميونيخ) .. لن أصف لك عملية جلبه إلى (الولايات المتحدة) ، ولا ما تعرض له من ضرب وتعذيب ، يكفى أن تعرف أنه وصل أخيرًا إلى قصرى ، وها هو ذا جالس على مقعـد ، مكبل اليدين والقدمين ، يمتلئ وجه بالكدمات والسحجات ، وكلها ــ كما قال لى (ويليامسون) ــ نتيجـة محاولتـه للمقـاومة .. ها هـو ذا أخيـرًا أمامى ، (ويليامسون) وأنا .

تطلعت إليه طويلاً ، لم يخش نظراتى الصارمة ، وواجهنى بنظـرات ثابتة .. سألته أخيرًا بغضب مكتوم ، وأنا أتمالك أعصابى بصعوبة :

« لمـاذا فعلـت هـذا ؟.. لمـاذا هربت ؟.. هـل كنت تتوقع ما سيحدث ؟ »

أجابنى ساخرًا بلهجة متهالكة :

Looloo
www.dvd4arab.com

« أتوقع ؟.. أتظن نفسك يا سيدى العبقرى الوحيد ؟.. لقد كنت (أعلم) ما سيحدث .. »

انفجرت فيه غاضبًا :

« لماذا فعلت هذا إذن ؟.. لماذا ؟ »

سعل بقوة ، فتناثرت قطرات دم من شفتيه .. قال بعد برهة من الصمت :

« هل تعرف كم وصلت نسبة الفقر فى العالم حاليًا ؟.. بالطبع لا تعرف ، أراهن أنك لا تتابع مـن الأخبار إلا ما يهمك منها فحسب .. لقد بلغت رقمًا قياسيًا يا سيدى ، رقمًا لم يسجله التاريخ من قبل .. نسبة الجريمة كذلك فى ارتفاع بشع مطرد ، والكل يتسابق لقتل بعضه البعض ، لشراء ما تبيعه .. »

صرخت فيه :

« وما شأنك أنت ؟.. هؤلاء نكرة ، لا يساوون شيئًا ، فليحترقوا أو فليذهبوا إلى الجحيم !.. أنت كنت منا .. لقد اعتبرتك تلميذى ! »

هتف فىَّ :

« هؤلاء أنا منهم يا سيدى !.. هؤلاء تربيت أنا وسطهم ، وكبرت بينهم .. هؤلاء هم من أحبونى وتمنوا رؤيتى أفضل منهم .. هؤلاء من دفعوا تكاليف دراساتى ، وكانوا أصحاب الفضل الأول فيما وصلت إليه .. هؤلاء لم ترحمهم أنت وكل من يعمل معك ، وأفنيتموهم بسطوتكم وجشعكم .. »

كان يرتجف مع كل كلمة يقولها ، ولم أنبس أنا ببنت شفة ، وأنا أستمع إليه مبهوتًا ، وأتبادل نظرات غير مفهومة مع (ويليامسون) .. عاد الشاب يتابع بنفس اللهجة المرتجفة :

« .. كنت أعلم أنا الآخر أننى عبقرى ، ربما ليس مثلك ، ولكننى عبقرى .. وكنت أتابع إنجازاتك الهائلة ، التى تتماشى بمنتهى الدقة مع تدهور العالم أكثر وأكثر .. كنت أعلم أنكم تسعون وراء هدف واحد ، عالم خال من الشوائب ، خال من الفقراء .. عالم لكم أنتم وحدكم .. وكنتم تسيرون بمنتهى الثبات والثقة نحو تحقيق ذلك بالفعل .. »

توقف لحظات ليلتقط أنفاسه .. لم أستطع النطق بأى شىء .. عاد يتابع بنفس الانفعال :

Looloo
www.dvd4arab.com

« .. لم تكن هناك طريقة لإيقافكم .. محاولات القتل فشلت .. أقنعتهم أن سلاح الرصاص لن يجدى معك .. كان يجب محاربتك بسلاح آخر .. نفس السلاح الذى استخدمته أنت وسيطرت على الجميع .. الجينات .. »

تزايد انفعاله أكثر وأكثر وهو يواصل :

« كنت أعلم أننى عبقرى ، وأننى من الطراز الذى يروق لك التعامل معه .. لذا صعدت بمنتهى السرعة ، ووصلت إلى الرأس الكبير .. إليك .. كنت أعلم أن تعديلى الذى لم أقم به بمفردى بالمناسبة ، قادر على إثارة انبهارك وجعلك تأمر بتحقيقه .. وهذا ما كنا نسعى إليه منذ البداية ! »

خرجت الكلمات بطيئة من فمى :

« من .. أنتم ؟ »

« نحن باقى العالم يا سيدى .. نحن الشوائب التى تسعى لإزاحتها .. نحن النكرة يا سيدى ! »

صرخت فيه بكل انفعالى :

« وكيف يمكننا تفادى ذلك ؟.. ما السبيل لعكس ما فعلته ؟ »

هز رأسه بقوة مجيبًا بقوة أيضًا :

« لا سبيل لذلك يا سيدى .. حتى أنا لا أستطيع فعلها خلال تلك الفترة القليــلة المتبقية .. الأمر يحتاج إلى سنوات ، سنوات طويلة .. وإلى عباقرة ، ليس واحدًا أو اثنين فحسب .. »

كنت فى قمة غضبى وثورتى ، ولم أدر بنفسى وأنا أنقض عليه وأضربه بمنتهى القسوة والوحشية ، فتعالت صرخات الألم منه ، فجذبنى (ويليامسون) بقوة ، لأعود إلى مكانى وأنا ألهث فى عنف ، بينما الشاب يلهث بدوره من فرط الألم ، ولم يمنعه ذلك من القول بلهجة شامتة :

« ستعود الأمور إلى نصابها الطبيعى بعد ذهابكم .. سيستغرق بناء كل شىء بعض الوقت ، عامين ، خمسة أعوام ، عشرة ، ولكن هذا لا يهم مادام سيحدث فى النهاية .. لقد أفسدتم عالمنا طيلة السنوات الماضية ، وهذا يكفى .. حان وقت رحيلكم ، فارحلوا إذن .. ولكن قبل أن تفعلوا ، ذوقوا بعض مما أذقتموه للناس .. تعذبوا قليلاً .. تعذبوا .. »

وكانت هذه هى آخر كلماته ، قبل موته .. تعذبوا .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

الأشهر التالية كانت عذاب بالفعل .. المئات ماتوا .. الأسهم انهارت .. الثورات اشتعلت فى كل مكان ، والحكومات بدأت فى الانهيار بدورها واحدة وراء الأخرى .. إنها النهاية .. النهاية التى لم أتوقع حدوثها ، حتى فى أسوأ كوابيسى .

* * *

لذا فهأنذا أقبع داخل قصرى ، بعد أن رحل الجميع وتركونى بمفردى .. أقبع وحيدًا فى الظلام ، منتظرًا النهاية التى ستأتينى فى أية لحظة ، ربما تأتى الآن ، ربما بعد سنة ، ربما عشرة .. هذا يعتمد على مدى قوة وثبات خلاياى .. هذا لو لم يظفر بى الفقراء أولاً .

أعلم الآن ـــ والآن فقط ـــ أننى كنت مخطئًا منذ البداية .. الأبدية عذاب .. الآن أرى ما أوصلنى له جشعى وغرورى .. كنت أريد عالمًا مثاليًا ، عالمًا لا توجد فيه تلك الطبقة المعدمة البائسة ذات اللا قيمة .. عالم لا يوجد فيه إلا نحن .. عالم أسيطر عليه وحدى .. فأنظر الآن لما حدث ، إلى العالم الذى صنعته أنا .

لقد كان (جرين) محقًا ، لا أحد يعيش للأبد .. كلنا سنموت شئنا أم أبينا .

هل تسمع معى هذه الخطوات الثقيلة التى تقترب من الغرفة ؟.. هل تسمع الضربات الثقيلة ، التى ينتفض لها الباب الضخم ؟

إنها النهاية إذن .

* * *

تمت بحمد الله

Looloo
www.dvd4arab.com

الفائز الثالث

صالح خيرت صالح عبد الحميد

مارس 2089

الخميس 10 مارس 2089 .. 6:00 م .. (عمرو) .....

تعال أنا منتظر ، أيها الموت .. صديقنا المولع بالمفاجآت ، أنا منتظر ... أيها الموت .. القاتل المتسلسل الذى يبهرنا دائمًا بالتوقيت والكيفية ،... فضحت ما أعددته لى وكشفت التوقيت والكيفية ، فالتوقيت هو الآن ، والكيفية هى رصاصة فى الرأس ، ها أنا كشفتك وها أنا أنتظر ... ولكن .. أنتظر ...!!

ها أنت تمارس ولعك ببراعة هذه المرة أيضًا ، فقد فاجأتنى بعدم مجيئك ، فهاهم أصحاب الثياب البيضاء يجرون مبتعدين عن المكان ، هناك من يطاردهم ، هناك من يمطرهم بالرصاص ... يفك قيودى .. ينقذني ... أنه (رشاد) ، دائمًا ما يبهرنى هذا الرجل ، دائمًا ما يخالف كل التوقعات ، تراه بدينًا فتحسب أنه بطىء الحركة ، تراه مهلهل الملابس فتحسب أنه لا يهتم بالتفاصيل ، تراه ضيق العينين فتحسب أنه غبى ، ثم تدرك فى

النهاية كم أنت مخطئ ، وبعد درس قاسٍ تتعلم أن العين وحدها ليست كافية للحكم على الأشخاص ، جميع من تعاملوا معه أدركوا أن المظاهر خادعة ، أدركوا هذا بعد فوات الأوان ، اقترب منى وقال بصوته المرح :

ـ « عليك أن تصمد أكثر ، لم يبق إلا القليل .. »

كان على حق ، فقد قطعنا شوطًا كبيرًا وإقصاء أحدنا قبل نهايته ستمثل خسارة فادحة ، قلت وأنا أشير إلى الباب الذى جرى إليه متشحى البياض :

ـ « أنه هناك ، هربوا فى هذا الاتجاه ليحموه .. »

لم يحتج لسماع قولى مرتين ، اتجه بثقة وثبات ناحية الباب الحديدى الضخم ، كل ما فى المكان هو حديدى ضخم ، من صمم هذا المكان كان يقيده قيدين لا يحيد عنهما : القوة والجمال ، هكذا ترى أن كل ما حولنا أملس ومصمت ومزدان بنقوش غريبة بارعة الجمال ، كل ما حولنا يصطبغ باللونين الأسود والأبيض ، وهما اللونان المميزان لشعار (الفرقة) ، أسود صافى كأنه امتص لتوه جميع ألوان الطيف ، وأبيض صافى كأنه طردها لتوه دون أن يترك منها ذرة تشوبه ...!! ويتراقص

الاثنان برشاقة دون أن يتعدى أحدهما حدود الآخر أو يلوثه ، كان الباب الذى يحاول (رشاد) فتحه ذا رتاج إلكترونى متقدم ، هذه تكنونوجيا لم نتعامل معها بعد ، فقد كانت مخبأة عنا منذ بداية ظهور (الفرقة) فى النصف الثانى من القرن الثانى والعشرين ، تاركين لنا ما ظنناه ذروة العلم وهو فى حقيقته مسلمات تافهة لم يعودوا يعلموها لأطفالهم فى مراحل تعليمهم الأولى ، محاولاتنا لفتحه لن تمثل إلا ضياع المزيد من الوقت وتعريض أنفسنا للخطر :

ــ « علينا البحث عن وسيلة أخرى للدخول ، فتحه عنوة أو محاولة فك شفرته لن يؤديا إلا لانفجار الطبقة الأولى منه ، أى أننا سنموت دون أن ننجح فى فتحه .. »

رفع حاجبيه وهز رأسه فى اهتمام مصطنع ، يفعل هذا عندما لا يعجبه الحديث ، قال بثقة :

ــ « الآن سترى ...!! »

ثم جذبنى من ذراعى حتى أتبعــه إلى الخلف ، كان يصيخ السمع وهو ينظر إلى الباب بترقب ، وقع أقدام تقترب ، صوت ضغط على أزرار الرتاج الإلكترونى ، وأخيرًا التكة المكتومة

المميزة لفتح الباب ، لابد أنهم عادوا مجددًا بعدما انضمت إليهم العديد من التعزيزات ، ارتفع الأدرينالين فى دمى واتخذت وقفة قتالية متحفزة ، تعال أنا منتظر ...

ضغطت على العلبة الصغيرة فى جيبى أتأكد من وجودها ، أنا منتظر ....

شعرت بالهواء قليلاً فى رئتاى فزادت سرعة أنفاسى ، أنا منتظر ...

ولكن انتظر ...!!!

السعادة تكاد تقفز من عين (رشاد) ، السعادة والثقة ، فهمت سبب ذلك عندما أطلت علينا (نورا) بملامحها الجميلة الحادة وشعرها الأسود من خلف الباب ، قالت بصوت قلق :

ــ « هل تأخرت عليكم ...؟ لقد سمعت صوت طلقات نارية قادم من هنا ، هل أنتم بخير ...؟ »

لم تنتظر إجابتنا ، بل تنهدت بارتياح بعدما فحصتنا بعينها وتأكدت أن كل شىء على ما يرام ، لم أشأ أن أخبرها أننى كنت على وشك الموت بعدما قيدنى أصحاب الثياب البيضاء وهددونى

Loolo www.dvd4arab.com

برصاصة بين عينى لو لم أخبرهم بمكان الذاكرة البديلة ، ولم أشأ أيضًا أن أسألها عن الكيفية التى أتت بها من هذا الباب ، فأنا أعرف قواعد اللعبة التى يرسمها (رشاد) بعناية ، كل منا يعرف المطلوب منه وعليه أن ينفذه كما هو دون أن يحيط بأى تفاصيل أخرى ، وحده (رشاد) من يرى الأمور من أعلى فيُلم بكل التفاصيل إلمامًا تامًا ، وحده من يرى الصورة كاملة ، وهو الحق الذى منحناه إياه لكونه صاحب فكرة المقاومة ، هو ابتدع الفكرة وهو من عليه تنفيذها بالكيفية التى يريد ، كل ما فعلناه نحن هو أن منحناه موافقتنا .. وثقتنا ، عقصت (نورا) شعرها على هيئة ذيل حصان وقالت بحماس :

ـ « والآن ...؟ »

ابتسم (رشاد) لى ابتسامة خفيفة فهمت مغزاها على الفور ، أخبرنى سابقًا أن ما يميز (نورا) هو حماسها الكبير وحبها .. للكمال ، وها هى تثبت صدق كلامه ، لما رأتنا نبتسم قالت بحـــدة :

ـ « ماذا ...؟ »

ـ « لا شىء ، هيا بنا ، لا نمك الكثير من الوقت .. »

قالها (رشاد) ثم عبر الباب بجسده الضخم فتبعناه ، وجدنا أنفسنا فى ممر ضيق جدرانه مطلية بذات اللونين المميزين لكل ما .. ينتمى إلى الفرقة ، أفضى بنا الممر إلى قاعة دائرية واسعة هى ملتقى للعديد من الممرات الأخرى ، بها واجهة زجاجية ضخمة تظهر من خلفها الشوارع الخالية لمدينة (القاهرة) ، وفى منتصفها قبعت العديد من الأجهزة المعقدة التى لا تكف عن إصدار الصفير الحاد والوميض المتقطع ، دار (رشاد) بعينه فى المكان ثم قال بصوت مرتاب :

ـ « أهذا كل شىء ...؟ »

ـ « وماذا كنت تتوقع ...؟ »

دوت الجملة الأخيرة فى القاعة بصوت لا ينتمى لأينا وبلكنة أجنبية ، ثم ظهرت صاحبة الصوت بطريقة مسرحية مفضوحة من خلف أحد الأجهزة الضخمة ، كانت تمتلك ملامح أوروبية ، شعر أشقر وعيون خضراء ووجه جميل مزدان بالحمرة ، أكملت جملتها قائلة :

ـ « هل كنت تتوقع أن ترى مسوخ آدمية تجرى تجارب على بعض رفاقك .. »

www.dvd4arab.com

قال (رشاد) بسخرية :

ـ « دينا شيرمان ...! إنى أراكى كذلك فعلا ، مسخ آدمى يختفى خلف قناع ، لكنى لم أتوقع الوصول إلى المكان الذى يدار فيه نشاط الفرقة بكل هذه السهولة .. »

عبست (نورا) فى وجهه تعنفه على قوله ، أيصف كل ما قمنا به للوصول إلى هنا بـ(كل هذه السهولة) ، قالت (دينا) :

ـ « لم يكن مقدرًا لأحد منكم الوصول إلى هنا ، لم يكن مقدرًا لأحد منكم التعامل مع أحد منا أو حتى رؤيته ، هذا هو شعار الفرقة ، اللونان الأبيض والأسود يتواجدان فى نفس الحيز لكنهما لا يختلطان أبدًا ، كذلك نحن وأنتم ، نعيش فى نفس المكان لكن لا نتقابل أبدًا ، هذه أهم قواعد الفرقة .. »

ـ « لكننا ضربنا بقواعدكم تلك عرض الحائط ، وها نحن نجحنا فى اختراقكم والوصول إلى وكركم .. »

عقدت (دينا) ما بين حاجبيها وقالت وهى تتصنع الفضول :

ـ « ولكن لماذا ...؟ ألم نحقق أحلامكم ...! ألم نجعل منك رغم بدانتك أشهر طيار تعرفه البلاد ، ورفيقك هذا .. ألم يكن

بفضلنا أصغر من حصل على جائزة نوبل فى العلوم ، وهذه .. إن الملايين يتوقون لرؤيتها ومتابعة أخبارها بعد حصولها على الأوسكار ....!!!! لقد حققت (الفرقة) أحلامكم ، وفى المقابل كان السعى لتحطيمنا هو طريقة تعبيركم عن عرفانكم بالجميل »

قال (رشاد) وهو يكظم غيظه :

ـ « لا تبدئى الحديث عن هذا ، تعرفين وأعرف ...! فلا داعى للادعاء .. »

قالت وقد بدا أنها اقتنعت بكلامه وقررت أن يكون حديثها أكثر عملية :

ـ « حسنًا .. لنكن واقعيين ، لقد نجحت فى فهم ما يحدث فاشتعل غضبك وفضولك ودفاعك إلى هنا ، حياتكم أنتم الثلاثة لن تعود أبدًا كما كانت بعد كل ما عرفتموه عنا وعن نشاطنا وأثره على حياتكم ، حتى لا أكون مخادعة ، دعونى أخبركم أن الخيـــارات المتاحة أمامكم لا تخرج عن اثنين ؛ إما أن تقبلوا بالأمر وتعودوا لممارسة حياتكم الطبيعية مع وعد منا بمحو أى ذكرى لديكم عن كل ما حدث ، أو أنكم لـــن تخرجوا من هذا المكان أبدًا .. »

Looloo
www.dvd4arab.com

أعقبت كلماتها بطقطقة من أصابعها برز على إثرها عشرات المسلحين من كل الممرات المحيطة بالقاعة ، الأمر على مجمله لا يشى بالخير ، أتمنى أن يكون لدى (رشاد) خطة بديلة تعالج موقفنا المتأزم ، قالت بغطرسة وقد تحول وجهها المزدان بالحمرة إلى وجه قبيح ملطخ بالاحمرار :

ــ « للمرة الأولى ستتاح لكم حرية الاختيار .. »

عاصفة من الأفكار والذكريات اجتاحت رأسى ، إنها تعرض على العودة إلى حياتى كعالم نابغ حاصل على جائزة نوبل فى العلوم ، لقد حققت الكثير والكثير من النجاحات ، ما قدمته للعالم صنع طفرات علمية هائلة نجحت فى جعل الحياة على ظهر هذا الكوكب أكثر سهولة ورقى ، ما قدمته للبشرية جعلنى الأشهر بين بنى جنسى ، جعلنى القدوة والمثل للشباب ومحط تقدير الرجال وإعجاب النساء ، ما قدمته للعالم يكفى لأن أقضى ما بقى من عمرى فى التنقل بين دول العالم للتكريم وإلقاء المحاضرات ، أأقبل عرضها ناسيًا كل الأسرار التى عرفتها عنهم وعن خداعهم لنا ، أم أضحى بكل هذا فى سبيل إفشاء هذه الأسرار ، أو ربما عدم التمكن من إفشائها ، أو حتى مبارحة هذا المكان وسط كل هؤلاء المسلحين ، عقلى يؤيد بكل قوة الخيار الأول ... النبوغ .. الشهرة .. المجد .. الثروة ....

ــ « وهل قطعنا كل هذا الطريق لنفاضل بين خيارات...؟! خيارنا اتخذناه فى اللحظة التى كشفنا فيها كل شىء .. »

فوجئت بلسانى ينطق بهذا وفوجئت بــ(نورا) تضربنى على كتفى وهى تقول بحماس :

ــ « لأول مرة منذ عرفتك تقول كلام له معنى .. »

مهلاً (نورا) ... ليس هذا كأفلامك السينمائية ، تتأزم الأمور قبل نهايتها ثم يأتى الانتصار مخالفًا لكل التوقعات تاركًا المجال للأبطال ليحتفلوا على طريقتهم ، بل هو واقع ، واقع تتوزع فيه الاحتمالات مناصفة بين الخير والشر ، وحده من يبذل المزيد من الجهد تكون له الرفعة على الآخر ، حرك (رشاد) فمه قائلاً بدون صوت :

ــ « البديل ...! »

فهمت مقصده ونفذت المطلوب على الفور ، أخرجت العلبة الصغيرة من جيبى وقذفتها له فى الهواء ، حدث كل شىء بعد هذا بسرعة كبيرة ، حتى إننى أكاد ألهث لمجرد روايته لكم ، قفز (رشاد) فى الهواء ليحصل بحركة مزدوجة على الذاكرة .. البديلة وليستقر بالقرب من أحد الأجهزة المعقدة ، ومن جهة أخــرى تطايرت مئات الرصاصات فى المكان بعد إشارة من يد

Loolde www.dvd4arab.com

(دينا) ، كان نصيب (رشاد) منها أربع على الأقل ، اخترقوا ظهره قبل أن يتوارى بسرعة خلف الجهاز ، فى اللحظة التالية مستغلاً الضجة التى حدثت فى المكان قمت بإلقاء قنبلة صاعقة محدودة شلت حركة كل ما هو حى فى محيط عشرة أمتار من انفجارها ، نظرت (نورا) إلى الملابس الخاصة التى نرتديها والمصممة خصيصًا لمقاومة هـذا النـــوع من القنابل ثم جرت بسرعة ناحية (رشاد) ، كان ملقى على الأرض وسط بركة من الدماء يجاهد لمعالجة اللوحـــة الرئيسية فى الجهـــاز وإيصالها بالذاكرة البديلة ، قامت البدلة الخاصة بحمايته وإن لم تفعل هذا كما كنت آمل ، ما يحاول فعله هو تغيير برمجة الجهاز وإرسال رسالة إلكترونية إلى كل الناس فى (مصر) تشرح لهم كل ما توصلنا إليه وتكشف لهم الخدعة القذرة التى يمارسها أعضاء الفرقة ، تبدلت نظرات (رشاد) من الألم إلى الخوف والترقب .. الذاكرة البديلة لا تعمل ...!!!

كانت بمثابة بلايين الخلايا الإلكترونية المعقدة دمجت معًا لتصنع ما يشبه عقلاً إلكترونيًّا متطورًا ، عقلاً قادرًا على الوصول لكل شخص فى العالم وإيقاظه من سباته ، لكنه الآن أصبح قطعة خردة لا نفع منها ، يا إلهى ...! إنها لا تعمل ...!

قالت (نورا) وهى تنظر إلى بلوم :

ـ « لقد أفسدته القنبلة الصاعقة » .

كانت على حق ، فهذا هو التفسير المنطقى الوحيد للعطل الذى أصابه ، تملكنى إحساس عارم من الشعور بالذنب ، هل ضاع كل ما فعلناه هباء من أجل خطأ غير مقصود ، ألن يكون هناك حل ...؟ أصبح عقلى فى سرعة السلحفاة ، الحل .. الحل ..! لابد من وجود حـــل ....

ـ « تأثير القنبلة يزول ... » .

هتفت (نورا) بالعبارة وهى تنظر خلفنا ، بدأ عدد غير قليل منهم فى تحريك أطرافهم لاستعادة السيطرة عليها ، يقفـــون ، يلتقطون أسلحتهم ، يصوبونها نحونا ... تعال .. أنا منتظر ... ولكن ...! انتظر ..!!!

نظرات الرعب اعتلت وجوههم ، الرعب والدهشة ...! لقد فعلها (رشاد) ...! لقد نجح فى إعادة برمجة الجهاز ، تعطلت الذاكرة ولكنها لم تفقد خصائصها كجهاز إلكتروبيولوجى بإمكانه نقل المعلومات من الخلايا الحية إلى الأجهزة الإلكترونية ، ولقد استخدم (رشاد) الذاكرة كقنطرة لنقل المعلومات من دماغه إلى

الجهاز فأعاد برمجته ونجح فى إرسال الرسالة ، لقد قام باستبدال الذاكرة البديلة ، استبدلها بخلايا مخه ...!

هذا يعنى شيئين ، لقد نجحنا ، ولقـد ضحى (رشاد) بنفسه من أجـل ذلك ، خلايا مخه لن تحتمل كل هــذا ، ستتهاوى.. وبسرعة ، لماذا يا (رشاد) ...؟ كنا سنتوصل إلى حل ، بالتأكيد كنا سنفعل ، قال بوهن وهو يبتسم ابتسامته الواثقة:

ـ « أرأيت ...؟ لقد فعلناها .. » .

ـ « نعم .. فعلناها .. » .

تجمدت أطرافه وخفت لمعان عينيه ، هل مات ...؟ هل هذا هو الموت ...؟! لم أدرك حجم تضحية (رشاد) إلا الآن ، لقد كان كتلة من المعجزات ، أعين ترى ، ولسان يتكلم ، وأرجل تسير ، وأيدى تسلم وتبطش ، وعقل يفكر ، وقلب ينبض ...!

ولقد ضحى بكل هذا من أجلنا ، أخرجتنى الحركة المحمومة فى المكان من سباتى ، كانوا يحاولون استعادة السيطرة على الموقف ، ويبدو أنهم كانــوا فى سبيلهم إلى ذلك ، حاولت و(نورا) منعهم ، إلا أن أسلحتهم المصوبة نحونا منعتنا من ذلك ، نظرت إلى (نورا) بقلق ، هل ستضيع تضحية (رشاد)

هباء ، رأيت ابتسامة (نــورا) تتسع ، فى الحقيقة لا أفهم ، ما مدعاة سعادتك يا (نورا) ...! هل فقدت عقلك ...؟ نظرت إلى حيث تنظر ، لا يوجد شىء ، لا ... انتظر ...

ها هم هناك ، يطلون علينا من نوافذ العمارات السكنية ، المئات منهم ، لا تظهر غير رؤوسهم ، وأعينهم اللامعة ترمقنا بدهشة وفضول ، كانوا فى البيوت .. الآن هم فى الشوارع .. يحيطون بالمبنى .. يقتحمون الأبواب .. يقتربون منا بخطى بطيئة .. يهرولون .. يجرون .. يا لغبـائى ..! وكنت أظن أن (نورا) فقدت عقلها ، الآن أفهم ، أراهم يبتسمون بسعادة ، أخيرًا أفهم ، يضحكون ، نعم أفهم ، أصيح فيهم :

ـ « تعالى أنا منتظر ، أيتها الحياة ، حبيبتى اللعوب .. التى لا تهب قلبها إلا بعد مناورات ومناورات ...

أيتها الحياة ، حبيبتى الحسناء .. التى تدرك أن حسنها لا يستحقه إلا من يستحق ... »

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

الأحد 6 مارس 2089 .. 10:00م .. (نورا)....

إنها الذروة ، ما سأفعله بعد ذلك لن يكون له معنى ، لن أفعل بعد الآن إلا تذكر هذه اللحظات ، كل هذه الثياب الأنيقة والوجوه الشفافة والعيون اللامعة تزيد المكان جمالاً فوق جماله فتصنع منه لوحة مستحيلة الوصف ، روائح عطرة وأضواء باهرة وموسيقى كأنها من عالم آخر تزرع الرقى فى روحك وتزكى الجموح فى نفسك لتخلق أحاسيس تكاد تتمزق من مدى تعارضها ، مثل هذه اللحظة لا تدركها إلا بكامل حواسك ، وربما تعجز حواسك عن الإلمام بكل التفاصيل ...

أما ما جعل الصهد يتصاعد من وجهى وجعلنى أكاد أتعثر فى خطاى هو أننى كنت محط اهتمام الجميع ، كنت أينما أسير تلتفت إلى الرؤوس وتنطلق الهمهمات فى أعقابى ، هذه الثقة التى تراها تغلفنى ما هى إلا قشرة رقيقة ليتها لا تتمزق عند أول كلمة أنطق بها ، فقد سمعت الكثير من « مبروك مقدمًا » ، « تهانينا يا آنسة » ، « لن تكون لغيرك فأنا أراها الآن بين يديك » ، ويكون ردّى الوحيد على كل هؤلاء هو ابتسامة مختزلة بدون كلمة واحدة ، الكلمات تفضح صاحبها لذا سأتركهم

ينخدعون فى هذه الواثقة صاحبة الفستان الأسود والابتسامة الرقيقة وليتحدثوا أكثر وأكثر عن ملكة الحفل حتى طلوع الفجر ، جلست على المقعد المخصص لى فى مواجهة المسرح وتابعت بحماس مفتعل العروض المبهرة التى يقدمها أشهر نجوم ونجمات العالم ، وتعززها أكثر تقنيات الأرض تطورًا ، حماسى الحقيقى سأوفره للحظتى الخاصة ، لحظتى التاريخية .... والتى حانت ... الآن ....

أرى على الشاشة العملاقة وجهى بين الوجوه الخمسة المرشحة للجائزة ، وخمس جميلات يقدمن نبذة مختصرة عن كل منا ، كلام كثير .... كلام فارغ .... هراء .... والمزيد من الهراء .... ثم .... صمت مهيب ، وظرف يفتح تتابعه ملايين العيون فى كل أنحاء العالم ، هذه هى اللحظة التى كنت أترقبها طوال الحفل ... بل طوال حياتى .. وأخيرًا ...

« نورا الوكيل »

يا إلهى ...! هل نطقت باسمى ...؟ أشعر كأننى أغوص وسط نظرات الجميع ، أغرق وسط تصفيقهم الحاد ، يا ربى ...!

Looloo
www.dvd4arab.com

هل حلمى يتحقق ...؟! هــل صرت أول عربية تحصل على الجائزة التى تراود أحلام أشهر نجوم العالم ...؟!

يا الله ...! لقد حصلت على الأوسكار ...!!

قدمى تحملنى دون أن أشعر بها ، أطوف فوق السلم المرمرى وأعتلى المسرح ، الكاميرات تنقل صورتى حول العالم وأنا أتسلم الجائزة بأعين متسعة وفم مفتوح ، ثقتى المفتعلة تركتها هناك على الكرسى ، والآن لم يبــق منى إلا نفسى الحقيقية بدون أى زيادات ملفقة ، نفس فتاة فى الخامسة والعشرين حققت أكبر وأعظم أحلام حياتها ، أستلم الجائزة بيد مرتعشة وأستعد لإلقاء الكلمة التى تدربت عليها طويلاً أمام جميع مرايا منزلى :

" I...I... I.. I mean... I....I....!!!!!!"

يا ربى ...! ماذا يا ذاكرتى ...؟ أين الكلمات التى ائتمنتك عليها ..؟ بل أين الإنجليزية التى وصلت درجة إجادتى لها إلى حد أننى كنت أفكر بها ...؟!! ضيعتى كل شىء ...؟!! حسنًا ... أنا قوية وبإمكانى الخروج من هــذا المأزق ، أتنفس بعمق ، أرسم ابتسامة عريضة على شفتاى ، أرفع الجائزة أمام وجهى وأنظر لها بثقة ، وأخيرًا أقول بالعربية وبصوت مرح :

ـ « نسيت الإنجليزية ، لا أصدق ، الحمد لله ، شكرًا لكم .. »

قبل أن أنهى جملتى نزلت الترجمة الفورية على شاشة العرض فزادت حدة التصفيق وارتفعت حرارة المكان حتى لم يعد أحد يجلس على كرسيه ، استمرت لحظتى الأسطورية لدقيقتين سيظل يحكى عنها العالم لأسابيع .

لا أتذكر الكثير عن اللحظات التالية ، حتى إننى بكيفية لا أعلمها أستلقى الآن فى فراشى ببيتى بالقاهرة ، بكسل شديد أتمطى وأنزل من الفراش وفى عقلى قرار انتويت تنفيذه ، أزحت إحدى الكتب التاريخية التى أطالعها من آن لآخــر مــن فوق مشغل الإسطوانات ثم ضغطت على زر التشغيل ، سأعيش هذه اللحظات الرائعة مجددًا ، وسأرى التفاصيل التى لم تلم حواسى بها وأنا وسط كل تلك الأضواء ، بدأ القرص عرض الحفل ، كل شىء هنا له بريق وإن عجزت الكاميرات عن نقله كما رأته عينى ، كما عجزت أيضًا عن نقل التفاصيل التى أغفلتها هناك ....

هناك خطأ ما ...!! لا أدرى ، لم يعرض القرص العروض التى كانت تقدم بين فقرات الحفل ، بل كان بدلاً منها تشويش مزعج وخلط لا معنى له ..!! هل هذا قرص يقدمونه لحاملة

Looloo
www.dvd4arab.com

الأوسكار...؟! لا يهم ، قدمت شريط العرض حتى وصلت للحظة إعلان الجوائز ، قررت وروحى فى حالة انتشاء أن أستمع إلى الكلمات التى سبقت اعتلائى للمسرح ، كنت متوترة آنذاك ولم أفقه منها حرفًا ، كانت ممثلة سمراء فاتنة هى من تتحدث :

ـ « وعنــدما يصــدر الأمــر إلى جلاديهم بإضرام النار... يعلو صراخهم وعويلهم ، وتتصاعد روائح شتى من أجسادهم فى الجو ... وكثيرًا ما كانت جسومهم تظهر وهى تحترق سوداء ، وتظل النيران مشتعلة ثلاث ساعات بلا انقطاع والشعب يرقص حولها والكهنة يسبحون !!! حتى تستحيل بقايا الحطب والجثث رمادًا .. فينصرف الملــك وحاشــيته تشيعهم دعوات الشعب وبركات ... (نورا الوكيل) ...!!!!!!! »

ما هذا ...؟ مزحة ...؟ ها ...؟! هل هذا حقيقى ...؟ هل قالت هذا حقًا ...؟ اتسعت عينى من الدهشة وغلا الدم فى عروقى من فرط إحساسى بالغباء ، لا أذكر شيئًا عن هذا ، ولا كلمة واحدة ، ربما كان هذا جزء من حوار أحد أفلامى ..؟!

لا ، كما لو أنه كان كذلك ، ما معنى وجوده فى تقديم حفل جوائز الأوسكار ، نظرت فى وجوه الحاضرين فلم أجد أى أثر

لوقع الكلمات عليهم ، ألم ينتبه أحدهم لما يقال ...! أعدت هذا الجزء مرة وراء مرة دون أن أستخلص منه أى معنى جديد أو أقلل من شعورى بالغباء ، ثلاث ساعات كاملة مرت وأنا أعيد مشاهدة الحفل أكثر من مرة بعد ضبطه فى وضعية التسريع ، وما رأيته جعلنى أفقد عقلى .....

* * *

الجمعة 4 مارس 2089 .. 9:30م .. (عمرو)....

الرياضيات ، الفيزياء ، الموسيقى ، الطب ، الأدب ، الفلسفة ، النحت ، اللغات ، الهندسة ، الفلك ، الرسم .....

كل هــذا وأكثــر ، جمعهم عقلى ومزج بينهم دون أن يرووا ظمأه أو يسدوا جوعه ، وصلت إلى مرحلة لم أعد معها أجهل أى شىء ، لا يوجد تجارب لم أجريها ، أو كتاب لم أقرأه ، أو فكرة لم تراودنِ ، أو حماقة لم أرتكبها ، فعلت كل شىء ، حتى لم يعد يبقى شىء ، جمعت جميع أسئلة الكون وأوجدت إجابة لكل ســؤال ، إلا سؤالاً واحــدًا ظــل يلح على باســتمرار .. وماذا بعــد ...؟ ما الذى سأفعله فى حياتى بعدما حققت كل أحلامى وفقدت كل دافع للحياة ..؟ بل وماذا بعد الحياة ...؟

Loolo www.dvd4arab

تمنيت أن أتمكن من إزالة الغطاء الكثيف الذى يحجب أحداث المستقبل لأعرف ما الذى سيحدث لى قبل موتى ، وبعد موتى ، ثم راودتنى تساؤلات كثيرة عن الموت ، قرأت الكثير والكثير فى محاولة يائسة لإشباع فضولى دون جدوى ، أكثر ما جذب انتباهى فيما قرأت هو ما يطلقون عليه تجربة الموت الوشيك التى تحدث لهؤلاء الذين اقتربوا بصورة كبيرة من الموت خلال إجراء العمليات الجراحية أو بعد وقوع الحوادث ، دائمًا ما يحتوى كلامهم على جملة (لا يوصف) ، يتكلمون عن نفق طويل فى نهايته ضوء أبيض غير ساطع ، وعن شعور مركز غير مسبوق من الســعادة والســلام أثناء لقائهم مع كائنات نورانية ..!! ثم يعودون ليقصُّوا علينا ما حدث وقد أصبح الموت لا يخيفهم بعد ذلك ، أن أعيش لحظة الموت ... هذه هى التجربة الوحيدة التى لم أخضها حتى الآن ..

كان يمكننى أن أكتفى بما قرأت خاصة وأن جميع روايات من عاشوا هذه اللحظة متشابهة إلى حد كبير ، لكنى لم أصدق حرفًا واحدًا ، ولو اجتمعوا جميعًا وأقسموا لى لن أصدق ، يجب أن أجرب بنفسى وأرى بعينى حتى أصدق ، هذا طبعى ولا أستطيع تغييره ، لهذا رسخ القرار فى عقلى ، وقررت تنفيذه ، سأجرب

بنفسى ، حتى أعرف ما الذى يقصدونه بجملة (لا يوصف) ، وحتى أعرف أكثر عن الشىء الوحيد الذى لم أجربه فى حياتى ، عن الموت ...

بقليل من الجهد أعددت جهاز بسيط سيفى بالغرض ، مهمته أن يوقف جميع عمليات جسمى الحيوية ، وقبل تعطلها إلى الأبد يعيد لها الحياة مرة أخرى ، اتكأت عليه قليلاً أفكر فى جدوى ما أفعله وفجأة اعتدلت عن اتكائى وقفزت فيه ، كل ما كنت أفكر فيه وأنا أفعل ذلك هو خوفى أن أجبن عن التجربة ، حماقة أخــرى ربما تقــدم الكثيــر للعلم ، حماقة أخــرى ربما تودى بحياتى ...

أدرت الجهاز وانتظرت ، أنفاسى تتسارع ... الآن سأقابله ... نسجنا حوله الحكايات ، وروينا عنه الأساطير ، لكن أحدًا على قيــد الحيــاة لم يقابله ، والآن سأقابله ، دقات قلبى تتباطأ وتتباطأ ... تسكن تمامًا ، مخلفة صمتًا مهيبًا لم أختبر مثله من قبــل ، غمرنى شــعور بالسلام والثقة حتى لم أعد أخشى شيئًا فى العالم ، أسقط فى نفق أسود ، أرى عند نهايته الضوء الأبيض غير الساطع ، وأخيرًا أراها .. الكائنات النورانية التى طالما تحدثوا عنها ، تمامًا كما وصفوها ، أجمل من أن تكون حقيقية ،

Looloo
www.dvd4arab.com

عند هذه النقطة بالتحديد كان يقرر الناس العودة ، ولكن هذا لا يكفينى ، لا يشبع فضولى ، لا يجيب عن السؤال الذى شغل بالى ليالى طويلة ، وماذا بعد ...؟

قررت المضى قدمًا لأرى بنفسى ماذا بعد ، تقدمت خطوة للأمام ، إلا أننى شعرت بقوة عظيمة تجذبنى للخلف ، لا ، لن أستسلم الآن ، لقد اقتربت كثيرًا منـــه ، لكن ليس إلى الحد الذى يمكننى من معرفته أكثر ، أقاوم ، وبكل قوة ، أتقدم بصعوبة وبطء ناحية تلك الكيانات النورانية ، أحاول اختراقها ، الالتحام معها ، ثم ...

كل شىء بعد هذا كان عجيبًا وغير منطقى ، فجأة شعرت بنفسى أسقط مرة أخرى ، لكن هذه المرة للأعلى ..! أرى حياتى كشريط يعرض أمامى ، ذكريات منسـية ، أشـياء لم أفعلها ، وأناس لم أقابلهم ، أو ربما فعلت فى حياة أخرى ، أو ربما سأفعلها فى المستقبل ..!!! لم أكن أحلم ، لقد كان هذا أكثر ما مررت به واقعية فى حياتى ، لقد انتقلت إلى مكان آخر ، أشعر بالخوف ، أحاول الصراخ ، لكنى لا أستطيع ، وكأنى أضعت صوتى مع الجلبة التى حدثت ، أشعر بالهواء يعاود ملأ رئتاى ، وأسمع دقات قلبى تدق بإصرار شديد ، هل عدت ...؟ لا ، لقد كنت فى مكان مختلف تمامًا ، مكان لم تطأه قدمى من قبل ....

* * *

الاثنين 7 مارس 2089..،7:30ص .. (نورا)....

لا يوجـد جديد ..!! لم يفتنى شىء ..!! وكأن عينى هى الكاميرا الوحيدة التى ترصد ما يحدث ، أخرجوا الحفل من منظور عينى أنا ...! ما معنى هــذا ...؟ طــال تفكيرى دون أن أجد أى تفسير لما يحدث ، وفجأة صدرت فرقعة مكتومة من مشغل الأسطوانات أعقبته شبكة من الشرارات وخيوط من الدخان ، لقد انفجر ...! ومن دون أى مقدمات ، تملكنى شعور مباغت بالوحدة ورغبة عارمة فى التحدث لأحدهم عله يزيل عن عينى بعض الغشاوة ، أمسكت بالهاتف وطلبت رقم صديقتى (سحر) لكننى لم أسمع الرنة المميزة لنقر أزرار الأرقام ، لم يكن هناك أرقام ...! هل أصاب عينى مكروه ...؟ غمرنى الخوف ، جريت ناحية الحاسوب ، حاولت محادثتها عبر صفحتها على الشبكة ، إلا أن الشبكة كانت معطلة ، وفجأة أصبح الهواء باردًا ولزجًا وانتشر الضباب فى كل مكان ..!! هل أهذى ..؟ لا ، لن أصير وحيدة ، لدى أشهر وجه على ظهر الأرض ، وملايين المعجبين ، مثلى والوحدة لا يجتمعان ، نزلت إلى الشارع أتوق إلى التفاف الناس حولى كما فى كل مرة ، لكن الشوارع كانت خالية ...! بوهن شديد سرت بلا هدف وأنا أشعر بصوت الدم

النابض فى أذنى من فرط الانفعال ، أبحث عن الناس الذين اختفوا فى وضح النهار دون أن يوصلنى بحثى لشىء ، لكن.. أنظر هناك ، لقد لمحتهم للتو ، ثلاثة أشخاص يرتدون ثياب بيضاء يعبرون الشارع ، اقتربت منهم بلهفة وأنا أدعى اللامبالاة قدر الإمكان !! لما أصبحت خلفهم مباشرة التفت أحدهم إلى فاعتلت الدهشة ملامحه وتسمر فى مكانه ، لحظة واحدة وكان ثلاثتهم يرمقوننى بدهشة كبيرة ، لم تكن النظرات التى يرموننى بها نظرات فضول أو إعجاب كما هى نظرات جمهورى ، بل كانت خليطًا من الغضب والاشمئزاز ..

قال أحدهم لرفاقه دون أن تنزلق عيناه عنى :

ــ « أنها منهم ...! لقد حدث هذا للمرة الثالثة خلال أسبوع واحد .. »

عبروا عن فهمهم لكلامه بإصدارهم همهمات غاضبة ، ثم وجدتهم يتجهون نحوى بسرعة ، فى اللحظة التالية كنت أجرى بكل قوتى وهم يلاحقوننى ، بذلت مجهود مضنى للابتعاد عنهم لكن هذا لم يكن كافيًا ، وصلت أيديهم إلى فتعثرت خطاى وسقطت على الأرض ، أحاطوا بى من كل اتجاه ، كان ما يعذبنى

فى تلك اللحظات هو جهلى لكل شىء ، ما الذى يحدث ...؟ وأين يحدث ...؟ ولماذا يحدث ...؟ يدنون منى ببطء و فى أيديهم أجسام معدنية غريبة وعلى وجوههم ابتسامات جذلة ، ثم...

حدث كل شىء بعد هذا بتتابع سريع ، تكور أحدهم على نفسه وانبطح الثانى على الأرض وطار الأخير فى الهواء....!!

* * *

الاثنين 7 مارس 2089 .. 7:30ص (رشاد)....

ما انتابنى هو نوع من الغضب الأصم الذى لا يعبر عن نفسه فى أى صورة ، لم أصرخ أو آتى حركة عنيفة أو فعل متهور ، فقط كنت أفكر فيما حدث محاولاً أن أحيط بالتفاصيل الكاملة عنه ، ومع كل اكتشاف جديد كان يتفاقم شعورى بالخيبة والإحباط ، هل كل هذا حقيقى ...؟ هل كنت موهومًا طوال هذه المدة ...؟ والناس فى مصر ...! ألم يكتشف أحدهم ما يحدث ...؟ لم يشك أحدهم فى الأمر ...؟

بعد عجزى عن الإجابة عن كل هذه التساؤلات أصبحت كمن تألم لدرجة لم يعد يشعر معها بالألم ، وهدانى عقلى المكلوم إلى الحل الوحيد الناجع فى كل وقت وزمان ... المقاومة ... لابد من

www.dvd4arab.com

المقاومة ، ولكن كيف وأنا وحدى لا يشاطرنى الحقيقة أحد ...؟ تذكرت حياتى السابقة وكيف كانت مشاكل الكرة الأرضية كلها لا تزعزع لى ثقة ولا تمثل أدنى معضلة ، كنت أبرع طيار على ظهر البسيطة ، قمت بالمهام الصعبة ونفذت المناورات المستحيلة ، وكنت أفخر دائمًا بأننى أرى الأشياء من أعلى فألم بأصغر التفاصيل ، حتى أصبحت زاوية عين الطائر نمط حياة أمارسه ببراعة ، تذكرت وشعرت بعمر كامل يفصل بينى وبين ذلك وليس مجرد أسبوع ، ثم سخرت من نفسى وأنبتها لهذا الحنين المفاجئ ، أتريدين استعادة تلك الحياة...؟! حسنًا .. أنا لا أريد ، بل أريد المقاومة ...

أعرف أنه كى أبدأ ما أنتويه على كبداية جمع كل المعلومات الممكنة عن (الفرقة) ، هكذا ترانى أتجول فى الشوارع الخالية أستنشق هواء الصباح الوليد الذى لم تعد أنفاس الناس تكسبه الحميمية والدفء ، أسير هنا وهناك على أمل التعثر فى أحد أعضاء الفرقة وتعقبه ، أسبوع كامل وأنا أتصيد الأخبار دون أن يساندنى حظى أو ينفــد صبرى ، وأخيرًا ابتسم القدر لى ، كانوا ثلاثة يسيرون فى الشارع بثقة ، شعرت أن الشوارع أصبحت ملكًا خالصًا لهم ، بل القاهرة كلها ، فطوال سيرهم لم يعترضهم

أحد أو يلوث أبيض ملابسهم شىء ، حسنًا ... هذه أيام ولت وبقدومى بــدأ عصر جديد ، عصر لن تسيروا فيه فى الشوارع بهذا الأمان والاطمئنان ، بل ستتلفتوا حولكم قبل كل خطوة ، وستقدموا خالص التهانى لمن يسير منكم خطوتين دون أن يجف دمه ، نقاء أبيضكم لن يدوم ، الأسود قادم ...! لقد بدأ عصر المقاومة..

فى هذه الساعة من الصباح لا بد أنهم يتجهون إلى مقر عملهم ، إلى وكر الفرقة ، قلبى يدق بعنف ، أخيرًا سأعرف من أين يدار كل هذا ، ولكن .. من هذه ...؟! من أين ظهرت ..؟ كانت حركتها تتفاوت ما بين العجلة والتأنى وكأنها تتصنع أحدهما !! اقتربت منهم إلى حد أدركوا معه وجودها ، التفتوا إليها وأخذوا يرمقونها بمزيج من الغضب والدهشة ، ثم أحاطوا بها من كل اتجاه ، يقتربون منها ببطء وقد أحكموا عليها الخناق وفى أيديهم أجسام معدنية صغيرة ، من طريقة إمساكهم بها أدركت أنها أسلحة ...

لا ترتدى ذلك الأبيض النقى ... مضطربة بصورة ملحوظة .. ويهاجمها أعضاء الفرقة ...!!!!

Looloo
www.dvd4arab.com

إنها مثلى ، لا يوجد تفسير آخر ،

عندما توصل عقلى لهذا الافتراض شعرت بفيض هائل من الطاقة يسرى فى عروقى ، وقبل أن يدركوا ما يحدث كانت قبضتى قد غاصت فى بطن الأول فتكور على نفسه ، وطارت قدمى لتركل الثانى فى ظهره فانبطح على الأرض ، ووجهت إلى الأخير لكمة طار على إثرها فى الهواء ، وقفت وسط الفوضى التى صنعتها وعقلى يحاول اللحاق بالمستجدات ومعرفة ما الذى ينبغى عمله ، لكن هذا كان مستحيل مع السؤال الذى أخذ يصم أذنى بالحاح شديد :

ــ « ما الذى يحدث ...؟ ما الذى يحدث ...؟ ما الذى يحدث ...؟ ما الذى يحدث ...؟ ما الذى يحدث ...؟ ما الذى يحدث ...؟ »

كانت الفتاة لا تكف عن ترديد هذا السؤال ، من الواضح أنها أصيبت بانهيار عصبى ، وجهت لها صفعة قوية أخرجتها من حالتها تلك وطبعت الذهول على ملامحها ، قالت وهى تكز على أسنانها وتلكم ذراعى :

ــ « هل فعلت ما أظنك فعلته ...؟ إلا تعرف من أنا ...؟ لقد جنيت على نفســـــــه .... »

لم تستطع إكمال تهديدها مع صوت صافرة الإنذار الذى دوى بكل عنف فى المكان ، يمكننى تخمين معنى ذلك ، لقد استنجد أحدهم بالفرقة ، ربما استخدم لهذا تلك الأجسام المعدنية فى أيديهم ، كان ثلاثتهم ينظرون لى بذعر شديد ، لقد أصبحت أمثل تهديدًا شديدًا لهم ، كان على مغادرة المكان بأقصى سرعة خاصة وأنا لا أعرف ما الذى ستستدعيه صافرة الإنذار ، جذبت الفتاة من ذراعها وجريت بكل سرعـــة ، ابتعـــدت عن المكان بقدر ما سمحت لى أنفاسى اللاهثة ومقاومة الفتاة لى ، قالت وهى تحرر ذراعها من قبضتى :

ــ « ماذا تفعل ...؟ هل تختطفنى ...؟ ما تفعله سيطلق العالم كله فى أعقابك ... ألا تعرف من أنا ...! »

ــ « فى الحقيقة لا أعرف ، ولكن يمكننى التخمين ... أنت أنجح وأسعد امرأة على وجه الأرض .....!!! »

قالت بتحـــد :

ــ « يمكنك قول هذا ، أنا (نورا الوكيل) يا مغفل ...! اسمى لا يترك قائمة العشرة الأكثر نجاحًا .. »

شعرت بنوع من الشفقة تجاهها :

Looloo
www.dvd4arab.com

— « أنت موهومة ، هنــاك الكثيــر من المستجدات طرأت وغيرت كل الأمور ، إن نجونا من هذا المأزق سأشرح لك كل شىء .. »

قالت بفضول :

— « كل شىء ...! هل تعنى أنك تفهم ما الذى يحدث ...؟ »

— « نعــم .. »

قبل أن أنهى إجابتى المقتضبة كنا قد حوصرنا من كل اتجاه بمجموعة من متشحى البياض ، كيف عرفوا مكاننا بهذه السرعة ...؟ هؤلاء القوم وصلوا إلى درجة عالية من التقــدم يبدو بجوارها مثل هــذا السؤال ساذج وبلا معنى ، لا يلوح أمامى أى سبيل للهرب ، حركة واحدة منى ويردوننى قتيلاً ، حركة واحدة ...

لكن يبدو أنهم لم ينتظروا هذه الحركة ، فقد فوجئت بقنبلة صغيرة تتدحرج وتسكن عند قدمى ، لقد قرروا التخلص منى بكل سرعة ، قرار صائب لو أردتم رأيى ، فقد كنت الخطر الوحيد الذى يتهددهم ، وكنت الوحيد الذى يفهم ...

* * *

الاثنين 7 مارس 2089 .. 7:30ص .. (عمرو)....

لقد سلبنى حظى الجيد حياة أكثر إثارة ..!! فلا أتذكر مشكلة واحدة حقيقية واجهتها فى حياتى ، لا مشاكل مادية ، لا خلافات شخصية ، لا تجارب معملية تنحرف عن مسارها المرسوم ، وكأن حسن الطالع يرعانى دون أن يتركنى لحظة واحدة ، متيحًا لى المجال لأفكر وأبتكر وأنتج بصورة أصبحت معها أمتلك أذكى وأنشط وأشهر عقل عرفه الكوكب ، حتى أضحت مخترعاتى فى كل معمل ومصنع وبيت تدر علىّ مبالغ طائلة ، وحصلت على كل الجوائز العلمية الرفيعــة التى سمعت عنها يومًا أو تلك التى لم تسمع عنها بجانب الجوائز التى ابتكرت خصيصًا لى ، وأصبح لى تلاميذ فى كل جامعات العالم يتبعوننى بلا كلل أينما ذهبت .

ولكن فى المقابل فقدت لذة الخطأ ، الإحباط الذى يتملكك عندما يضيع جهدك هباءً ، الشعور بالعجز عند الفشل مرة بعد مرة ، التعب وبذل الجهد فى محاولة أن تصير أفضل ، وأخيرًا السعادة والفخر إذا آتت مثابرتك أكلهــا ، معادلة مشاعرية رائعة تنتج منها الفخر من الإحباط ، معادلة مستحيلة إذا اقترن بها الحظ الجيد كعامل مساعد ، لهذا كان ما حدث هى المشكلة الأولى التى

www.dvd4arab.com

تواجهنى فى حياتى ، ولهذا كنت سعيدًا جـدًا لكونى لا أفهم !!

عدت ذلك اليوم بعد تجربة الموت الوشيك لأكتشف أن الحياة معطلة من حولى ، ووسائل الاتصال لا تعمل ، الأجهزة المنزلية أصبحت قطعًا من الخردة ، كل من أعرفهم اختفوا من الوجود ولم يعـد لهم أثر ، وفجأة أصبح الهواء باردًا ولزجًا وانتشر الضباب فى كل مكان ، هـذه مشكلة حقيقية يجب مواجهتها ، إثارة قدمها لى سوء الحظ الذى أقابله للمرة الأولى ، لم أضيع وقت ، نزلت إلى الشوارع لعلى أحصل على بعض المعلومات ، لكن بدلاً من ذلك ازداد الموقف غموضًا ، الشوارع خالية من الناس ومن أى مؤشر للحياة ، وكأن وباء خطيـرًا أو حربًا بيولوجية اندلعـت وأبادت كل الأحيـاء ، همت فى الشوارع بلا هدف حتى التقيت بهم ، كانوا مجموعة أشخاص يرتدون الأبيض ، اقتربت منهم وكلى أمل فى إرواء فضولى ، لكن ما حدث كان صدمة أخرى ...

يرمقوننى بكراهية وغضـب .. يلاحقـوننى فى الشوارع .. يحاصروننى فى إحدى البنايات المهجورة .. كان الأمل فى نجاتى صفرًا مع عددهم الكبير وأسلحتهم المتطورة التى لم أر مثلهـا من قبل ، إلا أننى لم أستسلم ، لن أخسـر أول تحـد حقيقى

أخوضه بهذه السهولة ، باستخدام بعض الأسلاك التى انتزعتها من الحوائط والدوائر الكهربائية وخبـرة كبيرة فى هذا المجال تمكنت من صنع ثلاث قنابل صاعقة محدودة فى أقل من عشرين دقيقة ، خرجت من المكان بثقة كبيرة وهم ينظرون لى بدهشة وغيظ دون أن يستطيع أحدهم أن يحرك ساكنًا أو يفهم سبب عدم قدرته على تحريك أطرافه !!

قامت القنبلة بما عليها على الوجه الأمثل وأخرجتنى من هذا المأزق ولكـن دون أن تغيـر صفتى كجاهل بكل ما يحدث ، استيقظت صباح اليوم التالى على صوت صافرة إنذار قوى أصم أذنى تبعته الكثير من الأبواق ، كان من الواضح أن أصحاب الثياب البيضاء يواجهون مشكلة كبيرة مع هرولتهم هكذا فى الشوارع بهذه الأعداد الضخمة والأسلحة الغريبة ، تبعتهم من بعيد ، كانوا فى أحد الشوارع يشكلون دائرة محكمة الإغلاق تضيق وتضيق ، وفى منتصفها شاب بدين وفتاة على ملامحها أعتى علامات عدم الفهم ، بدون سبب أعرفه شعرت أنه علىّ أن أساعدهما فى الخروج من مأزقهما بكل سرعة ، مع ملابسات الموقف والإمكانات المتوفرة لدى لم يكن أمامى إلا حل واحد فقط ، اقتربت إلى الحد الذى يسمح لى بذلك ، ثم قمت بإلقاء إحدى

Loolo www.liilas4arab.com

القنابل الصاعقة .. تمامًا فى المنتصف ، انفجرت القنبلة وشلت حركة الجميع ، وقبل أن يعاودوا السيطرة على أطرافهم كنت قد سحبت البدين والمندهشة مبتعدًا بهم عن أصحاب الأبيض قدر الإمكان ، كان اللقاء الأول بينى وبين (نورا) و(رشاد) ، كشف الأخيــر لى خلاله مشكلة حيــاتى ، مشكلة حقيقية من الصعب مجابهتهــا ، تمنيت حينهــا عــودة حظى الجيد ، ولو سيسلبنى حياة أكثر إثارة ، ولو سيسلبنى حياتى كلها ....

* * *

الاثنين 7 مارس 2089 .. 8:15 ص .. (رشاد)....

أن ترى طريقك وسط أكثر المتاهات تعقيدًا ، تدرك العلاقات المركبة بين الأشياء من الوهلة الأولى ، تعبر كل المعوقات أمامك دون جهد يذكر ، تتعدى بنظرك كل الضباب المحيط بك ، أن تفعل كل ما سبق ... فأنت تتخذ زاوية عين الطائر كنمط حياة !!

قديما أعطانى جدى أحجية وطلب منى حلها ، كانت الأحجية بسيطة فى ظاهرها ، عبارة عن تسع نقاط على أبعاد متساوية من بعضها يشكلون مربعًا وهميًا ، المطلــوب منى الإيصال بين هذه النقاط بحيث لا أمر على خط واحد من الخطوط التى صنعتها

مرتين ، حاولت حلها مرارًا دون أن أصل لشىء ، أيام وليالٍ غالبنى فضولى وغالبته دون أن أريحه أو أرتاح ، عدت إلى جدى معترفًا بعجزى وقلة حيلتى ، أمسك جدى بالقلم وقام بكل بساطة بالتوصيل ما بين النقاط دون أن يمر على خط من الخطوط التى صنعها أكثر من مرة ، عندما نظرت إلى ما صنعه وجدت أنه خرج بالخط خارج المربع الوهمى الذى تصنعه النقاط معًا ، وعندها أدركت أن فى الأمر خدعة ما فصحت محتجًا ، إلا أنه قابل احتجاجى بابتسامة ثقة وقال :

ــ « هذا ما كنت أريد تعليمك إياه ، عندما ترغب فى حل مشكلة تواجهك عليك أن تراها من الخارج دون أن تعتبر نفسك أحد معطياتها ، عليك أن تراها من فوق ، من زاوية عين الطائر ، خرجت خارج الخطوط فاستطعت حل الأحجية ، اخرج خارج المشكلة تستطع حلها .. »

وقد كانت بالضبط هذه هى الاستراتيجية التى اتبعتها طوال حياتى ، والسبب الرئيسى الذى جعل حلم عمرى أن أصبح طيارًا ، حتى أتمتع بقوة رؤية الحياة من أعلى ، نشوة أن تكون الوحيد الذى يفهم ، لكن مع وضعى الجديد بعد ظهور الفرقة فقدت كل

Loolooo
www.dvd4arab.com

هذا ، وأصبحت معطية من معطيات المشكلة ، أتفاعل معهم وأتأثر بهم ، أو هذا ما جال بذهنى عندما رأيت القنبلة تتدحرج على الأرض وتستقر تمامًا عند قدمى ، وعندما فقدت السيطرة على أطرافى وجرجرنى (عمرو) بعيدًا عن المكان ثم أخبرنى عن القنبلة الصاعقة وعن كونه عالمًا فذًا حاصلاً على (نوبل) فى العلوم ، لم أعد أتابع من أعلى وأتدخل من بعيد ، لقد أقحمت قسرًا فى الأحداث ، قالت (نورا) بحدة وقد أشعل غموض الموقف غضبها :

ـ « أحدكم يجذبنى من ذراعى ويجرى فى الشوارع والآخر يجرجرنى على الأرض ، ألا تعرفون من أنا ...! أنتم أكبر حمقى فى التاريخ ، اخترتم النهاية الأسوأ لحياتكم .. »

وجد (عمرو) فى كلامها وحدة لهجتها الكثير من الإهانة فلم يرد ، نظرت لها مؤنبًا :

ـ « لا تحتدى عليه ، لقد كان يساعدنا .. »

نظرت لى وقالت :

ـ « عالم نابغ حاصل على نوبل ... ها ...؟؟! »

لم أعرف بماذا أرد ، نظرت إلى (عمرو) فرفع حاجبيه أن نعم ، قلت لها :

ـ « يقول نعم .. »

ـ « ورغم ذلك لا أعرفه وهو الآخر لا يعرفنى ولم يرنى من قبل ... ها ...؟؟! »

لم أعرف بماذا أرد ، نظرت إلى (عمرو) فرفع حاجبيه أن لا ، قلت لها :

ـ « يقول لا »..

ـ « وما الذى يضمن لى أنكم تقولون الحقيقة ...؟ »

لم أعرف بماذا أرد ، نظرت إلى (عمرو) فرفع حاجبيه أن لا ضمان على ما أقول سوى الحدس لو أنك تملكين واحدًا ، قلت لهــا :

ـ « يقول لا ضمان على ما أقول سوى الحدس لو أنك تملكين واحدًا .. »

قالت بغيظ شديد :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ « وكيف تعرف أنت ماذا يقــول ...؟! إنه لا يفعــل شيئًا سوى رفع حاجبيه ...! »

لم أعرف بماذا أرد ، نظرت إلى (عمرو) فوجدته ينظر لى بغباء ، قلت لها :

ــ « ليس هذا موضوعنا الآن ، نحن معرضون لخطر محدق ، علينا الذهاب إلى مكان آمن بأسرع ما يمكن .. »

قالت (نورا) بوجه جامد الملامح :

ــ « ليس قبل أن تشرح لنا ما يحدث .. »

قال (عمرو) بحماس شديد :

ــ « أنت تفهم ما يحدث ...؟ »

حسنًا ، من حقهم أن يفهموا ما الذى أصاب حياتهم وأوصلهم إلى ما نحن عليه الآن ، أخذت نفسًا عميقًا وبدأت الشرح :

ــ « هؤلاء القوم ...! »

قالا بفضول :

ــ « ماذا ...؟ »

ــ « مرتدى الأبيض ...! »

قالا بغضب :

ــ « ماذا....؟! »

ــ « لقد سرقوا حيواتنا .. »

قالا يستوضحان الأمر :

ــ « ماذا ...؟ »

تعرفون ...! لا أعرف ما الذى لم يفهموه بالضبط ، قررت أن أشرح لهم كل شىء وأبلغهم بكل التفاصيل ، هم أرادوا ذلك ، هم طلبوه .....

* * *

(إحصائية) يناير 2009

ذكرت إحدى الإحصائيات أن حوالى من 2 إلى 4% من الأفراد يصرفون نصف وقت فراغهم بأحلام اليقظة . كما ذكرت بعض الدراســات بأن بعض الأفــراد يصرفون 10% من وقتهم فى تلك الأحلام . تكون هذه الأحلام عندما يريد الفرد حل مشكلة ،

www.dvd4arab.com

أو عندما يكون وحده ، أو يسير بالشارع ، أو يمارس عملاً يوميًّا كممارسة الحلاقة ، أو الجلوس بالحافلة ، أو البقـاء فى الحمام ، أو أداء الأعمال المنزلية ، خاصة تلك التى تتطلب الهدوء ...

جدير بالذكر أن أحلام اليقظة هى عبارة عن استجابات بديلة للاستجابات الواقعية فإذا لم يجد الفرد وسيلة لإشباع دوافعه فى الواقع فإنه قـد يحقق إشباعًا جزئيًّا عن طريق التخيل وأحلام اليقظة .

* * *

الخميس 16 / 9 / 2010 .. (موقع بص وطل) ....

أم بريطانية تتهم بالإهمال فى رعاية أولادها ، مع عدم تقديم الطعام المناسب لهم طوال الأشهر الستّ الماضية ، كما تركت كلبيها يموتان جوعًا خـلال نفس الفتـرة ، أحد الجيران هو من أنقذ الأولاد من براثن أمهم المهملة ، بعد أن لاحظ القذارة التى يصرخ منها كل ركن بالمنزل ؛ حيث وصل الإهمال بها إلى ترك كلابها حتى الموت جوعًا ؛ حتى أنها لم تكترث للأمر ؛ حيث لم تدفنها بل تركتها للتعفن داخل غرفة المعيشة ، الأرملة ــ ذات

الــ33 ربيعًا ــ كانت قد أدمنت لعبةSmall World ، التى تشهد صراع الأقزام والعمالقة ، للسيطرة على مكان صغير جدًا ؛ حيث اعترفت السيدة بممارستها لهذه اللعبة على مدار (22) ساعة يوميًا ، تاركة أولادها ومنزلها فى وضعية مُزرية للغاية من حيث النظافة تحديدًا .

هذا الحادث يعيد إلى الأذهان حادثة إهمال والدين من كوريا الجنوبية لرضيعهما حتى مات ؛ إذ فضّلا تنشئة طفلة افتراضية على الإنترنت ؛ مما دفع الحكومة الكورية لإقرار قانون ينظّم فترات استخدام الإنترنت ، ويمنع دخول الصغار لمواقع الألعاب أثناء ساعات الليل .

* * *

إعلان تليفزيونى صيف 2068 (الظهور الأول للفرقة) ....

بماذا تحلم ...؟!

تحلم بالطيران فى الفضاء ...؟ بقصر على المريخ ...؟ بحكم كوكب الزهرة ...؟!!

تحلم بالغوص فى الأعماق ...؟ اكتشاف مخلوقات جديدة ...؟ غزو مناطق بكر ...؟!!

Looloo www.dvd4arab.com

تحلم بالسفر عبر الزمن ...؟ العيش مع عظماء التاريخ ...؟ أن تكون أعظم عظماء التاريخ ...؟!!!!

الشهرة ؛ المجد ؛ الثروة ؛ النفوذ ......

مهما كان وضعك ، ومهما كان عمرك ، نحن نحقق لك أكثر أحلامك جنونًا ، وأكثر شطحاتك جموحًا ....

نحن الفرقة ، دع لخيالك العنان ، ودع لنا الباقى ......

* * *

الاثنين 7 مارس 2089 .. 10:00ص .. (رشاد)....

إنه من نوعية من لا يسلمون بحقيقة أن البحر غدار والثعلب ماكر والثعبان لا يؤتمن لمجرد أن الأسبقين أخبروه بذلك ، يجب أن يغدر به البحر ويمكر به الثعلب ويلدغه الثعبان حتى يقتنع بمثل هذه الأشياء ..!! أبى عقله أن يصدق ما أخبرته عن الفرقة ، أطرقت (نورا) قليلاً ورأيت فى عينها مقدمات تقبل الأمر ، أما هو فلا ، لقد تركت حياة (عمرو) السابقة كعالم نابغ الكثير من الترسبات فى عقله ، حيـاته كلها كانت قائمة على المشاهدة والتجربة ، ولن يصدق أبدًا ما حل بنا لمجرد أننى أخبرته بذلك ،

يجب أن يرى بعينه حتى يصدق ، هكذا اقتدته إلى أقرب منزل وأريته كل شىء ، الإهمال والفوضى والحالة المزرية فى كل ركن ، وأخيرًا الكبسولة البيضاوية القائمة بجوار أحد الجدران ، كانت موصولة بعـدد كبير مـن الكابلات الكهربائية وكابلات المعلومات ، خراطيم تدخل مواد غذائية وأخرى للأوكسجين ، نظر عبر النافذة الزجاجية الصغيرة فرأى جسد آدمى غارقًا فى الضباب البارد اللزج ، ظهرت الخيبة على ملامحه وقال بصوت مبحوح :

ـ « هو الآن فى عالم آخر ...! »

هززت رأسى مؤكدًا :

ـ « هو والملايين غيره ، كل منهم يعيش فى عالم آخر من صنع عقله..!! استغلت الفرقة هوس الناس بالعوالم الافتراضية على شبكة الإنترنت وإدمانهم لأحـلام اليقظة بعـد فشلهم فى تحقيق ذاتهم على أرض الواقع ، دمجت الاثنين معًا لتصنع هذه الكبسولة ، تكنولوجيا جديدة قادرة على جعلك تعيش فى عالم كامل من نسج خيالك ، عالم أنت فيه قوى وذكى وجميل ، بطل منتصر على كل الأعداء ، نابغ تنال ما تستحقه من رغد العيش

looloo www.dvd4arab.com

والتقدير والاحترام ، داخل هذه الكبسولة البيضاء لا يوجد عاشق منبوذ ، لا يوجد فقير محروم ، لا يوجد إلا السعداء الناجحون ، ببساطة شديدة داخل هذه الكبسولة يكون الناس على ما يريدوا أن يكونوا عليه .. »

سأل (عمرو) بصوت مرتجف وكأنه خائف من الإجابة :

ـ « هل تعنى أننى فى الحقيقة لست ما أنا عليه ، لست عالمًا فذًا قــدم الكثير والكثير للعلم والعالم ، لم أحصل على نوبل ، لا يتهافت النــاس لرؤيتى والســماع منى ، لســت فــاحش الثراء ...!! هل تقول إن كل هذا كان من صنع عقلى ، مجرد أحلام يقظة عشت فيها حتى النخاع ...؟! »

ـ « للأسف كل هذا حقيقى .. »

ـ « والمقابل ...؟ »

ـ « فى البداية طرحت كبسولة الأحلام فى الأسواق على أنها أداة من أدوات الترفيه التكنولوجية فى مقابل ثمن محدد ، بيعت كل الكمية المطروحة قافزة بمؤسسى الفرقة إلى القمــة ، حققت هذه الكبسولات نجاحًا باهرًا فى فترة قصيرة وأقبل الناس عليها بطريقة تفوق كل التوقعــات ، زاد هوس الناس بها إلى حد الإدمان ، فلم يعد الناس يخرجون منها إلا لتجديد الاشتراك ..

والتزود بما يقيم حياتهم من طعام وشراب زهيد ليحصلوا على أفخم أنواع الطعام والشراب داخل الكبسولة ، هذه الحالة زادت من أطماع الفرقة ووجهت تفكيرهم وجهة أخرى .. »

التصقت أعينهم بى بفضــول مــن يرغب فى سماع المزيد فأضفت :

ـ « حصلنا على كل الثروة الممكنة ، ولكن ما قيمتها إن كنا حصلنا على كل شىء ..؟ بإمكاننا فعل المزيد ..! بإمكاننا القفز لآلاف السنين من التطور ...!! »

لمعت عين (عمرو) وقد فهم ما أعنيه ، قال بترقب :

ـ « سرقوا حيواتنا ...! »

ـ « لم يعودوا يحصلوا منا على الأموال بعد ذلك ، أصبح المقابل هو تجاربنا وأفكارنا ..

ماذا لو وفروا لطبيب بارع كل الإمكانيات والتقنيات المتقدمة فى الطب ، ووفروا له حياة رغدة ، ومنحوه كل التشجيع والتكريم ، وبعد كل ذلك تركوا لعقله العنان ...؟ »

قال (عمرو) :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ « ربما يحدث تطورًا ملحوظًا فى علوم الطب .. »

ـ « وماذا لو وفروا هذه الإمكانات لملايين الأطباء...؟! »

قالت (نورا) بأعين متسعة :

ـ « ستحدث طفرات عملاقة فى هذا العلم .. »

قال (عمرو) بأسى :

ـ « ومثل هذا فى باقى فروع العلم ، لهذا السبب أزالوا جميع المشكلات من أمامى ، حتى أقدم لهم جميع أفكارى وابتكاراتى على طبق من ذهب ، فقفزت أفكارنا بهم لآلاف السنين من التطور بينما بقينا نحن فى مكاننا من دون أى تغيير .. »

ـ « بل ما هو أسوأ ، فى خضم انبهارنا بتكنولوجيتهم الجديدة وإدماننا لها ، وفى غفلة منا ، قاموا باحتجازنا داخل الكبسولات بعد أن زودوها بتلك الخراطيم الخاصة بالمواد الغذائية ، لهذا السبب تجد الشوارع خالية ، وأصبح احتلال بلادنا أسهل من أن يستخدموا أسلحتهم معنا ، قبع عدد صغير منهم فى بلادنا مع مهمة نقل تجاربنا وأفكارنا إلى بلادهم لينتفعوا بها كيفما شاءوا ، بينما نحن مغيبون عن واقعنا بعوالم كاملة من أحلام اليقظة ، ومحوا أى ذكرى لنا عن حياتنا السابقة وعن حقيقة وضعنا الذى وضعنا أنفسنا فيه ، حينها ظهر شعار الفرقة ،

أبيض وأسود لا يختلطان ، نحـن وهم ، نعيش فى نفس الحيز دون أن نكون ندًّا لهم أو نتفاعل معهم .. »

قال (عمرو) :

ـ « ولكن ما داموا بهذه البراعة .. ما الخلل الذى حدث فجعلنا نخرج خارج الكبسولات لنكتشف كل هذا ؟! »

شغلت هذه النقطة بالتحديد بالى لوقت طويل ، وتوصلت إلى سبب ذلك وإن كنت غير متأكد منه حتى الآن ، قلت له :

ـ « أعتقد أن الخلل يحدث عندما يتجاوز عقلك حدوده ، عندما تحاول الإجابة عن سؤال ما لا توجد إجابته فى عالم الكبسولة الافتراضى ، أو عندما تعود بذاكرتك إلى الخلف ، إلى عالم ما قبل ظهور الفرقة ، وهو عالم مطموس ، غير موجود حسب القاعدة الثانية للفرقة .. »

قال (عمرو) بانفعال :

ـ « يبدو هذا صحيحًا ، ما بعد الموت يتجاوز حدود أى عقل ، بشريًا كان أو إلكترونيًا ، لذا عندما قررت الخوض فى هذا الموضوع حدث الخلل وتعطلت الكبسولة .. »

Looloo
www.dvd4arab.com

ضربت (نورا) جبهتها بكف يدها وكأنها تذكرت شيئًا ما وقالت :

ــ « يا ربي ...! هذا صحيح ، لقد تذكرت أين قرأت الكلمات التى سبقت اعتلائى للمسرح ، كانت من أحد الكتب التاريخية ، كتاب عن محاكم التفتيش فى الأندلس ، لا أتذكر متى قرأت هذا الكتاب ، ولكن لا يبدو هذا لى قريبًا .. »

ــ « هذا يؤكد صدق ظنى ، الخلل يحدث عندما يحاول العقل الإحاطة بالغيبيات ، أو الغوص فى التاريخ .. »

قال (عمرو) بفضول :

ــ « وأنت ...؟ ما سبب الخلل الذى أعادك إلى هنا ...؟ »

ــ « دعنى أقول أننى كنت أريد أن أصنع فارقًا ، أن يدرك من يأتى بعدى أننى كنت هنا ، وأن يكون لى بصمة وأثر دليل على ذلك ، فى تلك الكبسولة بصمتى مزورة ، وأثرى زائف ، وهذا ما لا يناسبنى ، ولا أريده .. »

قالت (نورا) وفى صوتها بعض العدوانية :

ــ « أنت تقول أنك خرجت خارج الكبسولة لأنك أردت ذلك ...؟ »

ــ « يمكنك قول هذا .. »

ــ « أهذا كل ما لديك لتقوله ، ألن توضح لنا ما الذى تعنيه بالضبط ...؟ »

قلت وأنا أتمنى أن أحول فضول سيدة التفاصيل لوجهة أخرى :

ــ « لن أتكلم أكثر عما كان ، فكل ما يعنينا الآن هو ما سيكون .. »

نجح كلامى فى جـذب انتباههم إلى أقصى حد ، فقد التصقت أعينهم بى واستعدت آذانهم لالتقاط ما سأقول ، كانوا يأملون أن يكون لدى الحل ، وكذلك كنت آمل ......

* * *

الأربعاء 9 مارس 2089 .. 1:00 ص .. (نورا) ....

لا أعرف ...! هل أسمع لهذا الــ (رشاد) ...؟ هل ما يقوله هو الحقيقة ...؟ الأمر صعب التصديق ، لكن هذا هو التفسير الوحيد الذى يوضح كل شىء ، الأسطوانة المسجل عليها الحفل ، الخلــط والتشويش المليئــة بهما ، لماذا كان التشويش فى تلك

اللحظات التى تنقل فقرات الحفل الأخرى والعروض المقدمة بينهم ...؟

لأنى كنت متلهفة للحظتى الخاصة ، كنت أريد فى داخلى أن تمر اللحظات الأخرى سريعًا ، أن تختفى من الوجود ، وقد كان ، ولهذا السبب أيضًا لا أتذكر أى شىء حدث بعد الحفل ، بل ولا أعرف الكيفية التى عدت بها إلى بيتى .

لماذا كان الحفل من منظور عينى أنا ...؟

لأن عقلى هو من صنعه وقد كنت حينها متوترة أرى الأمور من زاوية واحدة ، نعم كلام (رشاد) صحيح ، ولكنه به الكثير من الغموض ، فقد كان صموتًا بصورة مثيرة للغيظ ، يقول كلام مبتور ثم يصمت كأنما أبان وأفصح ، وآخر ما ينقص هو أن يوبخنا قائلاً :

ــ « من المثير للسخرية أن أسباب وصولنا لحالتنا هذه تتطابق بصورة كبيــرة مع أسباب خروجكم من عالم الفرقة الافتراضى ، أنت انشغلت بحضارتهم ، وأنت انشغلت بالموت ، أنت تركت تراثنا ، وأنت تركت الحياة ، هل تجدون عقابًا آخر عادلاً غير تحييدنا وعزلنا عن باقى العالم ...؟ »

كلامه به الكثير من المنطقية ، ولكن هل أصبحت أنا الآن سبب كل الكوارث التى حلت بنا ، أقبل أن يلقى على عاتقى بعض المسئولية ، لكن أن أتحملها وحدي ...! هذا هراء ، وها أنا أحاول التكفير عــن خطئى المفترض بقبول خطته المجنونة لمقاومة الفرقة واقتحام وكرهم لمساعدة الناس ، أخبرنى (رشاد) أن اسمها (دينا شيرمان) ، يتحدث عنها بمزيج أحمق من الكراهية والاحترام ، يقول أنها العقل المدبر لكل نشاطات الفرقة ، وأنها كانت على رأس الفريق الذى طور كبسولة الأحلام حتى وصلت لصورتها الحالية ، وأن نجاحنا فى مسعانا يبدأ من عندها ، أقف الآن أمام بيتها ، قصر صغير لو أردت الدقة ، كان القمر محاقًا تلك الليلة ، مما أفسح المجال للنجوم كى تزدان وتزداد تألقًا كما لا تفعل فى أى وقت آخر من الشهر ، فبدت وكأنهــا لآلئ انتثرت على فســتان أميرة أسطورية تتشح بالسواد ، وانعكس كل هذا الجمال على القصر ، وأبرزه كجوهرة لامعة تخطف أبصار كل من ينظر إليها ، فى حياة أخرى كنت سأقف طويلاً أتأمل القصر وأشبع عينى من جماله ، وبمكالمة هاتفية قصيرة لمدير أعمالى يصبح كل هذا ملكًا خالصًا لى ، لكن هذه حياة ولت ، وأصبح لى حياة جديدة ، حياة حقيقية أواجه فيها

Looloo
www.liilas.com

من الصعوبات ما يعمى عينى عن هذا الجمال ويخلق عندى أولويات أخرى ، من كان ليصدق أننى الآن أحاول اقتحام القصر ، ولو تطلب ذلك تحويل جماله إلى قبح ، وسكونه إلى ضجيج .

كانت احتياطات الأمن حول القصر معقــدة للغــاية ، بإمكانها منع أجهزة دول كبرى مع أفضل التقنيات وأكثر الأسلحة تطورًا من الاقتراب من القصر ، ولكن رغم كل هذا كان الأمر فى صالحى ...! إنه أشبه بمصيدة صنعت خصيصًا لاصطياد الأسود تمر عبرها القطط وهى تهز ذيولها باستمتاع ، من الجيد أنهم يروننا قططًا ، من الجيد أنهم أمنوا جانبنا ، الآن سنعلمهم درسًا جديدًا ، لا تستمر القطط على حالها قططًا ، من الممكن أن تصير أسودًا ، من مميزات مهنة التمثيل أنها تكسبك بعض المهارات ، هكذا لم أجد صعوبة فى تسلق الأسوار برشاقة ، وفتح الأبواب بواسطة دبوس شعر ، هذه أشياء فعلتها عشرات المرات أمام كاميرات السينما ، الصعوبة الحقيقية كانت فى اجتيــاز وسائل الأمن الإلكترونية ، وضعت ذلك المكعب الصغير الذى أعطاه لى (عمرو) على الأرض أمام كاميرات المراقبة وانتظرت ، آمل أن يعمل بكفاءة ، أخبرنى أنه قادر على تجميد الصورة التى تنقلها الكاميرات ، من دون أسلاك ، ومن دون حاجة لتوصيله بالكاميرات ..

يا للعبقرية ...! يصدر الصفير الخافت الذى كنت أنتظره ، لقد بدأ عمله ، أجتاز الأبواب لأصير داخل القصر ، كل ما هنا رائع ، كل ما هنا خلاب ، لقد سرقوا أفضل أحلامنا وصنعوا منها واقعهم ...! أتسلل بين الحجــرات على أطــراف أصــابعى وأدلــف إلى الحجرة التى حددها لى (رشاد) ، أتوجه إلى الحاسوب هناك ، أوصله بكارت الذاكرة الصغير الذى صممه (عمرو) ، لا أملك الوقت الكافى لتخمين كلمة السر وتصفح حاسوبها ثم انتقاء ما يهمنا منه ، هذا الكارت سيمتص ذاكرة الحاسوب عن بكرة أبيها دون أن تعيقه كلمات سر أو حوائط نار ، سيمتص ذاكرة الحاسوب كله بكلمات سره وحوائطه النارية.....

10% ... أتابع شريط التحميل وهو يتقدم ببطء...،

35% ... بدأ القلق يعترينى وأنا أشعر أن الدقائق تمددت إلى سنوات ...

50% ... واثقة أن أحدًا لم يشعر بى وأنا أتسلل إلى هنا...،

73% ... لكن ثقتى هــذه لم تســتطع حجــب شــعورى بالمراقبة ...

89% ... نعم ، أشعر بأن هناك من يراقبنى ...

Looloo
www.dvd4arab.com

94% ... أشعر بنظرات أحدهم تخترق ظهرى وتراقب كل لفتة من لفتاتى ...

100% ... أخيرًا ، لقد انتهيت ...

لم تكن رحلتى للخروج من المكان بنفس سلاسة دخولى إليه خاصة مع القلق الذى اعترانى ، كنت أتوقف بعد كل خطوة أو خطوتين أنظر ورائى ثم أواصل سيرى من جديد ، أجتاز الأبواب ، أتسلق السور ... ها ها.... أتنفس الصعداء ، لقد فعلتها ، نعم فعلتها ، لكن.... تلاشت ابتسامة وجهى بسرعة مع ذلك الصوت الذى تنامى إلى مسامعى ، وقع أقدام تقترب ، أعتقد أنهم أربعة أشخاص ، ربما أكثر ، تضاءل صوت الأقدام مع الصوت الآخر الذى أخذ يعلو ويعلو بوتيرة متسارعة ، كانت طائرة عمودية ، سلطت كشافها القوى علىّ حتى لم أعــد أرى شــيئًا ، لم أكن أعرف ما الذى على فعله مع هذه المستجدات ، لم يخبرنى (رشاد) بما ينبغى على فعله فى هذه الحالة ، وكأنه لم يتوقع حدوث خطأ ما ، يا ربي ...! ما الذى جعلنى أثق به بهذه الطريقة ، أخذت أجرى وأجرى محاولة الابتعاد عن دائرة الضوء التى تلاحقنى أينما ذهبت ، فعلى لهذا أعطانى إحساسًا خادعًا بأن

لدى هدف ، ما أفعله لم يجعلنى أنتبه للحركة الأخرى التى تحدث فى المكــان ، عــدد من المسلحين يشكلون حولى دائرة محكمة تضيق وتضيق لإحكام الخناق على ، أقف مستسلمة كفأر فى مصيدة ، أسمع صوتًا أنثويًا يقول :

ــ « هــل ظننتى حقًا أنك تمكنت مــن التسلل إلى قصرى والخروج منه وقد حصلت على ما تريدين ...؟! لقد رصدناك من البداية ، تركناك فقط لنعرف هدفك من كل هذا » .

يضحكون بسخرية .. هل تمكنوا منى بكل هذه السهولة ...؟ أشعر أن الكون كله اختــزل فى تلك الدائرة المحيطة بى من الوجوه الساخرة التى أينما ألتفت أجدها أمامى ، شعورى بالغيظ حول هواء الليل البارد إلى نيران ملتهبــة ، وكأنى أحترق وهم يرقصون حولى ويسبحون...!! أســقط أرضًا بعدما هوت على شبكة ثقيلة من طائرتهم العمودية ثم ارتفعــت بى فى الهواء لتقتادنى إلى مكان لا أعرفه ، أشيح بوجهى بعيدًا عنهم وإن ظلت وجوههم الساخرة منطبعة على شبكيتى لبعض الوقت.....

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

الأربعاء 9 مارس 2089 .. 1:00 ص .. (عمرو) ....

هذا الـــ (رشاد) ...! يبهرنى بحق ... لى صبوته دون إقدامه...!! كان يحدثنى عن الحياة والموت بينما نركض فى الشوارع ، قال كمن يكشف عن فلسفته الحياتية الخاصة :

ــ « الموت هو كصديق قديم مولع بالمفاجآت ، مشكلتك هى أنك تنتظره طيلة الوقت ، تحاول أن تعرف متى سيأتى وكيف سيأتى ، تريد أن تحرق مفاجآته لك ، ليس هذا ما عليك فعله..... دعه يفاجئك ..!! »

وتوقفنا عندما انهمك فى شرح هذه النقطة بالتحديد :

ــ « أما الحياة .. فهى كالحبيبة اللعوب ، التى لا تهب قلبها إلا بعد مناورات ومناورات ، ولا تهبه إلا لمن يستحق ، هذا يعطى للأشياء معنى ، عندما تفهم هـــذا ، حينها تكون قد استحققت حياة حقيقية .. »

ثم واصلنا ركضنا من جديد ، كنا نركض فى اتجاه مطار صغير ..

كان يتصرف بتهور... يقتحم الأبـــواب .. يوجه الضربات .. يطلق الرصاصات .

كان يتصرف بثقة ... يعرف أى الطرق يسلك .. يتفادى الضربات.. يتجنب الرصاصات ..

استولينا على إحدى الطائرات العمودية الصغيرة وارتفعنا بها فى الجو وسط عشرات الطلقات النـــارية ، تفـــادى (رشاد) معظمها بعد قيامه ببعض المناورات الصعبة ، قال دون أن ينظر إلى :

ــ « (دينا شيرمان) فضولية ، سيكون فى إمكانها الإمساك بـــ(نورا) قبل تسللها إلى القصر لكنها ستتركها حتى تعرف هدفها ، (دينا شيرمان) حذرة ، لن تجازف بنفسها أو برجالها من أجل القبض على (نورا) ، ستستدعى إحدى الطائرات من أجل هذا » .

خطته متهورة ، يعرف أنه لو أطلعنا عليها ربما نجبن عن تنفيذها ، لهذا لا يخبر أحدًا منا إلا بالمطلوب منه فقط ، لو علمت (نورا) أنها ستكون فى هذا الموقف..؟! لا أعرف ، ربما كان يجب أن نخبرها ، كنا فى الطائرة فوقها تسلط كشافنا عليها أينما

ذهبت ، كانت تجرى على غير هدى ، لا ترى حتى موطئ قدمها ، حاصرها خمسة رجال وامرأة من جميع الجهات ، ضغط (رشاد) على أحد الأزرار فألقيت فوقها شبكة ثقيلة طرحتهـــا أرضًا ، ارتفعنا بالشبكة وهى فيها وابتعدنا بسرعة عن المكان ، كانت غاضبة ، تصرخ .. وتسب .. وتلعن .. وعندما حاولت إسعادها وإخبارها أنها معنا وأنها فى أمان أخذ غضبها وجهة أخرى ، كانت تصرخ بينما تحاول ركلى بقدمها :

ـ « دمية أنا » ثم وهى تضربنى على كتفى « تحركونها كيفما » ثم وهى تكز على أسنانها بغيظ « كيفما شئتم ..! »

قلت وأنا أحاول أن تكون بينى وبينها مسافة أكبر مما تصل إليها قبضتها :

ـ « لا تلومينى أنا ، (رشاد) هو من أراد هذا .. »

كانت ستصب غضبها على (رشاد) إلا أنه بادرها قائلاً :

ـ « حسنًا فعلت » ثم التفت إلىّ وهو يناولنى كارت الذاكرة :

ـ « إنه يحتوى على جميع تصاميم كبسولات الأحلام ، ما أريده منك هو أن تصمم ذاكرة بديلة للذاكرة الحالية ، ذاكرة

تحتوى على كل المعلومات التى وصلنا إليها ، وتكشف للناس حقيقية الخدعة إلى تمارس ضدهم .. »

لم يكن ما يطلبه مستحيلاً أو حتى صعبًا ، بإمكانى صنع ذاكرة بديلة عبارة عن بلايين الخلايا ، عقل إلكترونى متطور ، يستطيع استخلاص المعلومات مباشرة من العقل البشرى ، كما من الممكن أن تتحول لقنطرة تنقل المعلومات من العقل البشرى لأى جهاز إلكترونى آخر ، لكن الأمر الأخير ينطوى على خطورة كبيرة ، تتهاوى معه خلايا العقل البشرى وتنهـــار . أعرف أن (رشاد) وضع خطة مجنونة أخرى للمقاومة ، أصبحت الآن أعرفه جيدًا ، فكلانا يصبو لذات الهدف ، لكن أحدنا فقط يمتلك الإقدام الكافى للوصول إليه ...

الأخير هو (رشاد) ، كان مجنونًا ، وكانت لى صبوته دون إقدامه .....

* * *

الخميس 10 مارس 2089 .. 6:00 م .. (رشاد)....

أحلام الناس مختلفة ، لكنها فى الحقيقة تتشابه ، كلها تدور فى فلك الثلاثى ... الذكاء ، والقوة ، والجمال ، مـــن امتلك أحدها تميز به على أقرانه وكانت له الرفعة بينهم ، ومن امتلك اثنين

Tooloo

أضحت له الزعامة عليهم ، ومن امتلك الثلاثة فهو إنسان كامل لم يُقدر لمثله الوجود على ظهر الأرض باستثناء الأنبياء والرسل ، فى هذه الدنيا أرى أن لكل شىء سببًا ، غاية وجد من أجلها ، هكذا كنــت أعلم لمــاذا اختار القدر ثلاثتنا ـ أنا و(عمرو) و(نورا) ـ لنعود إلى الحياة الحقيقية ، لأننا فى حقيقتنا إنسان واحد ، إنسان كامل لا يقف فى طريقه شىء ، ولا يعيقه عن هدفه عائق ، شخص واحد يتميز بالذكاء والقوة والجمال ، شخص قادر على خوض معركة ألف شخص ، فقط لو أدرك مدى قوته وكيفية استخدامها ، ونحن فعلنا ، أدركنا ميزة كل واحد فينا ، وقررنا استخدامها فى معركتنا مع الفرقة لاسترداد حياتنا وحياة الملايين ، فلو أن الذكاء هو إدراك العلاقات بين الأشياء ، وسرعة البديهة هى إدراكها بسرعة ، والعبقرية هى ابتكار علاقات جديدة ، فقد كان (عمرو) متقد الذكاء ، سريع البديهة ، عبقريًا ، استطاع بسهولة تقمص دور (دينا شيرمان) وتخيل نفسه يصمم الخطة الأمنية لوكر الفرقة .. هنا حارس أمن ، وهنا كاميرا مراقبة ، فى هذه الناحية بوابة إلكترونية ، وفى الناحية الأخرى جرس إنذار ، أما لوحة المعالجة الرئيسية فستكون فى هذه القاعة الدائرية الواسعة ، أبواب الممرات المفضية للقاعة إلكترونية متقدمة من المستحيل اختراقها من دون بطاقة أمنية وكلمة سر ، لم يكن الأمر بالصعوبة المتصورة ،

أدرك (عمرو) طريقة تفكير (شيرمان) ، وأدرك هذا بسرعة ، ثم قام بابتكار وسائل مضادة للوسائل الأمنية المتوقعة ، ربما كان الأمر صعبًا ، لكن ليس بالنسبة إلى (عمرو) ...

ولو أن الجمال هو التناسق والتناسب الذى يخلب الألباب ويعطل العقول ، فقد كانت (نورا) جميلة ، ارتدت الأبيض وتسللت ببراعة بين أعضاء الفرقة وسط هالة جمالها الذى أعمى عيونهم وشل عقولهم ، وتمكنت من الحصول على إحدى البطاقات الأمنية وكلمة السر ، لو أن الجمال هو أن تفغر فاهك لدى رؤيتك أحدهم ، فقد كانت (نورا) جميلة ... ولو أن القوة هى أن ترى الأمور واضحة من دون أى ذرة لبس ، أن تراها من أعلى فتلم بكل التفاصيل ، وأن تملك القدرة على التدخل فى الوقت المناسب لإعادة الأمور إلى مسارها الصحيح ، فأنا هو الخبير فى هذا المجال ، القوى الذى لا يغالبنى أحد ، كنت أتابع الأمور من بعيد لأتدخل عند الحاجة ، ساعدت (نورا) فى الحصول على البطاقة الأمنية بعد أن أفقدت ذلك الحارس الوعى ، وأنقذت (عمرو) فى اللحظة الأخيرة بعدما قام أعضاء الفرقة بتقييده وتهديده برصاصة بين عينيه لو لم يخبرهم بمكان الذاكرة البديلة .. ثلاثتنا واحد ، لا يقف فى طريقه شىء ، ولا يعيقه عن هدفه عائق .....

Looloo
www.dvd4arab.com

* * *

الخميس 10 مارس 2089...،6:30 م .. (عمرو) ....

كانت الأمور مجنونة ، لم تخرج عن السيطرة وإن بدت كذلك ، وصلت رسالة (رشاد) إلى الملايين الذين عادوا إلى الحياة مرة أخرى والغضب يكسو ملامحهم ويملأ قلوبهم ، قدم الآلاف منهم إلى مقر الفرقة وهم ينوون تحطيم كل ما ينتمى لها ، أمام هذه الأعداد الغفيرة والثورة القريبة لم يجد أعضاء الفرقة بقيادة (دينا شيرمان) غير إلقاء أسلحتهم والاستسلام غيــر المشروط لنا على أمل أن يخفف هذا من غضبتنا ، كان انتصارًا ساحقًا ، رأيت بعده العديد من الوجوه التى تبتسم لى ، وتعرضت للكثير من العناق ، وشــعرت بالعديد مــن الربتات على ظهرى ، وصافحتنى العديد مــن الأيــدى ، وســمعت الكثير من العبارات لكن عقلى المشوش لم يفهم أيًا منهــا وإن أدركت أن اسمى عامل مشترك بينهم جميعًا ، كنــت أبحــث وسط هذا الصخب عن (نــورا) ، ولمــا رأيتهــا تملكنى الفزع من قمة رأسى حتى أطــراف أصابعى ، كانت شاردة أمام تلك الرسالة التى ملأت الشاشات العريضة الموزعة فى جميع الأركان والتى كانت تقــول :

(عملاؤنا الكرام فى مصر ، نعتذر عــن هــذا الخطأ غيــر المقصود وعن الفوضى التى خلفها ، ستصل مساعدتنا العسكرية إليكم فى غضون أربع وعشرين ساعة ، لذا نرجو منكم العودة إلى الكبسولات مرة أخرى حتى نتمكن من معالجة هذه الأعطال ، لا نضمن سلامة من يرفض التعاون معنا ...!!!)

كان رسالة قصيرة ذى مغزى واضح ، إنه تهديد صريح لكل من يرفض العودة إلى عالم الأوهام مرة أخرى ، هذه هى تحديات الحياة الحقيقية التى علينا مجابهتها إن أردنا الحياة ، رأيت الفزع وقد انتقل لوجوه الناس ، نظرت إلى (نورا) وأنا أنحنى بجوار جثة (رشاد) ، ثم صحت فى الناس :

ــ « أراد أن يصنع فارقًا وأن يكون له بصمة وأثر ، فى تلك الكبسولة بصمته مزورة وأثره زائف ، أراد أن يعرف من يأتى بعده أنه كان هنا ...

كان هنا ... وكان اسمه (رشاد) .....

* * *

تمت بحمد الله

Looloo
www.dvd4arab.com

ألف مبروك للفائزين ، وكل التمنيات بالفوز القادم إن شاء الله للآخرين ، فى مواسم تالية ...

وشكرًا جزيلاً للأستاذ (محمد عبد الرحمن) ، منسق المسابقة ، ومدير الموقع الخاص بى ، على شبكة الإنترنت ..

nabilfarouk.com

وشكرًا بلا حدود لكل الأصدقاء ، الذين هم أصحاب الفضل الحقيقى ، بعد الله سبحانه وتعالى ، فيما وصلت إليه ...

شكرًا .... وإلى لقاء ..

رقم الإيداع : 23747
977 - 378 - 243 - 3

Looloo
www.dvd4arab.com

باقة من القصص
والروايات المصرية
قمة فى التشويق والإثارة

روايات مصرية للجيب
كوكتيل ٢٠٠٠

10 / 1 / 012

في هذا الكتاب — صفحة

- ورحل الفارس (مرثية)........5
- طاقية الإخفاء (دراسة).......8
- الستار الأسود (سلسلة داخل سلسلة)..17
- هكذا رأيتها.........................88
- ذكريات معه 1 (خواطر حزينة)....96
- قصة العدد :

(النجم)............................165

عزيزى القارئ..................251

الثمن فى مصر 700
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

مطابع